الجامعة اللبنانية الجيش اللبناني

كلية الحقوق والعلوم السياسية والإدارية مركز الدراسات والبحوث الإستراتيجية

الشرق الأوسط وتحديات المستقبل ـ الغاز في نزاعاته

دراسة الحالة السورية كجانب من جوانب النزاع

رسالة أعدت لنيل شهادة الماستر في الدراسات الإستراتيجية

اعداد: العميد الركن علي خميس

لجنة المناقشة :

الدكتور وليد عربيد	الأستاذ المشرف	رئيسًا
الدكتور كميل حبيب	أستاذ	عضواً
العميد الدكتور سهيل حمّاد	أستاذ مساعد	عضواً

السنة

٢٠١٨

تمهيد

يتمتع الشرق الاوسط بأهمية كبرى لكونه صلة الوصل بين الشرق والغرب عبر طريق التجارة المسماة طريق الحرير، هذه الأهمية جعلت القوى المهيمنة على مر التاريخ تسعى الى السيطرة على هذه المنطقة وممراتها الحيوية, مما عرضها لحروب مختلفة دينية،اقتصادية،عرقية،.... ثم تطور ذلك للسيطرة على مقدرات المنطقة الاقتصادية وخاصة الموارد الطبيعية وأهمها النفط والغاز، ويدور الصراع اليوم على السيطرة على منابعهما ووسائل وممرات نقلهما.

وفي سرد مختصر، كانت القوافل التجارية في عهد الامبراطورية الرومانية التي كانت تسيطر على منطقة الشرق الاوسط في السنة الاولى الميلادية، تنطلق بحراً من أوروبا الى الساحل السوري ثم تتابع سيرها براً حتى الصين، أو إلى الهند التي كانت البضائع تصل إليها من أوروبا إلى سواحل مصر, ثم تجتاز دلتا النيل إلى البحر الاحمر ومنه إلى الهند.

إنتقلت السيطرة السياسية والعسكرية على منطقة الشرق الأوسط من الأمبراطورية الرومانية إلى الخلافة الأموية ومن ثم العباسية، ثم خضعت لسيطرة المغول من العام ١٢٦٠ حتى العام ١٣٣٣ وذلك بالتوازي مع الحملات الصليبية في الفترة ما بين الأعوام ١٠٩٥و١٢٩١، كما أدت الحروب التي إندلعت في أوروبا في أوائل القرن الرابع عشر بين الكيانات الأوروبية وروسيا فيما بينها، وبينها وبين تركيا، وحرب الثلاثين عاماً التي إنتهت بتوقيع الدول الأوروبية على معاهدة وستفاليا في العام ١٦٤٨ إلى إنتقال السيطرة على تلك الطرق بشكل متناوب وغير مستقر، إبان تلك الحروب كان السعي الاساسي والدائم لروسيا القيصرية هو الوصول إلى المياه الدافئة، ولذلك غالباً ما ساندت الدول الأوروبية تركيا ودول أخرى بوجه روسيا لمنعها من تحقيق هذا الهدف.

في القرن الثامن عشر كانت العلاقات جيدة ما بين تركيا وفرنسا, وبالتالي كانت خطوط التجارة مفتوحة أمام الفرنسيين بإتجاه الشرق عن طريق الحرير البري، , في المقابل كانت العلاقات جيدة بين انكلترا ومصر المحكومة من قبل المماليك, هذه العلاقة سمحت لإنكلترا بالعودة إلى الشرق عن طريق الحرير البحري الممتد من السواحل المصرية في البحر المتوسط بعبور بري لدلتا النيل, ثم بحراً عن طريق البحر الأحمر وصولاً إلى الهند.

وفي اطار هذا الصراع الفرنسي– البريطاني على خطوط التجارة مع الشرق، إحتلت فرنسا بقيادة نابليون مصر، وطمعاً بمساعدة اليهود له في حملته العسكرية على الشرق، طلب نابوليون من اليهود الفرنسيين أن يعقدوا أول مجمع لحكمائهم "سنهدرين" او سنهدريم بالعبرية وتعني "مجلس" لكي يقرروا إنشاء دولة يهودية تصبح تابعة للنفوذ الفرنسي، وذلك كي يسيطر على الطريق الإستراتيجي لتجارة الشرق مع الغرب، ولتحطيم النفوذ البريطاني في الشرق وهو يعرف جيداً أن خط الدفاع القوي المشترك

بين بلاد الشام ومصر هو الساحل الفلسطيني، كان نابليون أول من فكر عملياً في إنشاء دولة يهودية تابعة للإمبراطورية الفرنسية في فلسطين.

عام ١٨٠٥ أنشأ محمد علي الدولة المصرية الحديثة إلى جانب الدولة العثمانية، التي تعاون معها للقضاء على نواة الدولة الوهابية في السعودية، وبالمقابل لمساعدة الدولة العثمانية في القضاء على الثورة في اليونان عام ١٨٢٧، لكن التحالف الروسي الفرنسي الانكليزي تصدى لهم وهزمهم، وعلى خلفية نكث السلطان العثماني لمحمد علي بتوسيع نفوذه إلى بلاد الشام، إندلعت الحرب من جديد بينهما، فإستعان العثمانيون بأعداء الأمس روسيا التي سارعت الى مد يد العون إلى العثمانيين كما تدخلت كل من إنكلترا وفرنسا ضد محمد علي, فإنسحب من بلاد الشام تاركاً هذه البلاد تحت السيطرة الفرنسية والانكليزية، وكان لهذا التدخل هدفان أساسيان الأول عدم السماح لروسيا بالوصول إلى المياه الدافئة, والثاني السيطرة على خط التجارة العالمي وفصل بلاد الشام عن مصر وتعطيل خط الدفاع المشترك.

في العام ١٨٥٣ تحالفت انكلترا مع الدولة العثمانية ضد الروس, وعقدت إتفاقية تقضي بأن تدافع انكلترا عن أملاك الدولة العثمانية في حال تعرضها لأي خطر، وفي بداية القرن العشرين تدخلت انكلترا للدفاع عن الدولة المصرية بقيادة الملك فاروق ضد ثورة العرابي, ومن أسباب هذا التدخل المحافظة على سلامة الملاحة في قناة السويس, التي إضطر الملك فاروق الى بيع أسهم من شركة قناة السويس إلى الانكليز بعد مرور مصر بأزمة إقتصادية حادة.

ولأسباب عديدة مرتكزة على مصالح متوافقة ومتناقضة للقضاء على العربدة الإلمانية والبروسية في أوروبا, ولإقتسام الثروة النفطية المكتشفة في منطقة الشرق الأوسط, التي كانت خاضعة لسيطرة الامبراطورية العثمانية، إندلعت الحرب العالمية الاولى بين القوى الأوروبية الكبرى, وتحديداً فرنسا وبريطانيا وروسيا من جهة, والمانيا وبروسيا والدولة العثمانية من جهة اخرى, وذلك للقضاء العثمانيين وبتر أطرافهم الممتدة إلى أوروبا الوسطى والشرقية، ولرسم خريطة الشرق الاوسط لا سيما بعد خروج روسيا القيصرية من الحرب وسعي ثوارها لإعادة بناءها كدولة قوية وفاعلة.

خلال الحرب العالمية الأولى إتفق الفرنسيين والانكليز بما عرف بإتفاقية سايكس – بيكو على إقتسام النفوذ في منطقة الشرق الأوسط، وبعد إنتهاء الحرب بخسارة إلمانيا وتركيا، توزعت الدول العربية المستحدثة إستناداً لسايكس – بيكو بين فرنسا وبريطانيا بهدف إنشاء سدين أساسيين لمنع وصول روسيا إلى المياه الدافئة، السد الأول تمثل بإنشاء جمهورية تركيا الفتاة الاتاتوركية التي بقيت تتلقى الدعم الفرنسي والانكليزي من الشمال في مواجهة روسيا، والسد الثاني تمثل بالوعد بإنشاء دولة "إسرائيل" على أرض فلسطين لفصل بلاد الشام عن شمال أفريقيا, من أجل التحكم الدائم بالكيانات العربية الجديدة، والسيطرة على الثروات الطبيعية الموجودة فيها، والتحكم بالممرات التجارية البرية والبحرية بين الشرق والغرب.

بعد الحرب العالمية الاولى سعت سلطات الانتداب على الدول العربية المستحدثة الى البر بالوعد الذي قطعته بريطانيا لليهود بإنشاء الدولة اليهودية على أرض فلسطين، وذلك من خلال رسم حدود أشباه الدول هذه بشكل تحتوي على أثنيات وأعراق وطوائف وأديان مختلفة, ووضعتها تحت سيطرة سلطات سياسية وأدارية إستبدادية تدين بالولاء الظاهر او الباطن لها، وفي الوقت نفسه فعّلت وشجعت وسهلت سلطات الإنتداب والدول الاستعمارية التابعة لها لليهود الهجرة من أوروبا وأميركا الى "أرض الميعاد" في فلسطين، ومع نهاية الحرب العالمية الثانية كانت الدول العربية الجديدة قد إستحصلت على استقلالات صورية بإستثناء فلسطين, التي ظلت تعاني من الاحتلال البريطاني حتى العام ١٩٤٨.

أنتجت الحرب العالمية الثانية التي أنتهت بفوز الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا وبريطانيا والإتحاد السوفياتي، نظاماً عالمياً جديداً عبر انشاء هيئة الأمم المتحدة, وأهم أدواتها مجلس الأمن الدولي الذي عمل على إدارة الحرب بين العرب واليهود، فكان أن وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ على قرار تقسيم فلسطين إلى دولة يهودية ودولة عربية، ثم أصدرت قرارها رقم ٢٧٣ بتاريخ ١١ أيار ١٩٤٩ بقبول عضوية إسرائيل، وذلك بعد إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين وإعلان قيام "إسرائيل" منتصف أيار ١٩٤٨. لتكون القاعدة العسكرية والاستراتيجية لدول الغرب في الشرق الاوسط , ولتمنع أي سيطرة وتحكم للدول المحلية في الطرق التجارية العالمية، ولتكون سداً منيعاً بوجه تمدد الاتحاد السوفياتي إلى دول المنطقة.

بعد زوال الاتحاد السوفياتي عن الخارطة العالمية في العام ١٩٩٠, ورثت دولة روسيا الاتحادية عوامل قوة ذلك الاتحاد، الجغرافية، الطبيعية، العسكرية، النووية، الفضائية، السياسية، والمقعد الدائم في مجلس الامن، كما ورثت عوامل الضعف لديه في النظام السياسي, الديون، والفساد وأصبح العالم برمته خاضعاً لسيطرة القطب الواحد الذي افقد النظام الدولي توازنه , حيث تم تغيير انظمة الحكم في اغلب دول الاتحاد السوفياتي السابق ودول المنظومة الشيوعة, وادخلت تحت مظلة القطب الواحد الذي يملك اكثر من ٧٥٠ قاعدة عسكرية خارج اراضيه بموازنة دفاعية تبلغ حوالي ٥٠٠ مليار دولار امريكي، وتعطل نظام الامم المتحدة وسادت شريعة الغاب بين الدول, حيث تم غزو افغانستان والعراق وأُطلقت ثورات الربيع العربي لتغيير قواعد اللعبة السياسية التي كانت سائدة في القرن العشرين.

إذن في القرن العشرين أنشأ الغرب الدول النفطية، أما في القرن الواحد والعشرين وبعد التطور التكنولوجي المطرد, وعدم مواكبة النفط كطاقة نظيفة موازية ومتممة لبلورة هذا التطور بسبب التلوث الناتج عن استخدامه، وضمور كميات النفط في معظم الدول المنتجة له، وإكتشاف الغاز الطبيعي بكميات هائلة، أصبحت الدول الصناعية بحاجة الى هذه الطاقة النظيفة، لذلك كان لابد من التخطيط والتآمر والتنفيذ لتأمين هذه الطاقة الضرورية للاقتصاد العالمي، وللهيمنة السياسية على العالم.

يذكر أنه بعد اتفاقية كيوتو في اليابان سنة ١٩٩٧التي قامت على اساس اتفاقية قمة الارض, التي عقدت في ريودي جينرو في البرازيل سنة ١٩٩٢ بشأن التغير المناخي العالمي, اعتمدت توصيات للحد من الإنبعاثات الحرارية وإرتفاع درجة حرارة الارض, وخاصة في إستعمال الوقود الذي ينتج عنه الغازات المسببة لارتفاع درجة حرارة الارض, وكان لا بد من التحول من استعمال المواد الملوثة للبيئة كالفحم الحجري والنفط إلى استعمال مواد نظيفة او اقل تلوثا" كالغاز, والتي اكتسبت اهميتها من نظافتها بالنسبة للمواد التي كان تستعمل والمتوفرة بشكل عام تراتبيا" في روسيا وايران وقطر واذربيجان ودول اخرى, وشاءت الظروف ان تصبح هذه المادة الإستراتيجية محركة للجيوبولتيك العالمي الذي نشئ عنه صراعات وحروب وما زالت محتدمة.

أن الصراعات الدولية عبر التاريخ أياً تكن أشكالها وأنواعها وأهدافها، هي مجموعة من العوامل التاريخية والسياسية والإقتصادية، تتراكم وتتفاعل بين الدول، وعبر مراحل زمنية مختلفة، ووفقا لتبدل المصالح العامة لهذه الدول، تؤدي بالنتيجة إلى شكل من أشكال الصراع الدولي قد يتطور إلى صراع عسكري.

إن علاقة النفط بالأمن القومي للدول هي علاقة قديمة، تعود إلى تاريخ اكتشافه، ومحاولة الدول الكبرى الهيمنة على مصادره منذ الحرب العالمية الثانية، وتجسدت هذه الهيمنة من خلال عقود الإستكشاف والتنقيب عن النفط من قبل الشركات المتعددة الجنسية، خاصة بعد أن أخذت دول العالم تعتمده بشكل متزايد في نموها وتطورها الإقتصادي.

كان لتصريح كليمنصو رئيس وزراء فرنسا أثناء الحرب العالمية الأولى "من الآن وصاعدا ستكون نقطة النفط لدى الامم والشعوب بثمن نقطة الدم"، دلالة واضحة على مدى أهمية النفط ومكانته السياسية، إلى حد شكل عاملا مؤثرا في صنع القرار السياسي في كل من الدول المنتجة والمستهلكة معاً، بل وأكثر من ذلك أصبح تأمين مصادر النفط السبب الأساسي وغير المعلن لتدخل الدول الكبرى في شؤون الدول المنتجة للنفط، كما في بعض دول العالم ,حيث ان الشركات النفطية العالمية هي التي تحدد نظام الحكم لبعض الدول المكسيك على سبيل المثال, كما إستخدم النفط في بعض الأوقات كسلاح سياسي للدفاع عن قضايا سياسية, كما حصل في الحرب العربية الاسرائيلية في العام ١٩٧٣ حيث تم توقيف تصدير النفط العربي الى الدول الغربية, الامر الذي حذى بهذه الدول الى التدخل المباشر في المنطقة, وانشاء قواعد عسكرية, وتغيير انظمة حكم وحكام واقامة انظمة موالية, والتحكم بالمنافذ البحرية لمنع تكرار هذا الامر.

حالياً يشكل الغاز فعلياً مادة الطاقة الرئيسة في القرن الواحد والعشرين لاعتماده كطاقة نظيفة، ولهذا فإن السيطرة على مناطق الاحتياطي (الغازي) في العالم تعتبر بالنسبة للقوى القديمة والحديثة أساس الصراع الدولي في تجلياته الإقليمية، لا سيما بعد إقرار إتفاق "كيوتو" وتطبيق الدول الأوروبية إجراءات حازمة للحد من التلوّث وارتفاع درجة حرارة الارض، ولذلك تضاعف إستهلاك أوروبا للغاز،

ومن المتوقّع أن يزداد هذا الإستهلاك بأكثر من خمس مرّات في السنوات القليلة المقبلة، في ظل قرارات بإغلاق العديد من المفاعلات النووية المولّدة للطاقة.

لقد قرأت روسيا الخارطة وتعلمت الدرس جيداً، إذ شكل غياب الاتحاد السوفيتي عن مصادر الطاقة العالمية كان من الاسباب المهمة التي أدت الى سقوطه، وتعلمت أن لغة الطاقة الآتية إلى القرن الواحد والعشرين على الأقل هي لغة الغاز، وتعتبر روسيا اليوم المصدّر الأوّل للغاز في العالم حيث تصدر كمّيات ضخمة من الغاز الطبيعي، عبر شبكة من خطوط الأنابيب تمتد من روسيا إلى مجمل أوروبا الشرقية سابقاً، وصولاً إلى ألمانيا وبلجيكا ودول اوروبيه اخرى بواسطة شركة "غازبروم" الروسية التي تأسّست في العام ١٩٨٩ أي أن حوالي ٤٠% من حاجة اوروبا من الغاز, تؤمن عن طريق الامدادات الروسية وما ينتج عن ذلك من مفاعيل سياسية.

تابعت روسيا سعيها لزيادة نفوذها السياسي في اوروبا عبر تطويق اوروبا بشبكة من الانابيب لتزويدها بالغاز, وفي هذا السياق وقعت شركة غازبروم الروسية عقدا" مع الحكومة النيجيرية صاحبة تاسع أكبر احتياطي من الغاز في العالم، بقيمة ٢,٥ مليار دولار لبناء مصافي غاز وأنابيب نقل ومحطات توليد طاقة فيها، وذلك بهدف تصدير الغاز نحو أوروبا بواسطة خط أنابيب يمرّ من نيجيريا عبر ليبيا وصولًا إلى أوروبا عبر إيطاليا, التي وافق رئيس وزرائها انذاك (برلسكوني) على بيع ٥٠ في المئة من شركة «إيني» البترولية الإيطالية لروسيا، والمفارقة أنه بعد هذا الاتفاق بقليل تم عزل رئيس الوزراء الايطالي ونفذت جماعة بوكو حرام الارهابية اول عملياتها الارهابية في نيجيريا, وتوقف تنفيذ المشروع والسؤال الذي يطرح نفسه من اطاح بالمشروع ؟ من اوجد بوكو حرام؟ من عزل برلسكوني؟ هل تصدت الولايات المتحدة لافشال هذه المشاريع وللحد من النفوذ الروسي على اوروبا! وهل هذا الصراع يتكرر اليوم في الشرق الاوسط وخاصة في سوريا؟

بعد ان أصبح الغاز اهم محاور الصراع بين الدول في مناطق وجوده، تشهد منطقة الشرق الأوسط، وخاصة في البلدان العربية منها، نزاعات وحروب يشكل فيها النفط والغاز السبب المباشر وغير المباشر في إندلاعها، ولقد أدت الإكتشافات النفطية والغازية الجديدة في حوض البحر الأبيض المتوسط وكيفية ادخال هذه الاكتشافات الى السوق العالمي وتحت اي نفوذ، الى تسعيرها بأشكال مختلفة عما كان معتمداً في القرن العشرين، بحيث تغير شكل الحروب من حروب كلاسيكية الى حروب غير متماثلة وحروب بالواسطة، واستعيض عن الجيوش لشنها بالمنظمات الارهابية والثورات الشعبية، وما نشهده اليوم من صراع دموي كبير في الشرق الاوسط وافريقيا تحت مسميات عدة من الثورات الشعبية او الربيع العربي, ماهي إلا غطاء لإعادة تشكيل دول المنطقة على اساس خريطة الطاقة العالمية, لذلك كان لابد من إخضاع انظمة هذه الدول إلى نظام الطاقة العالمي, التي تسعى الولايات المتحدة الامريكية للسيطرة عليه للمحافظة على هيبتها بكونها القوة العظمى في العالم، في حين تعمل روسيا باعتبارها المستهدف الاول على مقاومة المشروع.

إذن هو صراع روسي امريكي في الدرجة الاولى، وفي سرد موجز لبعض الأحداث عن هذا الصراع، في العام ٢٠٠٩ وقبل الاحداث الجارية في سوريا, زار رئيس جمهورية كل من فرنسا وتركيا وأمير قطر دمشق لحث الرئيس السوري على القبول بمد خط انابيب للغاز من قطر عبر السعودية والأردن وصولا إلى سوريا لربطه بخط الغاز الرئيسي نابوكو الذي سيصل الى اوروبا, حيث وافق الرئيس السوري من حيث المبدأ لكنه سرعان ما رفض هذا المشروع مبررا" ذلك باتفاق موقع مع روسيا، فأندلعت بعد ذلك التظاهرات تحت شعار الديمقراطية!!!. وبدأت الحرب على سوريا مع أنه إذا اجريت مقارنة صغيرة بين الديمقراطية في سوريا وبعض الديمقراطيات في العالم العربي لتبين ان المقارنة مستحيلة بسبب عدم وجود ديمقراطية أصلاً في الدول العربية المناوئة لسوريا.

وفي سرد مرتبط قامت ايران في العام ٢٠١١ بتوقيع اتفاق بين كل من سوريا والعراق على مد خط انابيب غاز من ايران عبر العراق وسوريا سمي الخط الاسلامي, وذلك لتصديره الى اوروبا ولكنه بقي حبراً على ورق بسبب استيلاء داعش على المنطقة المخطط مرور هذا الخط فيها أي في سوريا والعراق فتعطل المشروع.

سردنا هذه الاحداث لإثبات أن الصراع هو صراع على النفوذ بواسطة الطاقة, والعودة الى عالم متعدد الاقطاب, ولإثبات ايضا" بان الصراع على سوريا هو مصيري بالنسبة إلى روسيا, والتي تسعى لإبقاء سيطرتها على موارد الغاز في العالم، لما يمثله موقع سوريا الإستراتيجي في قلب الشرق الاوسط، ومن يسيطر عليها يسيطر على أوراسيا, ومن يسيطر على أوراسيا يسيطر على العالم، وبانتظار انتهاء هذا الصراع وما ينتج عنه نحن امام ثلاث فرضيات:

الاولى: ان تربح الولايات المتحدة الامريكية المعركة وتسيطر على سوريا, وبالتالي السيطرة على عقدة مرور الغاز, وعلى احتياطي الغاز في الحوض الشرقي للبحر المتوسط ، مما يعني تحرير اوروبا من هيمنة الغاز الروسي, وبالتالي بقاء القطب الواحد وفشل روسيا في العودة الى الساحة الدوليه كقطب مؤثر, وهذا احتمال ضعيف كون موازين القوى حاليا"على الارض تجعل هذه الفرضية ضعيفة.

الثانية: ان يربح المحور الروسي المعركة ويسيطر على سوريا وبالتالي وضع احتياطي الغاز في الحوض الشرقي للبحر المتوسط وعقدة تصدير الغاز الخليجي إلى اوروبا تحت السيطرة الروسية، مما يعني الهيمنة شبه المطلقة على هذه المادة, وبالتالي اخضاع القرار السياسي والاقتصادي الاوروبي لروسيا وما ينتج عن ذلك من صراعات او حروب بين الدول الاوروبية فيما بينها من جهة، وبين روسيا وأميركا على الجغرافيا الاوروبية من جهة ثانية، وذلك بفعل عودة روسيا الى الساحة الدولية كقطب مؤثر في السياسة العالمية.

الثالثة: ان ينتج عن هذا الصراع تسويه سياسية ضمن معادلة رابح – رابح وهي تقاسم النفوذ في سوريا حسب خريطة مكامن الغاز وممراتها، بحيث يحرر جزء من الطاقة لصالح محور الولايات

المتحدة الامريكية وحلفائها، وجزء لصالح روسيا ومحورها، وضمن هذه التسوية الإحتمال الأكبر ببقاء الهيمنة الروسية على سوق الطاقة الاوروبية لتعطش هذه السوق الى هذه المادة.

الفصل الاول

النظام الدولي ومفهوم الصراع في العلاقات الدولية والنظريات المقاربة له ومفهوم الشرق الأوسط

يتناول هذا الفصل النظام الدولي ومفهوم الصراع في العلاقات الدولية والمفاهيم المشابهة له ومفهوم الشرق الأوسط والمقاربات النظرية المفسّرة للصراع في العلاقات الدولية، ولهذا تم تقسيم الفصل إلى مبحثين تناولنا من خلالهما:

- **المبحث الأول**: النظام الدولي ومفهوم الصراع في العلاقات الدولية حيث تطرقنا ضمن المطلب الأول إلى تعريف ونشأة وتطور النظام الدولي, والتعاريف المختلفة التي أعطيت لمصطلح الصراع في العلاقات الدولية, ثم إنتقلنا إلى المطلب الثاني وعرضنا ضبط وتحديد المفاهيم المشابهة للمصطلح والمتمثلة في التنافس الحرب،التوتر ،النزاع...الخ.
- **المبحث الثاني**: المقاربات المفسرة للصراع الأمريكي الروسي في منطقة الشرق الأوسط، حيث قمنا بتقسيم هذه المقاربات إلى إثنتين: في المطلب الأول مقاربة تنتمي إلى حقل نظريات العلاقات الدولية, وهي النظريات السائدة في هذا المجال والمتمثلة في النظرية الواقعية والليبرالية والماركسية، وفي المطلب الثاني مقاربات تنتمي إلى حقل الجيوبوليتيكا, والتي تهتم بتفسير الصراع بين الدول حول مناطق النفوذ الإستراتيجية في العالم، بالإضافة إلى التحول في مضامين مصطلح الشرق الأوسط، حيث مر هذا المصطلح بعدة تحولات تاريخية, كما أنه مصطلح يفتقد للإجماع حول تعريفه وذلك راجع إلى عدة اعتبارات سيتم التطرق اليها.

المبحث الأول

النظام الدولي ومفهوم الصراع في العلاقات الدولية

المطلب الاول: تعريف ونشأة وتطور النظام الدولي

تعريف النظام الدولي:

يعرف النظام الدولي بأنه نمط منتظم من أنماط التفاعلات الدولية على مستوى القمة بين الدول الكبرى، والتي يترتب على نوعية علاقاتها تحديد مناخ العلاقات الدولية في العالم كله، كما يعرف النظام الدولي على أنه حصيلة التوازنات بين القوى العالمية في مرحلة محددة، وهو مجموع القواعد والأعراف التي تفرضها هذه التوازنات لتدبير العلاقات بين الدول.

فالنظام الدولي هو حالة توازن بين الدول، وليس بين الأفراد أو بين جماعات ما قبل الدولة، وبالتالي لا يمكن أن يقوم النظام الدولي الحديث إلا بعد إنبعاث القوميات وإنتظامها في دول ذات سيادة. ما يؤكد أن اللبنة الأولى في بناء النظام الدولي هي مفهوم السيادة نفسه، إذ هو يمثل الإعتراف (بمواطنة) الجماعة القومية أو الجغرافية في النادي العالمي للدول. وذلك وفقاً لإتفاقية وستفاليا.

والنظام الدولي في أبسط معانيه هو نمط منتظم من التفاعلات بين وحداته وقواه الفاعلة، وتركز "مدرسة النظام الدولي" وهي إحدى المدارس الفكرية في العلاقات الدولية، على الدولة بوصفها وحدة التحليل الأساسية للنظام، فيما تركز مدارس فكرية أخرى على قوى فاعلة أخرى في النظام العالمي لا تقل أهمية عن الدولة القومية.

وعلى الرغم من أن الدولة ما زالت هي الأكثر أهمية في الوحدات المكونة للنظام العالمي، وفي تحليل العلاقات الدولية، إلا أننا نؤكد على أهمية "بروز أشكال جديدة من القوى الفاعلة الدولية، كالشركات العابرة للقارات والمؤسسات والمنظمات الدولية, كالبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية المؤسسات الإعلامية العالمية أو الإقليمية، ومؤسسات القضاء العالمي كمحكمة العدل الدولية أو المحكمة الدولية الجنائية, أو القضاء المحلي الذي يمارس سلطة عالمية كالقضاء البلجيكي أو الفرنسي وكلها تنافس الدولة وتعمل على الحد من سيادته...."

ومن هنا نجد أن مصطلح النظام الدولي يعني الترتيب القيادي أو البنى الهيكلية لقيادة العالم سياسياً وعسكرياً وإقتصادياً وثقافياً، وهو ينقلب على الدولة في مراحل تطوره، ويعمل على تآكل سلطانها الداخلي لحساب قيادة هذا النظام الدولي المعلوم، وهو يهدف إلى ضبط سلوك الدول والشعوب ويتعدى على الخصوصية لحساب ثقافة عالمية لها قيمها ومعاييرها يسميها العولمة[1] لذلك يتم التركيز على مستويين للتحليل، المستوى الأول هو النظام الدولي، ويقصد به دراسة التفاعلات

---

(1) محمد المجذوب:" التنظيم الدولي"، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، ص٢٥

الدولية على مستوى قمة النظام، والمستوى الثاني هو مستوى سلوك الدولة بإعتبارها الوحدة الأساسية التي يتكون منها هذا النظام.

نشأة النظام الدولي:

يجمع أغلب الباحثين في العلاقات الدولية أن الفضل يعود في نشوء ما أضحى يسمى الآن بالنظام الدولي إلى إتفاقية وستفاليا ١٦٤٨ م، هذه الإتفاقية التي أرست أسس الدولة القومية الحديثة، القائمة على مفهوم السيادة، ومبدأ عدم الإعتداء، وإحترام حرمة الحدود، حيث برزت الدولة كفاعل وحيد في العلاقات الدولية، وأصبحت الدولة ظاهرة جغرافية وسياسية، كما تعزز دورها ومكانتها في الحياة الإنسانية والعلاقات الدولية مع قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ م وما نادت به من أفكار جديدة لإدارة الدولة في النظام الدولي (ما بعد وستفاليا).

ومن أهم نتائج صلح وستفاليا نشوء النظام الدولي الحديث، وإنهاء حالة الصراع الدموي والتنافس بين القوى العالمية في داخل القارة الأوروبية، وإنتقاله إلى خارج القارة، بعد أن أبقت الاتفاقية الحدود القائمة، وأرست مبدأ السيادة، وأوقفت مبدأ الغزو داخلياً فيما شرعته خارجياً، وأصبحت الرغبة في السيطرة خارج حدود أوروبا هدفا بحد ذاته, وفي الواقع فإن صلح وستفاليا قد دشن مرحلة النظام الأوروبي وليس النظام الدولي أو العالمي، فدشنت وستفاليا نظاماً من التفاعلات التي تتم ويتم إحترامها فيما بين الدول الأوروبية بعضها البعض, ولا يتم التعامل بهذه القواعد أو الأطر خارج هذا السياق ولذا فمن الأفضل الإشارة إليه بالنظام الأوروبي في العلاقات الدولية لأنه لم يرتق ليصبح نظاماً عالمياً بالمعنى المتعارف عليه وإن كانت أغلب القوى الداخلة فيه هي القوى العالمية آنذاك, إلا أن هذا لا ينفي أنه تجاهل عدداً آخر من القوى التي كانت موجودة على الساحة العالمية حينها.

مع بداية السبعينيات من القرن الماضي، بدأت تتبلور رؤى فكرية جديدة ضمن ما أخذ يعرف فيما بعد بـ "ما بعد السلوكية" حيث وجهت إنتقادات شديدة للأفكار الأساسية للنظام الدولي، ومع إقتران النظام الدولي بثورة العلم والتقنية التي يشهدها عالمنا، إستخدمت كلمة (النظام) التي يجري إستعمالها في أكثر من علم، وهي هنا تعني إصطلاحياً مجموعة القواعد والإتجاهات العامة التي يشترك في إتباعها أفراد أو دول, ويتخذونها أساساً لتنظيم حياتهم الجماعية وتنسيق العلاقات التي تربط بعضهم ببعض وتربطهم بغيرهم، ويقوم عليها بناء سياسي أو إجتماعي أو إقتصادي أو ثقافي، وما يجري في هذا البناء من تفاعلات يسمى نظام فيما يعرفه البعض بأنه النظام المسيطر والمهيمن على القرارات الدولية.

مراحل تطور النظام الدولي:

لفهم طبيعة الظاهرة بشكل موضوعي نجد من الضروري أن نبين في نبذة موجزة مراحل تتطور النظام الدولي، وتحديد خصائص كل مرحلة، ورصد التغيرات التي حدثت بها، حتى يكون تقييمنا موضوعياً وفي الإطار الصحيح، وسنستعرض تطور النظام الدولي في ثلاث مراحل:

أولاً: مرحلة توازن القوى منذ صلح وستفاليا إلى إندلاع الحرب العالمية الأولى:

تبدأ هذه المرحلة من معاهدة وستفاليا سنة ١٦٤٨ , والتي أنهت الحروب الدينية في أوروبا، وأقامت النظام الدولي الحديث المبني على تعدد الدول القومية وإستقلالها، كما أخذت بفكرة توازن القوى كوسيلة لتحقيق السلام, وأعطت أهمية للبعثات الدبلوماسية، وتنتهي هذه المرحلة بنهاية الحرب العالمية الأولى، وفي هذه المرحلة كانت الدولة القومية هي الفاعل الوحيد في السياسة الدولية، ولم تعرف هذه المرحلة المنظمات الدولية ولا المؤسسات غير القومية مثل الشركات العالمية، وكانت قوة الدولة مرادفة لقوتها العسكرية، وكانت أوروبا تمثل مركز الثقل في هذا النظام. أما الولايات المتحدة الأميركية فلم يكن لها دور فاعل نتيجة سياسة العزلة التي كانت تتبعها.

كانت الفكرة القومية هي الظاهرة الأساسية في النظام الدولي، فهي أساس قيام الدول وأساس الصراع بين المصالح القومية للدول، ولم تكن الظواهر الأيديولوجية الأخرى كالرأسمالية والإشتراكية قد ظهرت بعد، ولقد قامت هذه المرحلة على أساس وجود توازن للقوى, وذلك لردع أي محور دولي من إستغلال أي تفوق مؤقت في قواه لتغيير معالم الوضع الدولي القائم، ومن أبرز خصائصه تعدد الدول وإستقلالها ومرونتها الكاملة في الدخول والإنسحاب من التحالفات والتجمعات الدولية.

توصف الرؤى الفكرية في علم السياسة الدولية هذه المرحلة (بالفوضى الدولية) والمقصود بذلك أن العلاقات الدولية تتسم بعدم وجود سلطة عليا فوق الدولة، ومن ثم فإن الدولة هي الحكم الأخير فيما تتخذه من قرارات، وما تقوم به من سلوكيات، ما يجعل من العلاقات الدولية عملية نزاع بالأساس.

المرحلة الثنائية القطبية من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى إنهيار الإتحاد السوفيتي

تبدأ هذه المرحلة من الحرب العالمية الثانية وحتى نهاية الثمانينيات من القرن الماضي, حيث إتجه النظام بعد الحرب العالمية الثانية نحو نظام الثنائية القطبية بين المعسكر الشرقي، بقيادة الإتحاد السوفياتي، والمعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأميركية، وتوسعت قاعدة النظام الدولي ومراكز القوى خارج أوروبا.

وخلال هذه المرحلة ظهرت الأيديولوجية كإحدى أهم الظواهر في المجتمع الدولي، وأخذ الإنقسام داخل النظام الدولي طابع الصراع الأيديولوجي بين المعسكر الشرقي الإشتراكي والمعسكر الغربي الرأسمالي، وتبع ذلك ظهور عدد من الظواهر مثل الحرب الباردة والتعايش السلمي والوفاق الدولي وغيرها وتميز نظام القطبية الثنائية بوجود مركزين متفوقين من مراكز القوى الدولية Dominant power، ويحيط بكل مركز منها عدد من الدول التابعة الأقل قوةً، ويكون للدول المسيطرة الحق في التوجيه ورسم السياسات وإتخاذ القرارات إحتكاراً داخل كل واحد من هذين المركزين من مراكز القوة الدولية. ولم تكن الدولة هي الفاعل الوحيد في العلاقات الدولية، فالنظام الدولي يتضمن العديد من الوحدات التي قد تأخذ شكل الدولة، وقد تأخذ أشكالاً أخرى سواء عابرة للدولة كالشركات متعددة الجنسيات، إضافة إلى وجود علاقات عبر الحدود بين جماعات داخلية كالأحزاب الإشتراكية في

العديد من الدول التي أسفرت عن إنشاء الإشتراكية كتنظيم دولي غير حكومي، أو ما دون الدولة ذاتها كالتنظيمات، وجماعات الضغط، وجماعات المصالح ذات الهدف الواحد، كما أن الصراع لم يعد هو السمة الأساسية للعلاقات الدولية، فقد ظهرت أشكال مهمة للتعاون كالإعتماد المتبادل بين الوحدات الدولية، ما أدى إلى تضاؤل أهمية الأشكال الصراعية للعلاقات الدولية .

لقد ظهرت قضايا دولية جديدة لا يمكن حسمها بالقوة العسكرية والصراع المسلح وإنما يتطلب حلها أشكالاً من التعاون الدولي، ومن ذلك قضايا الإرهاب، إرتفاع درجة حرارة الارض، التصحر، والإنفجار السكاني وتلوث البيئة، والهجرة، وثقب الأوزون، والأوبئة كأنفلونزا الطيور وأنفلونزا الخنازير، وبذلك لم تعد قضية الأمن بمعناها العسكري هي القضية التي تحظى بالأولوية، ما يعني أن ثمة تحول جوهري في العلاقات الدولية إلى أشكال مختلفة من التعاون تشمل المفاوضة والمساومة والحلول الوسط والوصول إلى إتفاقات جزئية وغيرها.

<u>الأحادية القطبية</u> :

تبدأ هذه المرحلة من نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن الماضي وحتى الآن، ويطلق عليها (النظام الدولي الجديد) . وتعود بدايات شيوع هذا المفهوم إلى حرب الخليج الثانية ١٩٩٠ حيث بدأت الدعاية الأميركية بالترويج لهذا المفهوم, رغم وجود محاولات سابقة في هذا المجال. وإتجه النظام الدولي خلال هذه المرحلة نحو أحادية القطبية عصر القطب الأوحد، بعد إنهيار الإتحاد السوفياتي وظهور الولايات المتحدة كقائد للمعسكر الرأسمالي المنفرد بقيادة العالم، وتمدد دورها وهيمنتها على الأمم المتحدة والشرعية الدولية، وشهدت هذه المرحلة زيادة عدد الدول نتيجة الإنقسامات والإنشقاقات التي حدثت في كثير من الدول، وفي الوقت نفسه يشير النظام خلال هذه المرحلة إلى أنماط تفاعلات جديدة تركز على الجوانب الثقافية والحضارية وتوزيع مصادر القوة والنفوذ بصورة جديدة تعطي دوراً أكبر للمنظمات غير الحكومية.

لقد إرتبطت هذه المرحلة ظاهرياً بمجموعة من القيم والمبادئ الأخلاقية والإنسانية مثل الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، وإحترام قواعد القانون الدولي، وإعلاء الشرعية الدولية وتسوية المنازعات بالطرق السلمية، بينما تم عسكرة العلاقات الدولية على أرض الواقع، ما يؤكد الطبيعة الثنائية للنظام، وشاع خلال هذه الفترة مفهوم (العولمة) الذي ارتبط بأحداث الثورة الصناعية الثالثة والطفرة الهائلة في وسائل وتكنولوجيا الإتصال، وعكست هذه المرحلة تعدد وتنوع المشكلات والتحديات التي تواجه الدول، خاصة في نصف الكرة الجنوبي، وما رافقها من تنامي إتجاهات التطرف والصراعات الداخلية وظهور أنماط من التصادمات والإحتكاكات في النظام القيمي والفكري.

وربط مفهوم العولمة بهيمنة النشاط الإقتصادي الرأسمالي، وتحول العالم إلى سوق إستهلاكية كبرى لمنتجات الشركات الصناعية الكبرى. أما في المجال الثقافي فالأمر يظهر وكأنه إنتصار لثقافة

الشمال المتقدم على الجنوب المتخلف وفرض الذوق والثقافة الأميركية والغربية على العالم[1] وأُعتبر ذلك في نظر المفكرين الأمريكيين, أن الأيدولوجيا الرأسمالية الليبرالية الحرة هي الأيدولوجيا العالمية، وإن الإلتحاق بالعالم الأول يفرض على دول العالم الجنوبية وبقية العالم أن تتبنى الأيدولوجيا الرأسمالية الديمقراطية الليبرالية.

وأول ما يميز هذه الحقبة عن جميع مراحل التاريخ السابقة، هو ما بدأ يتضح من تكوين يشابه إلى قدر بعيد التكوين الهيكلي للشركات المساهمة الكبرى المتعددة الجنسية بمفهومها الأمريكي, ويمكن وصفه بشكل مبسط بإسم (شركة العالم)، أو (العالم الشركة) وأعني بذلك أن صيرورة كرتنا الأرضية متجهة نحو التحول لتصبح ملكًا لشركة يساهم فيها العالم كله، تستغل موارده وتديره وفقا لنظام الشركة، إضافة إلى مواصلة إقصاء الدولة، والحديث عن صيغة جديدة لها، وينقل صالح الخريبي عن فيليب بوبيت قوله، "إن العالم يشهد حالياً ولادة شيء جديد لا علاقة له بكل الأنماط السابقة يدعى (الدولة السوق) , حيث تكون علاقة الدولة بمواطنيها أشبه بعلاقة المؤسسة التجارية بالمستهلكين".

وفي النهاية فإن تطور النظام الدولي إلى نظام عالمي, وتطور مراحل القطبية السياسية من التعدد إلى الثنائية إلى الأحادية أو شبة الأحادية, يدعونا للتساؤل حول مستقبل النظام الدولي وما سوف يؤول إليه مستقبلاً, هل ستستمر القطبية الأحادية للولايات المتحدة أم أن التعدد القطبي سيطل برأس من جديد على النظام الدولي وغيرها من التساؤلات, التي قد تشكل المرحلة الإنتقالية والتي سوف تمر بها الهيكلية الدولية إنتقالياً لمرحلة أخرى جديدة قائمة على أحادية جديدة أو ثنائية جديدة أو جماعية جديدة , أي أن نظام اللا قطبية قد يكون نظاماً إنتقالياً يهيئ الأجواء نحو هيكلية دولية أخرى، فالفجوة العالمية ما بين الدول التي تشكل الهيكلية الدولية الحالية كالولايات المتحدة الأمريكية وروسيا الإتحادية والإتحاد الأوروبي والصين والهند واليابان, قد تقلصت كثيراً مع باقي الدول التي أصبح لها دور فاعل في النظام الدولي كالبرازيل والأرجنتين والتشيلي والمكسيك وفنزويلا وكوبا في أمريكا اللاتينية، وكذلك نيجيريا وجنوب أفريقيا في أفريقيا، بالإضافة بالطبع إلى إيران وإسرائيل وتركيا والسعودية في الشرق الأوسط، إلى جانب الباكستان في جنوب آسيا وأستراليا وكوريا الجنوبية وكوريا الشمالية في شرق آسيا.

كما أن هناك منظمات راسخة يمكن إدراجها على قائمة مراكز القوى الدولية منها صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمات الأمم المتحدة والمنظمات الإقليمية والشركات العابرة للقارات ووسائل الإعلام الحديثة والمؤسسات القضائية العالمية، وكل هذه التطورات حدثت بفعل المفعول القوي للعولمة التي إجتاحت كل شبر من هذا العالم.

---

[1] حسن نافعة:" الأمم المتحدة في نصف قرن: دراسة في تطور التنظيم الدولي منذ عام ١٩٩٥" ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط ١،عدد ١٩٩٥، ٢٠٢ ، ص٤٢٤

المطلب الثاني: الصراع في العلاقات الدولية والمفاهيم المشابهة له

تشكل المفاهيم حجر الزاوية الأساسية في كل دراسة، لهذا فإننا سنركز على مصطلح الصراع للتعريف به و التفريق بينه و بين المفاهيم المشابهة له في حقل العلاقات الدولية.

وسوف نقوم أولا بتقديم أهم التعاريف المقدمة لكل مصطلح من المصطلحات المشابهة للصراع ثم نقوم بعدها بتحديد أهم الفروقات على النحو التالي:

- **أولاً: مفهوم التنافس في العلاقات الدولية**

هناك العديد من التعريفات التي قدمت بشأن التنافس الدولي أو التنافس في العلاقات الدولية, ويمكن القول أن التنافس الدولي يقصد به الإختلالات الموجودة في المجتمع الدولي[١] وهي إختلالات تتضخم و تأخذ صورة الصراع إذ لم تتم معالجتها، فالدول تسعى إلى تعظيم مكاسبها وفقاً لمفهوم المصلحة الوطنية, بشكل قد يتناقض مع مصالح دول أخرى مما قد يولد حالة من التنافس، وقد يشمل التنافس مجالاً محدداً , و قد يتسع ليشمل مجالات عديدة كالتنافس الإقتصادي والسياسي والحضاري، خاصة إذا كانت الدول التي يطبع علاقاتها التنافس, مختلفة إيديولوجيا أو إقتصادياً أو سياسياً. كما يعرّف التنافس بأنه مفهوم سياسي يشير إلى حالة من الإختلاف بين الدول لا تصل إلى مرحلة الصراع, وتأخذ أبعاداً إقتصادية أو سياسية لتحقيق مصالح ومكانة في الإطار الدولي أو الإقليمي[٢]، ويعرّف أيضاً أنه حالة يختلف فيها طرفان أو أكثر حول أهداف غير متوافقة, سواء أكانت تلك الأهداف حقيقية أو متصورة أو حول الموارد المحدودة. كما يعرّف على أنه موقف معيّن يكون لكل من المتفاعلين فيه علماً بعدم التوافق في المواقف المستقبلية المحتملة، كما يكون كل منهم مضطراً أيضاً لإتخاذ موقف غير متوافق مع المصالح المدركة للطرف الآخر[٣].

- **ثانياً: مفهوم الصراع في العلاقات الدولية**

المصطلح الأقرب والأكثر تداخلاً مع مصطلح التنافس هو الصراع، يعرّف الصراع أيضا على أنه صدام بين طرفين أو أكثر من القوى أو الأشخاص الحقيقيين أو الإعتبارين يحاول فيه كل طرف تحقيق أهدافه ومنع الطرف الآخر من تحقيق ذلك بمختلف الوسائل و قد يكون مباشراً أو غير مباشراُ سلمياً أو مسلحاً، واضحاً أو كامناً[٤] .

كما يعرّف الصراع على أنه تنازع للإرادات الوطنية، وهو التنازع الناتج عن الإختلاف في واقع الدول وفي قراراتها وأهدافها وتطلعاتها وفي مواردها وإمكاناتها, مما يؤدي إلى إتخاذ

---

[١] عبد الله فلاح عودة العضايلة: "التنافس في آسيا الوسطى"، مذكرة ماجستير،قسم العلوم السياسية، كلية الادب والعلوم ،جامعة الشرق الاوسط، ٢٠١١، ص. ٤

[٢] المرجع عينه ص٣

[٣] منير محمود بدوي:"مفهوم الصراع، دراسة في الأصول النظرية للأسباب والأنواع"، مجلة الدراسات المستقبلية، العدد ٣ ،١٩٩٧،ص٣٦

[٤] حسين قادري:" النزاعات الدولية"، دراسة وتحليل، منشورات خير جليس، الجزائر ، ٢٠٠٧ ص ١٩

قرارات أو إنتهاج سياسات خاصة تختلف أكثر مما تتفق[١]. أما البعض من الباحثين فيذهب إلى إعتبار الصراع على أنه تنافس مثل لويس كوسر الذي عرف الصراع على أنه تنافس على القيم وعلى القوة والموارد يكون الهدف فيه بين المتنافسين تحييد أو تصفية أو الإضرار بالخصوم[٢].

- **ثالثاً: مفهوم النزاع في العلاقات الدولية**

يعرّف النزاع بأنه تسلسل ينطلق من نشوء أزمة حيث تتطور إلى نزاع قد يكون على شكل عسكري، أو يتطور إلى أشكال أخرى إقتصادية، أمنية أو إعلامية. أما النزاع الدولي فهو تنازع وتصادم إرادات ومصالح الدول الوطنية، هذا التنازع والتصادم يكون ناتجاً عن الإختلاف في دوافع الدول وفي تصوارتها وأهدافها ومواردها وإمكانياتها مما يؤدي إلى تصرفات وسياسات تختلف أكثر مما تتفق، وعلى الرغم من هذا يبقى أغلب النزاعات بعيدة على نقطة الحرب.

يؤكد العديد من المفكرين بأن مسألة النزاع هي ظاهرة طبيعية مغروسة في النظام الدولي بالإضافة إلى طبيعة الإنسان الأنانية وكذلك الطبيعة التنافسية للنظام الدولي، الأمر الذي يجعل من إمكانية التنبؤ بحدوث النزاع صعبة ومعقدة[٣].

نجد تعريف لريمون آرون الذي يعرف النزاع على أنه ليس وليد الوقت الحالي بل هو موجود منذ العصور القديمة وهو نتيجة لتضاد المصالح.

تعريف آلن فيرجيسون أن النزاع يبدأ عندما تقوم دولة ما بفعل تكون تكلفته كبيرة لدولة أخرى أو في الوقت نفسه تعتقد الدولة الأخرى أن بإمكانها تقليل خسارتها بالقيام بفعل مضاد تجاه الدولة الأولى التي بدأت بالمبادرة بالفعل، وعليه فإن الوضع يدل على أننا أمام دولتان، أو مجموعة من الدول تحاول تحقيق أهدافها في نفس الوقت[٤].

يعرّف كمال حمّاد النزاع بأنه خلاف حاد وتاريخي حول منافع محددة بين دولتين، يكون موضوعها أحد المصالح الحيوية مثل الحدود والمياه، ويتشعب أو يتقلص نظراً للتدخل الخارجي فيه[٥].

يرى الكثير من المفكرين أن هناك تصورين للنزاع تصور موضوعي يعتبر النزاع بأنه وضع تنافسي تكون فيه الأطراف واعية بتعارض المواقف التي تريد أن تحققها الأطراف الأخرى، وتصور ذاتي يعني إدراك الوضع الموضوعي إدراك مشوهاً وخاطئاً لأنه ينطلق

---

[١] علاء أبو عامر:" العلاقات الدولية", دار الشروق للنشر, عمان ٢٠٠٤, ص١٩٠

[٢] جيمس دورتي وروبرت بالتسغراف, النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية", ترجمة وليد عبد الحي, بيروت, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ١٩٨٦, ص١٤٠

[٣] حسين قادري, مرجع سابق, ص ١١

[٤] المصدر عينه ص ١٢

[٥] كمال حماد:" النزاعات الدولية", الدار الوطنية للدراسات والنشر, بيروت ١٩٩٧, ص٢٧

من الذاتية والخصوصية. أي أن النزاع في تصوره الموضوعي يقوم على إعتبارات واقعية ومدركة من طرف الأطراف المتنازعة من أجل الدفاع عن مصالحها، في حين يصبح النزاع ذاتياً إذا ما إعتقد في فهم وتفسير النزاع على دوافع ذاتية للأطراف وليس لما هو موجود ومدرك حقيقة على أرض الواقع[١].

لذلك ووفقاً لما سبق يمكن تعريف للنزاع على أنه تناقض في المصالح غالباً ما تكون مفاجئة بين طرفين أو أكثر تؤدي إلى التصعيد في الموقف بهدف الحفاظ على المصالح المهددة، مع الإستعداد والإستخدام الفعلي لوسائل الضغط ومستوياته المختلفة سواءً كانت سياسية أو إقتصادية أو عسكرية.

- **رابعاً: <u>مفهوم الحرب في العلاقات الدولية</u>**

تعد الحرب أكثر صور العنف شيوعاً وشهرةً في الصراعات الدولية منذ القدم، وبذلك يمكن تقديم العديد من التعريفات للحرب:

أ- يعتبر كارل فون كلاوزفيتز أن الحرب ليست شيئاً مختلفاً عن المبارزة على نطاق واسع، فالحرب عمل من أعمال العنف، يستهدف إكراه الخصم على تنفيذ إرادته، كما يعتبر كلاوزفيتز الحرب بأنها إمتداد للسياسة بوسائل أخرى، وعمل عنف يقصد منه إجبار الخصم على الخضوع، فالحرب حسب كلاوزفيتز تعبر عن ظاهرة إستخدام العنف والإكراه كوسيلة لحماية مصالح أو لتوسيع نفوذ أو لحسم خلاف حول مصالح متعارضة بين طرفين من البشر بوسيلة العنف وأقصى ما توصل إليه الإنسان من وسائل إدارة الحروب[٢].

ب- ويعرّف غاستون بوتول الحرب بأنها العنف الهائج والمنتظم الذي تسبغ عليه صفة القداسة، وهي المجابهة الدموية بين مجموعات داخلية أو دولية لأغراض سياسية، وهي أيضا الحالة التي تكون فيها نسبة الموتى بالقتل الجماعي مرتفعة جداً من الناحية العددية[٣].

ت-هناك تعريف آخر للحرب على أنها : الصدام الفعلي بوسيلة العنف المسلح لحسم التناقضات الجذرية التي لم يعد يجدي معها إستخدام الأساليب الأكثر ليناً أو الأقل تطرفاً، وقد ذهب بعض الباحثين كسنفر وسمول ودويتش إلى أن قيام الحرب يستوجب ثلاثة شروط:

---

[١] حسين ابو قارة:"تحليل النزاعات الدولية", الجزائر دار هومة ٢٠٠٨, ص١٠

[٢] كارل فون كلاوزفيتز قائد عسكري الماني, الحرب, ص١٤

[٣] غاستون بوتول واخرون:" الحروب والحضارات", ترجمة أحمد عبد الكريم, دمشق, دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ١٩٨٤, ص٢٤.

١) وجود ألف قتيل كحد أدنى نتيجة للنزاع المسلح.
٢) تحضير مسبق للنزاع عبر وسائل التعبيئة والتجنيد والتدريب ونشر القوات المسلحة.
٣) وجود تغطية شرعية أي أن هناك دولة تعتبر ما تقم به ليس بمثابة جريمة بل هو واجب لخدمة أهداف جوهرية وشرعية[١].

أصحاب الإتجاه الفعلي في تصور الحرب يميلون إلى تصور الحرب على أنها تعبير عن الطبيعة الإنسانية المعقدة بكل طموحاتها ورغباتها وأهدافها وأحقادها وتطلعاتها, بل ولعقلانيتها أحياناً، ويرى هؤلاء أن الحرب تنبع من أحد المواقف التالية:

- المواقف التي يجد فيها القادة أو الحكومات أنفسهم مرغمين على الإختيار بين أن يحاربوا أو أن يفقدوا وجودهم، ومن ثم فهم يقاتلون إذعاناً لمبدأ الضرورة.
- المواقف التي يقاتل فيها القادة أو الحكومات على سبيل الإستجابة لبعض المؤثرات الضاغطة بصورة تصبح معها الحرب بمثابة رد فعل حتمي لا مفر منه.
- المواقف التي يقاتل فيها القادة والحكومات لتحقيق أهداف معينة كالثروة أو القوة أو لتوثيق عبر التضامن القومي وحيث تبدو الوسائل الأخرى أقل فاعلية.
- المواقف التي يقاتل فيها القادة والحكومات تحت ضغط الشعور بالإحباط أو للتنفيس عن بعض العقد والمركبات, وتكون الحرب وسيلة لتحقيق الشعور بالإسترخاء من هذه الضغوط والتوترات النفسية المستمرة[٢].

ما يمكن أن نشير إليه أن النظرة إلى الحرب من حيث تعريفها وأنواعها قد تغيرت في الوقت الحالي وأصبحت أكثر تعقيداً، وأصبحت متعددة الأبعاد التي قد تكون بين الدول أو بين مجموعة من الدول في شكل تحالف وجماعة إرهابية في منطقة (محاربة الإرهاب الدولي)، أو قد تكون حروباً بالواسطة تقوم بها جماعات وطنية مسلحة أو من المرتزقة أو من المقاتلين الأجانب لصالح دول تقدم لها الدعم اللوجستي والسياسي لتحقيق الأهداف والغايات التي تريدها هذه الدول, أو قد تكون في شكل صراع كامن غير مسلح يظهر من خلال التحالفات الإقليمية والدولية والمؤتمرات الدولية.

- **خامساً: <u>مفهوم التوتر في العلاقات الدولية</u>**

هو حالة من القلق وعدم الثقة المتبادلة بين دولتين أو أكثر، قد يكون التوتر سابقاً وسبباً في النزاعات والأزمات الدولية أو نتيجة لهذه النزاعات، حيث من الممكن أن تتصاعد حدة التوتر لتصل إلى حد تتحول معه الأزمة إلى نزاع قد يكون مسلحاً إذا لم

---

[١] ناصيف يوسف حتي:" النظرية في العلاقات الدولية", لبنان دار الكتاب العربي ١٩٩٥,ص ٢٩٤.
[٢] علاء أبو عامر, مرجع سابق ص ١٩١

يتم إحتوائه بالطرق السلمية, وعموماً تكون أسباب التوتر في الغالب مرتبطة بأسباب النزاع.

عبد العزيز جارد يعرّف التوتر بإعتباره أول مرحلة للنزاع وبأنه"حالة شيء يهدد بالقطيعة". أما مارسيل ميرل فيعتبر التوتر بأنه مواقف نزاعية لا تؤدي مرحلياً على الأقل إلى اللجوء إلى القوة.

ويشير التوتر أيضاً إلى حالة عداء وتخوف وشكوك وتصور وتباين المصالح أو ربما الرغبة في السيطرة أو تحقيق الإنتقام, غير أنه يبقى في هذا الإطار دون أن يتعداه ليشمل تعارضاً فعلياً وصريحاً وتهديداً متبادلاً من الأطراف للتأثير على بعضهم، ويعتبر التوتر في هذا الموقف حالة سابقة على النزاع.

إذن يمكن أن يعتبر التوتر بداية لحالة نزاعية لكنه لا يتعارض مع وجود حالات التعاون، كما أن التوتر كمرحلة سابقة للصراع لا يؤدي وحده إلى الحرب, وإنما ذلك يعود إلى ميل الأطراف لإستخدام أو إظهار سلوك الصراع، بمعنى أن الشك والريبة وعدم الثقة بين الأطراف ليست كافية لتوليد الصراع بين الأطراف، وإنما الموقف المتعارض لأطراف النزاع، ويذهب هولستي في هذا الإطار إلى أن العداوة والريبة والشك لم تكن شروطاً كافية لحدوث صراع أو أزمة، أي أن التوتر قد لا يتحول إلى صراع إذا تمكنت الأطراف من الحد من شدة التعارض في المواقف.

- **سادساً: <u>مفهوم الأزمة في العلاقات الدولية</u>**

يعد مصطلح الأزمة من المصطلحات الكثيرة المختلف حول تحديد معناها ومفهومها بدقة، وينبع ذلك من إختلاف المستويات التي تحدث فيها الأزمة، حيث يستخدم مصطلح الأزمة بشكل واسع في مسائل عديدة فنقول أزمة إقتصادية، أزمة نقدية، أزمة نفسية، أزمة غذائية...إلخ، فالأزمة يمكن أن تحدث في أية جهة من الجهات و في أي مكان أو زمان، ويمكن بشكل من الأشكال منع وقوع بعض الأزمات، في حين أن البعض الآخر لا يمكن معالجتها أو السيطرة عليها مما قد تتحول معها إلى نزاع مسلح[1].

في مجال العلاقات الدولية أصبحت الأزمة الدولية محل إهتمام العديد من الباحثين الذين حاولوا وضع تعريف واضح للأزمة, لكن الرؤى الفكرية لكل باحث أدت إلى تعدد التعاريف بخصوص مصطلح الأزمة الدولية من بين تلك التعاريف نجد :

تشارلز ماكليلاند يعرفها بأنها عبارة عن تفجيرات قصيرة، تتميز بكثرة وكثافة الأحداث فيها، وتتميز أيضا بالسلوك المتكرر، أي أن كل أزمة تأخذ مساراً مماثلاً لغيرها.

[1] حسن البزاز:" إدارة الأزمة بين نقطتي التحول والغليان", بيروت, المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع والنشر ٢٠٠١ ص١٣

ويعرفها تشارلز هيرمان بأنها تهديد كبير ومفاجئ في وقت قصير، و من خلال هذا التعريف نستنتج بأن الأزمة لها ثلاث خصائص رئيسية:

- عنصر المفاجأة: كون الأزمة لا تكون متوقعة بالنسبة لصانع القرار.
- عنصر التهديد: أي أن درجة التهديد التي تواجه وحدة صنع القرار كبيرة.
- عنصر الزمن: من حيث محدودية وقت الإستجابة للأزمة، إذ أن صانع القرار لا يملك متسعاً من الوقت للتعامل مع الأزمة بحكم أنها مفاجئة.

هناك من يتجه إلى تعريفها بأنها فعل أو رد فعل إنساني يهدف إلى توقف أو إنقطاع نشاط من الأنشطة أو زعزعة إستقرار وضع من الأوضاع، بهدف إحداث تغيير في هذا النشاط أو الوضع لصالح مدبره[١].

جون سبانير يعرَف الأزمة بأنها موقف تطالب فيه دولة ما بتغيير الوضع القائم وهو الأمر الذي تقاومه دول أخرى، مما يخلق درجة عالية من الإدراك بإحتمال إندلاع الحرب[٢]. أما آلان فيرغسون يقول "إن الأزمة تبدأ عندما تقوم دولة بفعل تكون تكلفته كبيرة لدولة أخرى[٣]

إذن الأزمة هي تعبير عن وضع نزاعي مؤقت يحمل طابع التهديد والمفاجأة، بالإضافة إلى كثرة الأحداث التي قد توصل الأزمة إلى الحرب إذا لم يتم إدارتها بشكل جيد، كما تعبر على أنها نقطة تحول هامة في مسار الصراع تعبر عن رغبة طرف من الأطراف في إنهاء حالة الخلاف لصالحه, وذلك بإتباعه سلوكاً مفاجئاً وغير متوقع يفهمه الآخر على أنه تهديد مباشر لوجوده، وقد يعمق من حجم التضارب الموجود، مما يخلق درجة عالية من الإدارك بإحتمال إندلاع الحرب.

وتمر الأزمة عند حدوثها بعدة مراحل تختلف فيما بينها من حيث الشدة والمدة التي تستغرقها، وتتميز كل مرحلة بخصائص معينة وهذه المراحل هي كالتالي:

- مرحلة التصاعد وهي المرحلة التي تزداد فيها حدة الأزمة وتبلغ درجة الخطر.
- مرحلة التناقص وفيها تنقص حدة الأزمة وتقل كثافتها.
- مرحلة الإستقرار أي إستقرارها عند حد معين دون تعقيدها بإنتظار تسويتها.

---

[١] عباس رشدي العماري:" إدارة الأزمات في عالم متغير", القاهرة مركز الأهرام للترجمة والنشر١٩٩٣, ص ١٩

[٢] حسين قادري, مرجع سابق ص٢١

[٣] محمد عبد الغفار:"فض النزاعات في الفكر والممارسة الغربية", الجزائر, دار هومة ٢٠٠٣,ص ٢٣٧

- مرحلة التلاشي أو الإنتهاء وفيها تنتهي الأزمة إما بالحل السلمي أو باللجوء إلى الحرب[1].

[1] قحطان حسين, غيث سفاح, متعب الربيعي:"ماهية الأزمة الدولية, دراسة في الإطار النظري", مجلة العلوم السياسية, جامعة بغداد العدد ٤٢, ص١٥٢

المبحث الثاني:

مصطلح الشرق الأوسط والمقاربات النظرية المفسّرة للصراع الأمريكي الروسي فيه

إن مصطلح الشرق الأوسط إرتبط منذ القدم بالمشاريع الجيوبوليتيكيه لأوروبا في المرحلة الأولى, ثم بمشروع الولايات المتحدة الأمريكية كنظام سائد على مستوى العالم حيث سنتطرق من خلال المطلب الأول إلى المراحل التاريخية التي مر بها هذا المصطلح والتحولات التي جرت عليه.

إن التنافس والصراع ظاهرة أساسية في العلاقات الدولية حظيت بإهتمام أكاديمي كبير من قبل باحثي ومنظري هذا الحقل المعرفي. لهذا فإن الباحث يجد نفسه أمام صنفان من المقاربات المفسرة لهذه الظاهرة، الصنف الأول من المقاربات تنتمي إلى نظريات العلاقات الدولية, حيث نجد أنفسنا أمام ثلاث نظريات أساسية تمتلك تصوارت مختلفة لهذه الظاهرة:

النظرية الواقعية، النظرية الليبرالية، والنظرية الماركسية. أما الصنف الثاني من المقاربات فهي مقاربات تنتمي إلى حقل الجيوبوليتيكيا ذلك الحقل الذي يهتم بنظريات السيطرة الإستراتيجية، حيث يجد الباحث نفسه أمام العديد من المقاربات التي تبحث في ميدان التنافس والصراع بين الدول حول السيطرة على المناطق ذات الأهمية الإستراتيجية.

بناءً على ما سبق، فإننا سنتطرق من خلال المطلب الثاني إلى تصور مقاربات العلاقات الدولية للتنافس الأمريكي الروسي ومقاربات الجيوبوليتيكا, ونظرتها للتنافس بين الولايات المتحدة وروسيا حول منطقة الشرق الأوسط.

المطلب الأول: التحولات في مضامين مصطلح الشرق الأ وسط

يتناول هذا المطلب التحولات في مضمون مصطلح الشرق الأوسط في العلاقات الدولية، فمصطلح الشرق الذي يعود إلى العصور القديمة، قد أستخدم لوصف البقية من غير أوروبا من خلال دلالات ثقافية بدلاً عن الجغرافية لتصوير العالم المعاكس لأوروبا لعقود عديدة. فمنذ الحروب الصليبية، ربط مصطلح الشرق مع الإسلام والغرب مع المسيحية إستناداً إلى إثنين من النظم العقائدية المختلفة. في هذا السياق، يمكننا أن نقول أن الشرق والغرب كانا يعنيان الأفكار، وليس الحدود الجغرافية.

بناءً على ما تقدم، ظهرت مصطلحات مختلفة ذات صلة بالشرق مثل الشرق الأدنى والشرق الأوسط والشرق الأقصى, وهي مصطلحات أوروبية ولا يمكن إعتبارها موجودة وفهمها دون الأخذ بعين الإعتبار لحقيقة الإمبريالية الغربية في القرن التاسع عشر، وكنتيجة للتطوارت السابقة، أدخل مصطلح الشرق الأوسط إلى أدبيات العلاقات الدولية كمصطلح سياسي حديث، وأعتمد أيضا من قبل عدة بلدان في المنطقة. مع نهاية الحرب الباردة وخصوصاً بعد أحداث ١١ ايلول، أدخلت مصطلحات

سياسية جديدة مثل: الشرق الأوسط العظيم والشرق الأوسط الكبير والشرق الإسلامي، في المصطلحات اليومية.

وما تجدر الإشارة إليه أن مضمون التعاريف الجديدة التي وضعتها الولايات المتحدة في سياق ديمقراطية العالم الإسلامي تتعلق بشكل وثيق بعدة إعتبارات سياسية سيتم التفصيل فيها لاحقاً.

مصطلح الشرق الأوسط قبل الحرب الباردة

منذ حوالي خمسة وأربعين عاما، أكد الباحث بيرسي بأن منطقة الشرق الأوسط هي في الواقع منطقة مجهولة وغير محددة المعالم، ولهذا يرى بيرسي بأن هناك أنواع مختلفة جداً من التعريفات الغامضة حول المنطقة تستخدم في اللغة الغربية، خصوصاً في السنوات الأخيرة, حيث مصطلحات مثل الشرق الأوسط العظيم، والشرق الأوسط الكبير والشرق الإسلامي, غالباً ما تكون مستخدمة في الأدبيات العلمية ووسائل الإعلام, مما جعل الإجابة على مسألة أين تكمن حدود المنطقة بالضبط، مسألة أكثر أهمية من أي وقت مضى. إذا كان الأمر كذلك، ألا يمكن تعريف المنطقة بشكل صحيح؟ أين هو الشرق الأوسط؟ أين تبدأ وتنتهي حدوده الجغرافية؟

بالرجوع إلى الكتابات الماضية، فإنه يمكننا رصد تصوارت وتعريفات تتعلق بالشرق في الأعمال القديمة، حيث كان لهذه الأعمال تأثير مباشر على التصوارت العقلية للعصور الحديثة، فقد كان الشرق في البداية يتألف من مصر في اليونان القديمة.

أما في أوروبا العصور الوسطى، فقد إستخدم الرومان مصطلح Oriens الذي يأخذ جذوره من الكلمة اللاتينية Oriens Sol التي تعني شروق الشمس لتعريف المنطقة. ثم إستخدم ضمنيا للتعبير عن النصف الشرقي الذي يعبر عن الإمبراطورية البيزنطية والرومانية. ثم لاحقاً وفي هذه الفترة، أستخدم المصطلح أيضاً للدلالة عن شرق القدس التي سميت بإسم الأرض المقدسة مع أوسع معانيها في سياق تقليد الكتاب المقدس.

كان مصطلح المشرق مستخدماً عموماً في أوروبا لتحديد منطقة ذات مجموعة واسعة من البلدان تشمل البلدان الناطقة بالعربية، تركيا، إيران، الهند و الصين حتى القرن التاسع عشر، ومع مرور الوقت إستخدمت العديد من التعريفات المختلفة لوصف هذا المجال الإقليمي.

فقد أكد كاروس الذي أخذ في الإعتبار أن هناك تعريفات مختلفة في لغات مختلفة وفي أوقات مختلفة، بأن الوصول إلى تصنيف واضح فعلاً ومنهجي مرتبط بالشرق الأوسط غير ممكن، لكن إذا كان هناك شيء مشترك بين كل هذه التعريفات المختلفة، هو التصور الأوروبي أو وجهة النظر الأوروبية السائدة على هذه التعريفات، لأنه عند النظر من أوروبا، يصبح الشرق الأدنى، المتوسط أو الأقصى محدد بدقة أكثر، لهذا فإنه من الضروري أن ننظر إلى تاريخ الإمبريالية من أجل فهم مصطلح الشرق الأوسط في سياقه الحديث.

بدأ السباق للإستيلاء وتقاسم الشرق الأوسط بين القوى الأوروبية العظمى بعد حملة نابليون على مصر(١٧٩٨-١٨٠١)، ومنذ ذلك الوقت أدمجت المنطقة في السياسة العالمية كحل ولا يزال الوضع على حاله حتى الآن.

ظهور الشرق الأوسط الحديث كمصطلح سياسي

الشرق الأوسط من المناطق الإقليمية الأكثر غموضاً مقارنة مع المناطق والأقاليم الأخرى في العالم، وقد عبر عنه الباحثون والكتاب وحتى الهيئات الحكومية والدولية بمصطلحات متباينة سواءً للدلالة عليه كليا" أو جزئياً ومن أهمها ما يلي: اللفانت Levant، الشرق القديم أو الأقدم Most Ancient East، الصحاري الكلاسيكية Classical Deserts، جنوب غرب آسيا South West Asia، الشرق القريب Hither East، الشرق الأدنى، الشرق الأوسط[١]. وفي أيلول ١٩٠٢ قام ماهان بنشر مقالاً بعنوان الخليج الفارسي والعلاقات الدولية في مجلة THE British national Review حيث أنه ولأول مرة أستخدم عبارة الشرق الأوسط للدلالة على خليج عدن والهند، وفقاً لمفهوم ماهان كان الشرق الأوسط منطقة بين السويس وسنغافورة.

بعد شهرين على مقالة ماهان، بدأ مراسل صحيفة التايمز البريطانية Chirol Valentin بنشر سلسلة من المقالات تحت عنوان "مسألة الشرق الأوسط ". وبالتالي، مصطلح الشرق الأوسط تمركز في الهند وأصبح أرسخ في الأدب الدولي بعد منشوارت ماهان وشيرول.

أدى تحالف الإمبراطورية العثمانية مع ألمانيا، ضد فرنسا وبريطانيا من أجل منع الإنهيار في الحرب العالمية الأولى إلى تصعيد المنافسة بين الدول الأوروبية الذين كانوا يعملون لكسب التأثير على الإمبراطورية العثمانية، ولذلك بدأت فرنسا وبريطانيا بدعم العرب ضد الإمبراطورية العثمانية، وفي نفس الوقت وقعتا سراً معاهدة سايكس بيكو(١٩١٦) على كيفية تقاسم الأراضي العربية التي كانت لا تزال تحت الحكم العثماني.

ووفقاً للخطة السرية، وفيما بعد قبل مؤتمر سان ريمو (١٩٢٠)، إحتلت فرنسا سوريا ولبنان بينما إحتلت بريطانيا، فلسطين، العراق وشرق الأردن، وفي آذار ١٩٢١ حدد وينستون تشرشل سياق مصطلح الشرق الأوسط كمنطقة ممتدة من البوسفور إلى الحدود الغربية للهند، وبهذه الطريقة، بدأ مصطلح الشرق الأوسط يغطي المنطقة الجغرافية التي كان يقصد بها من قبل الشرق الأدنى[٢].

---

[١] يحي أحمد الكعكي:" الشرق الأوسط والصراع الدولي", بيروت دار النهضة ص١٤٧.

[٢] محمد رياض:"الشرق الأوسط, دراسة في التطبيق الجيوبوليتيكي والسياسي" بيروت دار النهضة العربية للطباعة والنشر ١٩٨٤, ص٢٢

مصطلح الشرق الأوسط خلال الحرب الباردة

بدأت بنية المنطقة في التغير بالتوازي مع التغييرات الهيكلية للقوى العظمى على الصعيد العالمي فبعد الحرب العالمية الثانية أصبحت منطقة الشرق الأوسط أكثر إستراتيجية بسبب مواردها الطاقوية بالنسبة لأمريكا، ولذلك أصبح مصطلح الشرق الأوسط أكثر شعبية ويغطي منطقة ممتدة من مالطا إلى إيران وسوريا، ومن هناك إلى أثيوبيا، وترسخ المصطلح بطريقة قوية في أدبيات العلاقات الدولية، في حين أن مصطلح الشرق الأدنى بدأ يفقد أهميته ومحتواه في مقابل الإستخدام المكثف لمصطلح الشرق الأوسط.

إشكالية ترسيم حدود الشرق الأوسط

على الرغم من تسوية مصطلح الشرق الأوسط في الأدب العالمي، إلا أنه ليس هناك إتفاق مشترك على إمتداد المنطقة الجغرافية وبلدان الشرق الأوسط إذن أين هو مكان الشرق الأوسط بالضبط ؟

يتم وضع حدود الشرق الأوسط بأشكال مختلفة للغاية بسبب إختلاف المصالح والمعايير، وفي معنى أوسع، يمكننا أن نقول أن منطقة شرق الأوسط تغطي المنطقة من إثيوبيا جنوباً، تركيا شمالاً، أفغانستان وباكستان شرقاً إلى المغرب غرباً, وعندما ننظر إلى الباحثين الذين يأخذون في الإعتبار مراعاة المعايير الجغرافية المتصلة برسم حدود الشرق الأوسط نرى على سبيل المثال، أن الشرق الأوسط وفقا للباحث Tunçdilek هو المنطقة الممتدة بين البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط، البحر الأحمر والخليج العربي وبحر قزوين[١]

أما الجغرافي السويسري Boesch، فيستخدم المصطلح الألماني Mittlerer Osten للدلالة عن الشرق الأوسط ويرى بأن حدود المنطقة كمنطقة جغرافية هي بين ساحل بلاد الشام وريفها، والسهول من نهري دجلة والفرات، والشمال مناطق الصحراء العربية والخليج العربي[٢]

وعرّف الأمريكي Hurewitz الشرق الأوسط بأنه المنطقة بين المغرب وأفغانستان كما يرى الباحث Brown بأن الشرق الأوسط هو حدود الإمبراطورية العثمانية السابقة، أي أن الشرق الأوسط حسب بروان يشمل: الجزائر، تونس، ليبيا، لبنان، مصر وسوريا وفلسطين والعراق وشبه الجزيرة العربية وبالطبع تركيا.

ويرى Hudson أن الشرق الأوسط ككل يتكون من ثلاثة أنظمة جزئية: الشرق العربي (المشرق)، وشمال أفريقيا (المغرب العربي) ومنطقة الخليج (الخليج) [٣]. وفي سياق مشابه يقاسمه بسام الطيبي الأفكار بأن الشرق الأوسط يتكون من ثلاث مناطق فرعية، لكنه يصنف بلدان هذا النظام الفرعي إلى دول مركزية ودول الحافة.

---

(١) أحمد زكي صلاح:" النظام العربي والنظام الشرق أوسطي", القاهرة دار العالم الثالث ١٩٩٥ص ٧

(٢) منصور ممدوح:"الصراع الأمريكي السوفياتي في الشرق الأوسط" القاهرة مكتبة مدبولي, ١٩٩٥ ص٤

(٣) علاء عبد الوهاب" الشرق الأوسط الجديد سيناريو الهيمنة الإسرائيلة", القاهرة سينا للنشر ١٩٩٥, ص ٥٩

نهاية الحرب الباردة وتأثيرها على مصطلح الشرق الأوسط

مع إنهيار الإتحاد السوفياتي، حدثت تغيرات كبيرة في ميدان العلاقات الدولية وجميع المناطق الجغرافية في العالم بما فيها الشرق الأوسط الذي تأثرت بعمق، حيث أن جميع التعاريف والقيود المفروضة على الشرق الأوسط قد تغيرت.

فبعد إنهيار الإتحاد السوفيتي حصلت دول أذربيجان وكازاخستان وتركمانستان وقرغيزستان وأوزبكستان وطاجيكستان, والتي كانت ذات غالبية سكانية مسلمة وكانت ذات تقليد ثقافي إسلامي في آسيا الوسطى والقوقاز، على إستقلالها.

ووفقاً لبعض الكتّاب، فإن هذه الدول التي لا تزال في عملية تحول متعددة الأوجه قد تسببت في تشكيل منطقة كبيرة جديدة في المعنى الثقافي والسياسي بسبب هوياتها الإسلامية، فعلى سبيل المثال، وفقا للباحث لويس lewis "هذه البلدان التي هي جزءً من الشرق الأوسط بالمعنى الثقافي والعرقي، اللغوي والديني في الماضي قد إكتسبت مرة أخرى هذا البعد التاريخي بعد إستقلالها".

كما أكد الباحث Robinz بأن كلا المنطقتين تمتلكان إرث تاريخي، ثقافي، وسياسي مشترك.

وأن حدود الشرق الأوسط يمكن توسيعها لتشمل آسيا الوسطى بسبب أربعة معايير وهي نظام الدولة الثقافة، الدين، اللغة.

أحد المؤلفين الذين يتقاسمون وجهة النظر هذه هو الباحث Trautner الذي لا يقترح أكثر من مصطلح المشرق الإسلامي للمنطقة, لأن الثقافة الإسلامية هي السائدة جغرافياً التي تبدأ من دول الصحراء الغربية إلى طاجيكستان وإن كان في أشكال مختلفة. في هذا السياق، إختار Lindholm أيضاً مصطلح الشرق الأوسط الإسلامي.

الباحث Pfetsch الذي يعد خبير في الصراع في العلاقات الدولية يستخدم مصطلح العالم العربي الإسلامي التي لديها تقريباً نفس المعنى, مع الأخذ بعين الإعتبار الألفة الثقافية بين المنطقتين.

وقد ذكر الباحثان Büttner/Scholz بأن توسيع حدود الشرق الأوسط لتشمل آسيا الوسطى كانت نتيجة للتطوارت السياسية الجديدة التي تشكلت بعد إنهيار الإتحاد السوفيتي, وقد إستخدما مصطلح العالم الشرقي الإسلامي أو المنطقة الشرقية الإسلامية للمنطقة الجغرافية من موريتانيا إلى آسيا الوسطى. لأن تحديد الهوية ينبع من متطلبات تاريخية، سياسية أو إعلامية، كما أن المنطقة الجغرافية من موريتانيا إلى أفغانستان لديها بنية صراعية مشتركة بمصطلحات العلاقات الدولية.

وقد أعرب أيضاً الباحثان Gantzel / Schwinghammer بأن توسع المنطقة لتشمل القوقاز وآسيا الوسطى كان بعد تفكك الإتحاد السوفيتي, وقد أدمجا جورجيا في الشرق الأوسط خلافاً لبقية الكتَّاب.

كما نجد أن الباحثSchmid يقسم المنطقة ككل إلى أربع مناطق فرعية, مع الأخذ بعين الإعتبار مختلف مناطق الصراعات الجغرافية بسبب التغيرات السياسية في ١٩٩٠.

وهذه المناطق هي: منطقة آسيا الوسطى, منطقة المشرق, منطقة الخليج, منطقة المغرب العربي.

ويؤكد الباحث Pawelka بأن حدود المنطقة التي تمتد من ساحل المحيط الأطلسي من إفريقيا إلى جبال التاي في آسيا الوسطى تمتلك بنية ديناميكية وتتميز بالطابع الإسلامي.

إذن، فقد أدت نهاية الحرب الباردة عبر إنتصار الولايات المتحدة على المنظومة السوفياتية دون حرب, إلى طرح الولايات المتحدة رؤية مختلفة لمنطقة الشرق على ما كان عليه زمن الحرب الباردة، فالولايات المتحدة وعلى لسان رئيسها الأسبق جورج بوش الأب بعد غزو العراق للكويت في ٢ آب١٩٩٠ , أعلن أن الولايات المتحدة ذهبت للخليج ليكون القرن القادم أمريكياً، وإعتبرت أن الخليج هو جزء من الشرق الأوسط[١].

بعد حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ وتزايد الوجود العسكري الأمريكي في المنطقة، وتوقيع إتفاق غزة–أريحا أولاً، والإتفاقيات المنفردة بين الكيان الصهيوني وكل من الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية في أوسلو ووادي عربة مرجع، طرحت الخارجية الأمريكية عام ١٩٩١ تعريف لمنطقة الشرق الأوسط, بأنها المنطقة الممتدة من إيران شرقاً حتى المغرب غرباً بالإضافة إلى إسرائيل، وذلك بالشراكة مع الكيان الصهيوني, حيث طرح كلاهما ما يعرف بمشروع الشرق أوسطية لإحتواء المنطقة وجعلها خاضعة للنفوذ الأمريكي الصهيوني[٢].

هذا المفهوم أو التصور الجديد حسب الإستراتيجية الأمريكية سيتيح لها الإستفادة من الثروات الموجودة في المنطقة, ويمنع أي تهديد لمنابع النفط في الخليج الذي تسيطر عليها الولايات المتحدة منذ حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ عبر التواجد العسكري في المنطقة[٣]. ولذلك حاولت واشنطن فرض تصورها لمنطقة الشرق الأوسط من خلال العديد من القضايا المتداخلة بين بعدها العالمي والإقليمي, مثل التسلح واللاجئين والمياه والتعاون الإقتصادي مع السعي لتأسيس نماذج للتعاون والتكامل الإقتصادي والأمني على أسس جيوإستراتيجية.

في هذا الإطار تلاقت المصالح الأمريكية والإسرائيلية في إعادة صياغة خريطة المنطقة عبر طرح صيغة ملائمة لإدخال إسرائيل في منطقة ينزع عنها مواصفات الجغرافيا التاريخية وسمات التاريخ الحضاري والثقافي، ويشدد فيها على الجغرافيا الإقتصادية المعاصرة في نظام السوق العالمية، ويتم خلق سوق شرق أوسطية، تكون فيه أمريكا قوة جاذبة ومهيمنة إلى جانب إسرائيل من الناحية الإقتصادية والتكنولوجية والأمنية في المنطقة.

---

(١) كمال سالم الشكري:"مشروع الشرق أوسطية والامن العربي "مجلة جامعة دمشق للعلوم الإقتصادية والقانونية, المجلد٢٨ العدد الاول ٢٠١٢,ص ٥١٦

(٢) إبراهيم إسماعيل كافيا

(٣) كمال سالم الشكري مرجع سابق ص ٥١٦

وإعتمدت الولايات المتحدة الأمريكية منذ العام ١٩٩٧ على المفهوم الأوسع لتعبير الشرق الأوسط الكبير الذي يضم كل من تركيا وإيران ودول آسيا الوسطى الإسلامية الغنية بالبترول والسوق الضخمة للسلع الأمريكية، وهو ما أكدته فيما بعد خطتها المعلنة والمعروفة بمشروع الشرق الأوسط الكبير، (بلدان العالم العربي، باكستان، أفغانستان، إيران، تركيا، إسرائيل).

إن الإنتقال بين التعريفات في العصر الأمريكي لا يعود لتقسيمات التاريخ والجغرافيا أو القوميات والأقاليم, بل لإحتياجات الأمن والطاقة ورسم الخريطة الإستراتيجية الأمريكية والمتمثلة في:

- فصل بلدان المشرق عن دول بلدان المغرب العربي، ويتم ربط الأخير بالدائرة الجنوبية للمتوسط.
- السعي الحثيث نحو تقسيم الوحدات القطرية الموجودة بإسم الفوارق العرقية والدينية.
- إلغاء كل ما يمكن أن يقال عن الأمة العربية خاصة من خلال تعريف الشرق الأوسط عبر ربط المشرق بتركيا وإيران والعديد من دول آسيا الوسطى.
- التأكيد على دمج إسرائيل كأمر واقع وكجزء من هذا التقسيم الجغرافي عبر ما يسمى بالسوق الشرق الأوسطية.

ما يمكن ملاحظته حول هذا التعريف الجديد للولايات المتحدة للشرق الأوسط هو:

- أنه تعريف لا يخضع لخطوط المعارك الحربية ومواقع القتال كما كان زمن بريطانيا العظمى، أو كما كان بالنسبة للحرب الباردة وصراع الكتلتين حول مواقع التحالف الإيديولوجي، ولا يعني هذه عدم دخول البعد العسكري في هذا التعريف، لكن التعريفات السابقة ترسم الحدود وفق وجود القوات والعمليات، بينما التعريف الأمريكي يضع الحدود أولا للمفهوم, ثم يجعل القوات العسكرية والأدوات الإقتصادية والثقافية تتحرك وفقها وتقيم عملياتها وقت ما تشاء.
- مفهوم الشرق الأوسط بمعناه الواسع وفق نظرة أمريكا يمثل جزءا كبيراً من منطقة الإرتطام أو البيئة التي يمكن أن ينطبق عليها رؤية ماكندر، فالموقع الذي رسمته أمريكا يسهل لها الإنقضاض والعبور للسيطرة على أي منطقة ما يعني الإنفراد العالمي أيضاً.
- أن هذا التعريف يقسم المنطقة و يشكلها وفق الإحتياجات الإقتصادية الأمريكية وفي مقدمتها الطاقة ثم الأسواق التجارية، وبالتالي فخطوط الطول

والعرض في هذه الخريطة الجديدة, ستحدد سهولة الإمدادات بالطاقة وسرعتها ورخصها إلى جانب التحكم فيها بعيداً عن المنافسين.

بعد نهاية الحرب الباردة ظل مصطلح الشرق الأوسط مصطلحاً غامضاً، فمن الناحية الجغرافية ليس له حدود واضحة، فتارة يضم دولاً عربية وتارةً أخرى يخرجها خارج إطار هذا المفهوم خصوصاً دول المغرب العربي، والبعض خاصة الولايات المتحدة يوسع مصطلح الشرق أوسطي ليشمل أفغانستان مع إمكانية تمدده شرقاً وشمالاً إلى تركيا، مع فرض إسرائيل دائماً ضمن هذه الكتلة.

الخلاصة أن مفهوم الشرق الأوسط من المنظور الغربي يتضمن دلالات معينة تخدم أهداف لا تتفق بالضرورة مع المصالح العربية بقدر ما تحقق مصالح قوى أخرى على رأسها الولايات المتحدة, فهذا المفهوم لا يحدد منطقة جغرافية معينة, وهو لا ينبع من طبيعة المنطقة العربية، فهو بإدخاله لبلدان غير عربية، جعل البلدان العربية مجرد جزء من منطقة كبيرة تضم قوميات وأجناس وأديان عديدة.

التطوارت المتعلقة بمصطلح الشرق الاوسط بعد ١١ أيلول ٢٠٠١

أثرت الهجمات الإرهابية في ١١ أيلول ٢٠٠١ عميقاً في النظام الدولي، إذ غيرت جذرياً المصطلحات ومجال النقاش المرتبط بالشرق الأوسط, وأدخلت مصطلحات مثل الشرق الأوسط الكبير، والشرق الأوسط العظيم أو الشرق الأوسط الإسلامي الكبير في أدبيات العلاقات الدولية، فمنذ القرن ١٩ والقرن٢٠ ولغاية اليوم ، يتم تحديد المصطلحات حول الشرق الأوسط من قبل القوى العظمى، وهي اليوم الولايات المتحدة الأمريكية. كتب العالم السياسي الأمريكي Harkavy بعد أحداث الحادي عشر من أيلول مباشرة، مقالاً حول مفهوم " الشرق الأوسط الكبير" في ضوء التطوارت الجيوسياسية تحدث فيه عن التطوارت الجديدة وتأثيرها على مصطلح الشرق الأوسط، حيث جعلت هجمات الحادي عشر من سبتمبر من الشرق الأوسط مركز إهتمام السياسة الخارجية الأمريكية، وبعدها وفي وقت لاحق طور إستراتيجون مثل رونالد أسموس Ronald D. Asmus وكينيث بولاك Kenneth M.Pollack فكرة التحول الديمقراطي في الشرق الأوسط, وقاموا بنشر وجهات نظرهم كمشروع إنتقالي جديد عبر الأطلسي Transatlantic في خريف عام ٢٠٠٢ وفقاً لأسموس وبولاك, فإنه يجب على الولايات المتحدة الامريكية أن تأخذ المبادرة لأجل التحول السياسي بعيد المدى في الشرق الأوسط.

دعا المحافظون الجدد في إدارة جورج دبليو بوش إلى بداية جديدة وجذرية في مسار ديمقراطية الشرق الأوسط، وفي هذا السياق، بدأ الرئيس بوش التعبير عن مشروعه المسمى "مبادرة الشرق الأوسط الكبير" الذي يهدف إلى إقامة الديمقراطيات في العالم الإسلامي كله، في كل مناسبة حتى نهاية عام ٢٠٠٣. وحسب الكثير من المفكرين فإن مصطلح الشرق الأوسط الكبير بدأ عندما إستغلت دوائر اليمين المسيحي الأمريكي المتطرف, وخاصة الثنائي الخطر في إدارة جورج بوش الإبن ريتشارد بيرل، دوغلاس فايث هجمات الحادي عشر من أيلول من سنة ٢٠٠١ وبعد العدوان على

العراق وإحتلاله والإطاحة بالرئيس العراقي صدام حسين, واستطاعت أن تفرض تصواراتها عما أسمته الشرق الأوسط الكبير , والذي يقوم على إعادة صياغة كاملة للخريطة الجيواستراتيجية للمنطقة وذلك عبر تذويب الوطن العربي في نطاق إستراتيجي أوسع[1]

خلال قمة مجموعة الدول الصناعية الثماني التي عقدت سنة ٢٠٠٤، تقدمت الولايات المتحدة بوثيقة إلى القمة تحت عنوان "مشروع الشرق الأوسط الكبير"، حيث رأت أن هناك ثلاث معوقات أساسية تحول دون تطور بلدان الشرق الأوسط، وتنعكس بالتالي سلباً على المصالح الأمريكية والغربية، وهذه المعوقات هي: غياب الحرية (أزمة الديمقراطية), بطء المعرفة ومحدودية الإرتكاز إلى العلوم الحديثة في التنمية العامة، إختلاف الهياكل الإقتصادية وتدني الإنتاجية[2]، ورأت أن القضاء على هذه المعوقات الثلاث المذكورة يحتم البدء بعمليات تشجيع الديمقراطية، بناء مجتمع معرفي، إصلاحات هيكلية إقتصادية.

وقد تألفت الجغرافيا التي وصفت بأنها الشرق الأوسط الكبير في المشروع من بلدان جامعة الدول العربية، إسرائيل، إيران، تركيا، أفغانستان، وباكستان ولم تدرج دول آسيا الوسطى في المشروع، وذلك لأن هذه الدول تعمل بالفعل مع الولايات المتحدة في معركتها ضد الإرهاب, وبدأت الولايات المتحدة بنشر القواعد العسكرية في أراضيها بعد هجمات ١١ أيلول.

واجه مشروع الشرق الأوسط الكبير بعد نشره, إنتقادات شديدة سواء من طرف العالم العربي والإتحاد الأوروبي الذي أعلن عن مفهومه الأول تحت عنوان الشراكة الإستراتيجية للإتحاد الأوروبي مع منطقة البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط " يوم ٢٢ آذار ٢٠٠٤ ، كبديل عن مشروع الشرق الأوسط الكبير. في هذا السياق، دارت نقاشات مكثفة و مقابلات عديدة في قمة الثمانية G– 8 التي عقدت في سي آيلاند في ٩ حزيران ٢٠٠٤ للتفاهم حول المفهوم, حيث تم الإتفاق على إستبدال مفهوم مبادرة الشرق الأوسط الكبير بمبادرة الشرق الأوسط العظيم, ويكمن الفرق بين مفهوم الشرق الأوسط العظيم عن الشرق الأوسط الكبير في أن الأول يتسع ليشمل دول الخليج و بلدان شمال أفريقيا.

ثم روجت الولايات المتحدة الاميركية لمشروع الشرق الأوسط الجديد لإعادة صياغة المنطقة ورسم خرائط سياسية جديدة على أسس عرقية وطائفية ولعل الصراع السني–الشيعي و قضية الأكراد أهم محاور هذا المشروع. وقد نشرت مجلة القوة العسكرية الأمريكية سنة ٢٠٠٦ خارطة جديدة للشرق الأوسط ، حيث حددت ملامح جديدة لخارطة شرق أوسطية جديدة أعلنت عنها رايس، إنطلاقا" من فكرة أن الطوائف المتباينة في الشرق الأوسط, والتي يمكن التعايش فيما بينها من الممكن تجميعها بكيان سياسي واحد، والدول المستهدفة بالتقسيم والإستقطاع هي إيران، تركيا، العراق، السعودية،

---

[1] عبد القادر رزيق المخادمي, مرجع سابق ص ٨٠

[2] محمد مراد:"السياسة الامريكية تجاه الوطن العربي بين الثبات الاستراتيجي والمتغير الظرفي", بيروت دار المنهل اللبناني ٢٠٠٩, ص ٣٧١

باكستان، سوريا، الإمارات ودول قد تتوسع لأهداف أمريكية–إسرائيلية هي: لبنان، الأردن، اليمن، وأفغانستان، والدول الجديدة التي ستنشأ حسب هذه المجلة هي ثلاث دويلات: كردستان، سنيستان، شيعستان.

الشرق الأوسط الجديد من وجهة النظر الغربية, هو مشروع واسع يشمل كل الجوانب السياسية والإقتصادية ويضم كل المنطقة العربية، فالشرق الأوسط الجديد هو مشروع ليس لإعادة رسم الخريطة السياسية فقط، ولكن لرسم الخريطة الإقتصادية أيضا بما يؤدي إلى وضع ترتيبات إقليمية جديدة بخصوص قضايا مختلفة, منها قضية التعاون الإقتصادي بين تكتل يضم دول الشرق الأوسط التي تشمل بالإضافة الى الدول العربية إسرائيل.

فشل مشروع الشرق الأوسط الكبير بشكل كبير في العراق بسبب المقاومة العراقية، ثم تلاه فيما بعد ما يسمى الشرق الأوسط الجديد الذي طرحته وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس، في ذروة الحرب الإسرائيلية على لبنان عام٢٠٠٦ حيث قالت: "إن هذه الحرب سوف تنتهي بإقامة الشرق الأوسط الجديد[1].

إن إنتصار المقاومة اللبنانية في حرب ٢٠٠٦ وتمكن حماس من الصمود في وجه الهجمة العسكرية التي شنتها إسرائيل على قطاع غزة ٢٠٠٩ , وإنسحاب أمريكا من العراق، شكل بوجه عام الفشل الكبير لمشروع الشرق الأوسط الجديد الذي أعلنت رايس عن ولادته, وبالتالي غاب مصطلح الشرق الأوسط الجديد لفترة وجيزة ليعود حسب بعض المحللين مع مايسمى بحراك الربيع العربي الذي أدى إلى تغيير العديد من الأنظمة العربية.

إن تغيير الأنظمة في الشرق الأوسط الذي حدث في نهاية عام ٢٠١٠ وبداية عام ٢٠١١ ولا يزال وخاصة في سوريا، لم يكن بعيد عن التدخل الأمريكي والغربي الذي يستهدف إحداث تغيير في بيئة الشرق الأوسط الإستراتيجية، فكان تغيير هده الأنظمة بمثابة الخطوة الأولى بإتجاه إحداث تغيير شامل يتلاءم مع ما تتطلبه المصلحة الأمريكية، ليتوافق مع ما تم طرحه من مشاريع سابقة كمشروع الشرق الأوسط الجديد.

المطلب الثاني: <u>الصراع الأمريكي الروسي من منظور مقاربات العلاقات الدولية وجيوبولتيك الشرق الاوسط</u>

إن بروز العديد من التعقيدات في السياسة العالمية خاصة لفترة ما بعد الحرب الباردة جعل إمكانية فهم العلاقات الدولية بواسطة مقاربة واحدة أمرا مستحيلاً، لأن كل مقاربة من مقاربات العلاقات الدولية تفسر الواقع من زاوية مختلفة، فإذا إخترنا موضعاً نظرياً واحداً فسنرى الأمور تجري بطريقة معينة, وإذا إنطلقت من موضع نظري آخر فسنرى الأمور بطريقة مغايرة تماماً, لهذا وجد الباحثون أنفسهم أمام إشكالية أي نوع من النظرية هو الأكثر تناسباً مع دراسة ظواهر العلاقات الدولية ؟

[1] عبد القادر رزيق المخادمي, مرجع سابق ص٨١

وإذا أردنا تناول موضوع الصراع الأمريكي– الروسي في الشرق الأوسط خاصة الأزمة السورية الراهنة، فإننا نجد العديد من المقاربات النظرية التي يمكن الإنطلاق منها في تفسير ذلك:

فالواقعيون يرون التنافس الأمريكي الروسي خاصة في سوريا من خلال متغير المصلحة الوطنية للدولتين، أما الليبراليون فهم يركزون على المعايير، والقواعد والقوانين والتعاون من أجل حل المشكلة، وهم يرون أن الأمم المتحدة لها دور مركزي وأساسي، أما الماركسيون فإنهم يعتبرون أن الصراع الأمريكي– الروسي في سوريا أساسه إقتصادي (البترول–الغاز) والموقع المركزي للشرق الأوسط، وهم يعتبرونه في الأساس صدام بين المصالح الإقتصادية، فالسلطة والمعارضة في سوريا هما ممثلين للأطراف ذات مصالح إقتصادية على الصعيد العالمي وإنطلاقاً من كل ذلك، سنتطرق إلى النظريات الواقعية والليبرالية والماركسية، بالتركيز على أهم المبادئ التي تقوم عليها كل نظرية، في تفسيرها للصراع الأمريكي الروسي في الشرق الأوسط عبر دراستنا للأزمة السورية.

<u>رؤية النظرية الواقعية للتنافس الأمريكي الروسي</u>

يعتبر نيكولاي ميكيافلي Niccolo Machiavelli من أبرز منظري الفكر الواقعي في العلاقات الدولية في القرن السادس عشر, والذي ركز على فكرة القوة في كتابه"الأمير"(١٥٣٢)الذي عرض فيه دور القوة في المحافظة على الملك و توسيع نطاقه، بالإضافة إلى ميكيافلي، هناك توماس هوبز Thomas Hobbes الذي أكد في كتابه (١٦٥٢)The Leviathanعلى أن القوة عامل حاسم في السلوك الإنساني، ومن رواد هذه النظرية كذلك نجد كلا من كوينسي اريت، هانس مورغانتو، وستانلي هوفمان[١]. من أهم المنطلقات التي قامت عليها الواقعية، نجد ما يلي:

- إعتبار السياسة الدولية صراعاً من أجل القوة أو صراعاً من أجل السلطة، فالواقعيون يرفضون مقولات المثاليين بوجود تناسق في المصالح بين مختلف الدول، ويرون أن الدول في الغالب تتضارب في مصالحها إلى درجة يقود بعضها للحرب، وحسب مورغانتو فإنه مهما تكن الأهداف النهائية للسياسة الدولية، فالقوة هي دائماً الهدف العاجل[٢]. .
- <u>المصلحة</u>: هي جوهر السياسة عند الواقعيين خاصة هانس مورغانتو الذي إتخذ مفهوم المصلحة الوطنية كوحدة لتحليل السلوك الدولي[٣]، فالدول لا تتصرف في المحيط الدولي إلا وفق ما تمليه عليها مصالحها الوطنية، وهذه المصالح يتفاوت مفهومها من دولة لأخرى، فهناك من الدول من لم يتجاوز الحد الأدنى من الأمن والسيادة

---

[١] عبد الناصر جندلي:" التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية والنظريات التكوينية", الجزائر دار الخلونية ٢٠٠٧, ص١٣٨

[٢] جيمس دورتي, روبرت بالتسغراف, مرجع سابق ص٥٩.

[٣] عامر مصباح:" الاتجاهات النظرية في تحليل العلاقات الدولية", الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية ٢٠٠٦, ص ١٦٣

والإستقرار، وبالتالي مصلحتها الوطنية تتمركز حول قضايا الأمن، وحماية السيادة وتحقيق الإستقرار، ولكن هناك من الدول من تجاوزت هذه العقبات وهي بصدد البحث عن الهيمنة والنفوذ.

- الفوضى: بمعنى عدم وجود أي إنتظام أو تدرج للسلطة على المستوى الدولي، أي غياب التراتبية في المجتمع الدولي, ولا وجود لسلطة فوق سلطة الدولة، وهذه الحالة لا تسمح فقط بحدوث حروب, بل تجعل من الصعب جدا بالنسبة للدول الوصول إلى غاياتها طالما لا توجد هناك مؤسسات أو هيئة عليا بإمكانها فرض وسن القوانين الدولية.
- السياسة: هي محصلة الصراع من أجل القوة والهيمنة والمصلحة القومية بين الدول ذات السيادة, وبالنسبة للواقعيين فإن القوة هي تجميع لقدرات الدولة العسكرية والإقتصادية والتكنولوجية لتحديد سلوكها الخارجي، بمعنى أن القوة وسيلة لتحقيق المصلحة الوطنية.
- توازن القوى: يرتبط مفهوم توازن القوى كما حدده "هانس مورجانتو"، بعنصرين أساسيين يرتكز عليهما هذا المفهوم، الأول: مادي ينصرف إلى وجود تعادل حسابي بين مقدرات القوة العسكرية التي تمتلكها القوى الدولية أو الإقليمية والثاني: إدراكي خاص بتوافر إدراك لدى تلك القوى بأهمية وجود ذلك التعادل، بإعتباره الوسيلة المثلى للحفاظ على الأمن، وحسب مورغانتو تعتمد القوى على قدراتها الذاتية لتحقيق التوازن مع غيرها من القوى, حيث يرفض إنشاء الأحلاف كأداة لتحقيقه وذلك لإيمانه بالإعتماد على الذات كمبدأ حاكم لتصرف تلك القوى، وحسب رأي مورغانتو فإن توازن القوى لا يحقق السلام الدولي, وإنما الإجماع الدولي هذا الأخير الذي يؤدي وظيفة توازن القوى.
- طبيعة العلاقات بين الدول حسب الواقعيين مبنية أساساً على متغير القوة، إذ أن سلوكيات الدول تدفعها حوافز الحصول على مزيد من القوة والتنافس من أجل زيادة قوة كل دولة مهما كانت طبيعة الوسائل المتبعة في ذلك, وفي هذا المعنى تكون القوة وسيلة وغاية في نفس الوقت.
- الواقعيون لا يعطون أي إهتمام لفاعلية المنظمات الدولية أو حتى بقائها، ذلك أن الدولة لديهم تمثل المرجعية التحليلية الأولى بينما المنظمات الدولية قنوات لتمرير مصالح الدول, وتنتهي صلاحيتها بإنتهاء الوظيفة

المنوطة بها وفي نفس السياق يعتبرها مورغانتو بأنه طالما يتطابق سلوك دولة ما مع قواعد السلوك الذي تمليه القواعد، فالحكومات تعمل دوما على الإلتفاف على القيود التي يفرضها القانون الدولي، بل إنها تعمل على توظيف هذا القانون لخدمة مصالحها، فما يهم الدول في علاقاتها ببعضها ليست الإستفادة الجيدة من مختلف المحصلات, وإنما مقارنة ذلك بالدول المنافسة من أجل تعظيم المكاسب النسبية.

- إذا الواقعيون يعتبرون العلاقات بين الدول هي علاقات تصادم وإختلاف وليست علاقات تعاون, وأن الإتصال والتعاون بين الدول سيزيد من فرص الصراع، وبذلك فإن الدولة كفاعل وحيد عليها إنهاء الإتصال أو تقليصه مع غيرها من الوحدات الأخرى.

<u>رؤية النظرية الليبرالية للصراع الأمريكي الروسي</u>

أول نقطة يمكن ملاحظتها حول الليبرالية هي أنها مذهب له تقاليد عريقة، فجذور معظم الأفكار الليبرالية يمكن إيجادها في الليبرالية الكلاسيكية، وقد ظهرت مع كتابات آدم سميث وسيطرت كإيديولوجيا على الفكر السياسي والإقتصادي منذ القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر، خاصة في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، ويعد كل من آدم سميث Adam Smith، دافيد ريكاردو David Ricardo جون ستيوارت ميل. روبرت كيوهان، من أبرز الإقتصاديين السياسين البارزين المؤثرين ضمن التيار الليبرالي. وهم يشكلون مجموعة متعددة الأطياف تنقسم إلى تيارين:

- أنصار التدخل الأدنى للدولة في الإقتصاد و مبدأ دعه يعمل دعه يمر، و مبدأ التجارة الحرة، ويمثله، سميث، ريكاردو، هايك، وفريدمان.

- أنصار التدخل الواسع للدولة في الإقتصاد محليا و دوليا و يمثله، هوبسون، كينز، جالب اريث، كيوهان.

يرفض الليبراليون رأي الواقعيين القائل بأن الحرب هي الشرط الطبيعي للسياسة العالمية[1]، كما أنهم يشككون أيضا في الرأي القائل، إن الدولة ليست هي الطرف الفاعل في مسرح السياسة العالمية[2]، بالرغم من أنهم لا ينكرون أهميتها، غير أنهم يعتبرون الشركات متعددة الجنسيات والأطراف الفاعلة التي تتخطى الحدود الوطنية الجماعات الإرهابية والمنظمات الدولية، فئات ذات أهمية بالغة على صعيد بعض ميادين القضايا في إطار السياسة العالمية.

ينطلق أنصار النظرية الليبرالية في تفسيرهم للعلاقات الدولية بناء على العديد من الإفتراضات أهمها:

---

[1] جون بيلس,ستيفن سميث:" عولمة السياسة العالمية", الامارات العربية المتحدة, مركز الخليج للابحاث ٢٠٠٤,ص٨

[2] جون بيلس,ستيفن سميث, مرجع سابق ص ٩

- يرى الليبراليون أن الدولة ليست فاعلا وحيدا، بل الأشخاص والجماعات الخاصة هم فاعلين اساسيين في السياسات الدولية، حيث أن حاجات الأفراد والجماعات الإجتماعية يتم معالجتها كأسباب محركة للمصالح التي يرتكز عليها سلوك الدولة.
- يميل الليبراليون إلى إعتبار الدولة مجموعة من المؤسسات البيروقراطية لكل منها مصالحها الذاتية، وليس في إعتبارها عنصر فاعلا فريدا أو موحدا، لهذا لا يمكن أن يكون هناك شيء من قبيل المصلحة الوطنية في هذا السياق، لأنها لا تمثل سوى ما ينجم عن سيطرة المنظمات البيروقراطية على عملية إتخاذ القرار داخل بلد ما.
- يؤكد الليبراليون أن الأفراد على إختلاف مستوياتهم الإجتماعية يحددون أدوارا مادية و معنوية و خيارات معينة بخصوص مستقبل دول العالم، تدفعهم للمقايضة السياسية والعمل الجماعي، والبديهية المركزية هي أنه لا يمكن فهم ممارسات القوة أو الترويج للعمل الجماعي بين الدول ما لم يتم فهم الغايات الإجتماعية الأساسية التي تسعى الدول لتحقيقها.
- فيما يخص العلاقات بين الدول يشدد الليبراليون على فرص التعاون و تصبح المسألة الكبرى هنا هي تهيئة الأجواء التي يمكن فيها تحقيق التعاون على أفضل وجه، أما بالنسبة إلى المصالح الوطنية فإن الليبراليون لهم نظرة أرحب بكثير من المنظور العسكري، وهم يؤكدون هنا على أهمية المسائل الإقتصادية والبيئية والتكنولوجية، وهم يرون أن النظام في السياسة العالمية لا ينطلق من ميزان القوى, بل من تفاعلات الطبقات المتعددة من ترتيبات الحكم التي تشمل القوانين والأعراف المتفق عليها والنظم الدولية والقواعد المؤسساتية.
- يؤكد أنصار الليبرالي أن القوة العسكرية مهمة ولكن ليس هي كل شيء كما يقول الواقعيون والنظام لا يبرز من خلال توازن القوى, ولكن من التفاعل بين العديد من الأعمدة الحاكمة للترتيبات والقوانين المصاغة والمعايير المتفق عليها، والنظم الدولية والقواعد المؤسساتية, والليبراليون لا يتعقدون أساسا أن السيادة مهمة في الممارسة كما يعتقد الواقعيون بأهميتها، فقد تكون الدول ذات سيادة من الناحية القانونية، لكن عليها واقعيا أن تتفاوض مع جميع أنواع العناصر الفاعلة الأخرى، لتجد في النتيجة أن حريتها في العمل كما كانت تشتهي قد تقلصت إلى حد خطير, والإعتماد المتبادل بين الدول في نظر الليبراليين ميزة مهمة في السياسة العالمية.
- كما يؤكد الليبراليون على ضرورة الدفاع عن الديمقراطية الليبرالية والمطالبة بنشر الأنظمة السياسية الديمقراطية, والتي تؤدي إلى أن مسائل الحرب والسلم سوف لا تبقى دائما حبيسة جماعة سياسية صغيرة أو النخب العسكرية كما هو الحال في الأنظمة الشمولية، وبدلا من ذلك القادة سوف يهتمون بالرأي العام الداخلي الذي يستطيع أن يتصرف لإيقاف أي تحرك نحو نزاع دولي أو نشوب أي عداءات.

- إذا التيار الليبرالي خاصة المؤسساتي يحاول الإجابة عن سؤال: كيف يمكن ترقية التعاون الدولي من خلال إيجاد مؤسسات دولية تناط بها وظائف تعجز الدول منفردة القيام بها، والتغلب على المشكلات التي تعرقل العمل الجماعي، إذ أن نمو الإعتماد المتبادل الذي ركز عليه كل من "كيوهن" و "ناي" ساهم في ظهور تحديات مشتركة للإنسانية في مجالات الأمن كمنع إنتشار الأسلحة النووية، كذلك في ميدان البيئة كمكافحة التلوث ومعالجة ظاهرة الإحتباس الحراري والصحة، إن مثل هذه التحديات والمشكلات وغيرها يستحيل على الدول منفردة معالجتها, فلابد من إيجاد إطار لتنسيق الجهود بغية إتخاذ خطوات ملائمة، وفي هذا الصدد تعتبر المنظمات الدولية قناة تساهم في تذليل العقبات أمام العمل الجماعي، فضلا عن ذلك فهي تقلص من حدة الشكوك المتبادلة.
- النظرة المختصرة للفكر الليبرالي أدت إلى بروز عدد من المفاهيم والأفكار والمنظورات التي تؤثر مباشرة في نظرة التعددية، التي تتضمن فكرة أهمية الفرد والمستويات الإجتماعية في التحليل والتفكك, وعدم وحدة الدولة المجزأة إلى عناصر جزئية وإعلان الإرتباط بين الإقتصاديات الدولية والسياسية، ودور الرأي العام وأهمية القانون الدولي والمنظمات، وقدرة القادة في التعلم من الأخطاء التاريخية والكوارث.

<u>رؤية النظرية الماركسية للصراع الأمريكي الروسي</u>

تطورت الماركسية شأنها شأن الليبرالية على نحو ملحوظ منذ أن أرسى أفكارها الأساسية كارل ماركس وفريدريك إنغلز في منتصف القرن التاسع عشر، وقد طرأ تغيير على تفكير ماركس أثناء حياته وكانت نظرياته دائماً عرضةً لتأويلات متضاربة، ومع أن ماركس كان يعتبر الرأسمالية إقتصاداً شاملاً، فإنه لم يطور مجموعة منتظمة من الأفكار بشأن العلاقات الدولية، وألقيت هذه المسؤولية على عاتق الجيل اللاحق من المؤلفين الماركسيين.

المنطلق الأساسي للمقاربة الماركسية هو أن كل تاريخ المجتمع البشري هو تاريخ الصراع بين الطبقات، كما جاء ذلك في البيان الشيوعي لعام ١٨٤٨، والصراع يأخذ أشكال عديدة (الصراع السلمي والعنفي والسلبي والإيجابي) كما يحدث على مستويات محلية وإقليمية وعالمية[1].

يعتبر الماركسيون أن المجتمع الدولي هو دول متساوية وذات سيادة، والدول ما هي إلا عبارة عن ممثل للطبقة الإجتماعية السائدة في الدولة والحروب والنزاعات والمنافسات بين الدول ما هي في الواقع إلا حروب ونزاعات ومنافسات بين الطبقات الإجتماعية الحاكمة في عهد الرأسمالية الطبقية.

حيث تسيطر البرجوازية الرأسمالية على الدولة الرأسمالية، هذه الطبقة تستخدم جهاز الدولة لإستغلال الطبقات الإجتماعية الأخرى على الصعيد الداخلي، ومن أجل مزاحمة الطبقات البورجوازية

---

[1] مبروك غضبان:" مدخل للعلاقات الدولية", الجزائر شركة باتنيس للمعلوماتية والخدمات المكتبية ٢٠٠٥, ص ٦٧

الأخرى ومنافستها على السوق الرأسمالية العالمية، وخلف هذه المنافسات بين الدول تكمن صراعات على مصالح إقتصادية طبقية[1].

سعت الماركسية عبر العديد من مفكريها: كارل ماركس،إنجلز، لينين، رواز لكسمبورغ،هوبسون...إلخ إلى إحداث تغييرات جذرية من خلال نشر إيديولوجيتها في كافة أنحاء العالم, ولذلك تصنف الماركسية ضمن المنظور الثوري للعلاقات الدولية، فهي تصور شامل للعالم وتريد تغييره بما يتماشى والمعتقدات الماركسية–اللينينية التي تصبو إلى تحقيق عالم شيوعي خال من الصراع الطبقي.

يعتبر الفكر الماركسي عموماً أن السياسة العالمية ما هي إلا إستمرار للسياسة الوطنية بإعتبار أن أطراف اللعبة في الحالتين هم مالكو رأس المال ، وقد عبرت رواز لوكسمبورغ عن هذا الأمر عندما تناولت السياق التاريخي لتطور الرأسمالية وطبيعتها الجشعة والتناقضية بتأكيدها على ثلاثة مظاهر تاريخية:

- حدوث تسابق هائل لإحتلال المنافذ الإقتصادية بدأً بالإكتشافات الجغرافية في النصف الثاني من القرن ١٥، وقيام النزعة الوطنية في أوروبا خاصة فرنسا في القرن ١٨.
- حدوث مواجهة بين الدول الرأسمالية من أجل بناء إمبراطورية إستعمارية ضرورية لتموينها بالمواد الأولية (صراعات) القرون ١٦–١٩ في أوروبا وخارجها.
- تحول هذه النزاعات المستمرة بين القوى الإستعمارية التي تتناقض مصالحها الوطنية إلى مواجهة مباشرة (القرن الـ٢٠ والحربين العالميتين وما بعد الحربين لغاية اليوم).

هناك العديد من الكتاب الذين تأثروا بالفكر الماركسي مثل: بيرجالي P.Djalée صاحب كتاب "نهب العالم الثالث" و شارل بتلهايم C.Bettelbeim، ونيقوسى بولانتازس Nicos Poulanitzas، وسمير أمين S.Amin وكتابه"التطور اللامتكافئ"، وبالنسبة لهؤلاء ليس ثمة سوقين عالميين، الرأسمالية والإشتراكية, وإنما سوق واحدة هي النظام الإقتصادي الرأسمالي العالمي وأن المركز المتطور يستغل المحيط المتخلف عن طريق التقسيم العالمي للعمل الذي يخضع لعقلانية خاصة[2].

جاء المنظور النيوماركسي أو نظرية التبعية Depence Theory لتعبر عن تلك الظروف التي كانت تعيشها دول العالم الثالث إنطلاقاً من فكرة النظام الرأسمالي العالمي مقسمة بذلك العالم إلى دول المركز (الدول الصناعية) و دول المحيط (دول العالم الثالث)، مختصرة العلاقات الدولية في كونها علاقات سيطرة و تبعية بين أطراف غير متكافئة على جميع الأصعدة.

---

[1] علاء أبو عامر:" العلاقات الدولية" ,عمان, دار الشروق للنشر, ٢٠٠٤ ص ١٤٧ .
[2] مبروك غضبان, مرجع سابق, ص٦٨.

التنافس الأمريكي الروسي من منظور مقاربات الجيوبوليتيكا

يبدو أنه أصبح من الضروري لتفسير ما يحدث من تفاعلات بين القوى الكبرى في منطقة الشرق الأوسط, وبالأخص في سوريا أن نعود إلى العديد من المقاربات الجيوبوليتيكة التي كانت تطبق في زمن مضى, خاصة إبان الحرب الباردة فعلى الرغم من سقوط الإتحاد السوفياتي ونهاية الحرب الباردة فإن العالم حسب البروفيسور سانتورو رئيس معهد الدراسات السياسية العالمية في ميلانو لا يزال يحمل الطابع الثابت للحرب الباردة, والتي يبقى منطقها الجيوبوليتيكي مسيطراً في تفسير الصراع الأمريكي–الروسي في منطقة الشرق الأوسط ، لهذا كان من الضروري إعطاء لمحة عامة عن جوهر أهم نظريات الجيوبوليتيكا قبل محاولة إسقاط هذه التصوارت النظرية على الصراع الأمريكي الروسي في سوريا.

نظرية القوة البحرية لألفريد ماهان Alfred Thayer Mahan ١٨٤٠ –١٩١٤

تتلخص نظرية ماهان حول القوة البحرية بأن السيطرة على البحر ضرورة أولية للسيادة العالمية، وقد أكد ماهان على أهمية التطور البحري في تاريخ الدول، كما أكد أن أهم عامل جغرافي يؤثر في قوة الدولة لا يكمن في عدد الكيلومترات المربعة من الأراضي التي تمتلكها الدولة بقدر ما يكمن في طول السواحل و الموانئ التي تسيطر عليها[١].

يؤكد ماهان من خلال العديد من كتاباته أن الشرط الأساسي للقوة العالمية هو التحكم في البحر فلقد كان مقتنعاً بأن القوة البحرية في المحيطات لها اليد العليا في ترجيح الصراع في أي مشكلة عالمية، فالموقع البحري المناسب يعطي ميزة سياسية إقتصادية بعيدة المدى، بينما الموقع الحبيس يشكل عيباً نسبياً[٢].

إعتبر ماهان في ذلك الوقت بريطانيا القوة الأولى في العالم لما تتمتع به من موقع بحري، أو من قواعد منتشرة في العالم مما جعلها تتمكن من المحافظة على تفوقها البحري، كما أكد أنه ينبغي للولايات المتحدة أن تمتلك قوة بحرية قوية وقواعد بحرية حولها في مناطق عديدة من العالم.

وقد أضاف ماهان أن الدولة التي تقع على البحر يجب أن يكون لديها قوة بحرية مدعمة بجيوش برية ليس في أراضيها فحسب بل، وفي قواعد خارج حدودها حتى يمكنها أن تدفع الخطر عنها قبل أن يصل إلى أراضيها، كما تنبأ ماهان بأن كلا من بريطانيا واليابان وألمانيا والولايات المتحدة سوف تجد من مصلحتها السيطرة على العديد من مناطق العالم خاصة الإتحاد السوفياتي والصين، وكان يرى أنه لابد من وجود عازل بحري بين أمريكا وروسيا, بحيث تسيطر أمريكا على البحار والمحيطات وأن لا تدع القوى المعادية تنزل إلى مياه المحيطات.

---

(١) نصري ذياب خاطر:"الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا",الأردن,الجندارية للنشر والتوزيع ٢٠١٠ ,ص ٥٧.
(٢) فايز محمد العيسوي:"الجغرافيا السياسية المعاصرة", مصر. دارالمعرفة الجامعية,٢٠٠٣, ص ٣٠١.

إعتبر ماهان أن الولايات المتحدة الأمريكية هي القوة التي تسيطر على العالم في المستقبل لذلك ألح على ضرورة بناء السفن الكبيرة وتوسع أمريكا فيما وارء البحار, وتحقيق التفوق البحري التام في العديد من بحار ومحيطات العالم بالأخص في البحر الكاربي والمحيط الهادي[1].

قدم ماهان العديد من العوامل التي إعتقد بأنها تحدد القوة البحرية:

- الموقع الجغرافي: متمثلا في وجود واجهة أو أكثر على أحد البحار المفتوحة Open Seas أو التحكم في طرق التجارة الهامة عن طريق القنوات الملاحية أو الإشراف على المضايق، كما أن الموقع الجزري يعتبر ذا قيمة عظيمة بالنسبة له.
- الشكل الطبيعي للدولة: يقصد بها شكل الخطوط الساحلية للدولة وعلى حد قوله: الأراضي الساحلية المطلة على البحر هي حدود الدولة, وكلما كان هناك سهولة في الوصول من هذه الحدود إلى البحر كلما إزدادت رغبة الأفراد في الإتصال بباقي العالم عبر البحر.
- الإمتداد المساحي للدولة: قصد ماهان بذلك طول الشريط الساحلي للدولة وقدرته الدفاعية ضد العدو.
- حجم السكان: حيث أن الدولة ذات الحجم السكاني الكبير تستطيع بناء طاقم الأسطول وتوفيره.
- توجه السكان البحري: قصد ماهان مدى إستعداد الأفراد للإبحار والتجارة، فإذا لم يكن للأفراد نية الحصول على الغذاء من البحر وإقامة علاقات تجارية مع العالم الخارجي فلن يستطيعوا بناء قوة بحرية.
- توجه الحكومة البحري: يرى ماهان أن الحكومات ذات الإدارة القوية والتي تتمتع ببعد النظر تلك التي تعطي إهتمامها للبحار المشرفة عليها بنفس قدر إهتمامهاً بإمتدادها على اليابسة لأن البحر يمثل مصدر رخاء وإستقرار ودفاع وأمن للدولة.

فسَر ماهان ذلك في مدى حرص روسيا في القرن ١٩ للوصول إلى المياه الدافئة (البحار المفتوحة)، وهذا ما فسره حرص الإتحاد السوفياتي بعد الحرب العالمية الثانية على توطيد علاقاته بكثير من الدول ذات المواقع البحرية الإستراتيجية المسيطرة على الملاحة البحرية العالمية مثل: كوبا في البحر الكاريبي، مصر متحكمة في قناة السويس، اليمن متحكمة في مدخل البحر الأحمر.

تحققت نظرية ماهان بعد الحرب العالمية الثانية بتفوق الولايات المتحدة الأمريكية وبروزها المتفوق كقوة عالمية وذلك بتبنيها نفس الإستراتيجية البحرية البريطانية، وبذلك تراجعت بريطانيا بعد الحرب

[1] فايز محمد العيسوي, مرجع سابق, ص ٢٠٢ -٢٠٥

العالمية الثانية وبذلك بفقدانها لقواعدها البحرية البعيدة (المستعمرات) لتحل محلها قوى أخرى لا زالت مهيمنة على المجال البحري العالمي إلى يومنا هذا وهي الولايات المتحدة الأمريكية، روسيا، الصين). وجهت لنظرية القوة البحرية لماهان العديد من الإنتقادات من طرف العديد من المفكرين خاصة وايتن ميلز((Watten Millis) الذي حاول أن يعيد النظر في مفهوم (القوة البحرية) على ضوء التحولات الدولية الجديدة، حيث يرى ميلز:

- أن ماهان حاول إعطاء القوة البحرية طابع مستقل وأضفى عليها إمكانية إحداث تأثير أكثر من قابليتها.
- يرى ميلز أن إستعمال مصطلح القوة البحرية يعد أمراً مغلوطاً وأنه تشويه للحقيقة،لأن المحيطات لا تكتسب أهميتها إلا بعلاقتها بالقوة الأرضية.
- أنه من الصعوبة السيطرة على البحر بصورة كاملة، بعكس ما جاء في مفهوم ماهان.

أثبتت العديد من الحروب أنه لا يمكن الإعتماد على القوة البحرية فقط، بل بترابط القوات البحرية والبرية والجوية لإحراز النصر[١].

نظرية قلب العالم لهالفورد ماكندر Halford Mackinder ١٨٦١-١٩٤٧

تعد نظرية قلب العالم التي جاء بها ماكندر أول نظرية عامة في الإستراتيجية العالمية، وإحدى النظريات المعروفة في مجال القوى العالمية وقد جاء بهذه النظرية في مقال له بعنوان:"محور الإرتكاز الجغرافي في تعاليم **التاريخ** "**The Geographical Pivot of History**" [٢] طور وقدم ماكندر مفهوم قلب الأرض Heartland ليفسر للإمبراطورية البريطانية الحاجة إلى معالجة التوسع الروسي بإتجاه الخليج الفارسي، في وقت كانت روسيا تعزز بقوة نظام شجب الطريق Rail Road System ، الذي يمكنه السماح للقوة البرية(الممثلة من طرف روسيا) لتكون تقريباً كمتحرك للقوة البحرية (الممثلة من طرف الامبراطورية البريطانية) وهذا يمنح مزايا حاسمة في جزيرة العالم.

من خلال هذه النظرية، نظر ماكندر إلى العالم ككل نظرة كوكبية، حيث وجد أن قارات العالم القديم الثلاث يسكنها نحو ٩٠ % من سكان العالم بينما لا يسكن القارات الأخرى سوى ١٠% من سكان العالم. أطلق ماكندر على قارات العالم الثلاث إسم جزيرة العالم World Island ويرى أن من يستطيع أن يسيطر على جزيرة العالم فإنه سيسود العالم[٣].

أطلق ماكندر على المنطقة الوسطى في الجزيرة العالمية إسم منطقة الإرتكاز Pivot Area وقد عدل هذا الإصطلاح فيما بعد إلى قلب الأرض Heart Land وهي منطقة تغطي مساحة قدرها

---

[١] صبري فارس الهيتي:"الجغرافيا السياسية مع تطبيقات جيوبولتيكية", عمان, دار صفاء للنشر والتوزيع ٢٠٠٠, ص ١٨٦.
[٢] نصري ذياب خاطر, مرجع سابق ص ٥٢.
[٣] حسام الدين جاد الرب, مرجع سابق ص٢٦٨.

٣٣٠٩ مليون كلم٢، بحيث تمتد من نهر الفولغا غربا في روسيا إلى شرق سيبريا، ومن المحيط المتجمد الشمالي إلى هضاب إيران وأفغانستان وبلوجستان في الجنوب، وتتكون المناطق الشمالية والوسطى والغربية من سهل عظيم الإتساع ولا يقطعه سوى جبال الأورال[١].

تتلخص نظرية قلب العالم لماكندر في الجمل التالية:

- من يحكم شرق أوروبا يسيطر على العالم
- من يحكم قلب العالم يسيطر على جزيرة العالم
- من يحكم جزيرة العالم يسيطر على العالم بأسره .

أوضح ماكندر أن من يتحكم في منطقة العالم هي قوة أخرى أقوى بكثير من أي دولة بمفردها, وأن أي قوة تتحكم في منطقة جزيرة العالم فإنها تتحكم في ثلثي مساحة العالم وسبعة أثمان سكانه وإعتبر ماكندر أن أرض قلب العالم مرتبة على شكل ثلاث نطاقات[٢].

- النطاق الأول: يوجد فيه مساحة كبيرة من الأحواض النهرية الداخلية أو المتجهة صوب القطب الشمالي في أوارسيا، وتلك هي المنطقة الممتدة من نهر الفولغا غربا إلى سيبيريا الشرقية في الشرق، ومن جبال الهمالايا في الجنوب إلى منطقة القطب الشمالي في الجنوب. أشار ماكندر أن الملامح المميزة لقلب العالم إنها منطقة محاطة من ثلاث جهات بجبال ويحدها المحيط المتجمد في الجهة الرابعة، مما جعلها حصناً طبيعياً من الصعب الوصول إليه وبالتالي فهو مكان آمن.

- النطاق الثاني: هو الهلال الداخلي Inter-crescent الذي يحيط بقلب العالم ويتضمن أوروبا غرب الأورال وجنوب غرب آسيا خارج الأراضي الإيرانية والهند وجنوب شرق آسيا ومعظم الصين.

- النطاق الثالث: الذي أطلق عليه الهلال الخارجي Outer-crescent ويضم قارتي أمريكا الشمالية والجنوبية وأستراليا وإفريقيا جنوب الصحراء الكبرى وبريطانيا واليابان.

أعاد ماكندر في سنة ١٩٤٣ صياغة أفكاره عن نظرية قلب العالم، حيث تصور منطقة إرتكاز أخرى ولو أنها حسب رأيه أقل أهمية من سابقتها, وسماها القلب الجنوبي وتتكون من إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، حيث أن مياه هذا القلب تفيض من الهضاب الداخلية إلى كل من النيجر والكونغو والزمبيزي والأولانج واللمبوبو، وتصلح الأجزاء العليا لهذه الأنهار كلها للملاحة إلى مسافات طويلة، وثمة وجه شبه بين منطقتي القلب الشمالية والجنوبية ذلك أن كلا منهما يوجد به غابات كثيرة.

---

[١] صبري فارس الهيتي:" دراسات في الجغرافيا والجيوبولتكس", مرجع سابق,ص ٢٠٨.
[٢] فايز محمد عيسوي, مرجع سابق, ص ٣١٠.

يتصل القلبان الشمالي والجنوبي ببعضهما البعض عن طريق جسر بلاد العرب، وبلاد العرب في رأي ماكندر هي تلك التي تمتد من النيل غرباً إلى ما وارء الفرات شرقاً، ومن سفوح جبال طوروس شمالاً حتى خليج عدن جنوباً أي حوالي ١٨٠٠ ميل، وتمتاز هذه المنطقة بوجود ثلاث طرق مائية وهي النيل والبحر الأحمر، نهر الفرات والخليج لعربي، كما أن بلاد العرب نفسها تكون طريقاً برياً بين القلب الشمالي والقلب الجنوبي[١].

أما التعديل الثاني الذي أدخله ماكندر على نظريته وهو إستبعاد (أرض لينا) نسبة إلى نهر لينا في منطقة القلب وهي تقع إلى الشرق من نهر ينسى لقلة أهميتها الإقتصادية والإستراتيجية، ويرى أيضاً أن الدول على شاطىء الأطلنطي الشمالي، غرب أوروبا وأمريكا الشمالية ترتبط بروابط وثيقة وذات قوة صناعية وعسكرية جبارة، وإعتبرها منطقة جيو إستراتيجية خطيرة، وإستحدث إصطلاح جديد هو الحوض الأوسط Midland , ويقصد به شمال المحيط الأطلنطي وشرق الولايات المتحدة وغرب أوروبا[٢].

إستمرت نظرية ماكندر لمدة تقارب القرن, حيث أنه لم تنهار معظم فروضها إلا بعد إنهيار الإتحاد السوفياتي نهاية عام ١٩٩٠، فإلى جانب مزايا قلب العالم والحركة إلا أن توسط هذا القلب يجعله عرضة لإئتلاف الهوامش, والذي قد يركز عليه الغرب بواسطة الأسلحة الجوية الحديثة، حيث أن البعض يرون أن ماكندر لم يأخذ بعين الإعتبار التطوارت التكنولوجية في الأسلحة، فالسلاح الجوي والنووي قد عمل على كشف قلب العالم للغزو وسلب مناعته الطبيعية وعمقه الإستراتيجي.

هناك أيضا من إنتقد نظرية ماكندر على إعتبار أنه لم يأخذ بعين الإعتبار التطوارت الإيديولوجية أيضا، إذ أن قيام بعض الثوارت الشيوعية في دول الهلال الداخلي مثل الصين عام١٩٤٩، كوريا الشمالية ١٩٥١، فيتنام ١٩٥٤، وكوبا ١٩٦٠ في الهلال الخارجي، وجميعها تعد القلب ولكن ليس بالغزو العسكري كما إعتقد ماكندر بل ما يطلق عليه حاليا، القوة اللينة Soft Power [٣]

نظرية الإطار Rimland لنيكولاس سبيكمان Nicholas Spykman١٨٩٣-١٩٤٣

إهتم سبيكمان بدراسة مشكلات القوة وأثرها في العلاقات الدولية وقد تأثر سبيكمان إلى حد كبير بنظرية ماكندر، ولكن توصل إلى إستنتاجات تخالف ما قرر ماكندر، وعدّل نظرية ماكندر، حيث لاحظ أن قلب العالم يحتل إقليماً جغرافيا لا يتمتع بصفات تؤهله لهذه القيادة أو المركز الخطير الذي وضعه فيه ماكندر، و لهذا فإن سبيكمان يرى أن الحافة التي تحيط بالقلب (الهلال الهامشي) والتي سماها ماكندر (المنطقة المتوسطة) , والتي تشمل الوطن العربي بمشرقه ومغربه وأوروبا عبر الإتحاد السوفياتي وإيران وأفغانستان وجنوب شرق آسيا والصين وكوريا هي أعظم أهمية من القلب نفسه، إذ أن منطقة الحافة تعتبر منطقة إلتقاء القوى البرية الزاحفة من الإتحاد السوفياتي ودول

---

[١] نصري ذياب خاطر, مرجع سابق, ص ٥٦ - ٥٧ .

[٢] صبري فارس الهيتي:" دراسات في الجغرافيا والجيوبولتكس", مرجع سابق,ص ٢١٣.

[٣] عباس غالي الحديثي:"نظريات السيطرة الاستراتيجية وصراع الحضارات", الاردن,دار اسامة للنشر والتوزيع ٢٠٠٤,ص ٤٦ -٤٧.

المعسكر الشرقي بالقوى البحرية والبرية لكتلة المعسكر الرأسمالي سواء في أوروبا وآسيا أو شمالي إفريقيا أو البحار المحيطة بها[1].

يرى سبيكمان أن من يحكم المناطق الساحلية التي تتماشى مع المواقع الجغرافية للهلال الخارجي (الذي جاء في نظرية ماكندر) هو الذي يستطيع السيطرة على الجزيرة العالمية ومن ثم العالم، لذلك جاء بمقولته التي تقع في النقاط التالية من دراسة قام بها بعد الحرب العالمية الثانية:

- أن من يسيطر على الأراضي الهامشية يتحكم بأوارسيا.
- من يحكم أوارسيا يتحكم بالعالم.

أخذ سبيكمان على ماكندر تحيزه الكبير للإمكانات الزائدة لمنطقة قلب العالم, حيث أوضح أن مساحات كبيرة من هذه المناطق التي تقع بين بولندا ونهر ينسى قاحلة, وأن القوة الحقيقية تكمن في تلك الأارضي التي تحيط بنطاق قلب العالم أي النطاق الهامشي، حيث يضم بين جنباته معظم سكان العالم وتتركز به موارد زارعية هائلة وإزدادت قيمته بعد اكتشاف مواد بترولية ضخمة به.

أضاف سبيكمان أن الصراع والتنافس بين القوى العظمى سوف يكون على السيطرة على أرض الرملاند، وقد أصبحت آراء سبيكمان أساس للسياسة الأمريكية في إحتواء المد الشيوعي خاصة مع ظهور الإتحاد السوفياتي بصفته المسيطر الأوحد على قلب العالم (الهارتلاند)، وقد نجحت الولايات المتحدة في إنشاء حلف شمال الأطلنطي لمد نفوذها على الجانب الغربي من الرملاند، بالإضافة الى أنها تلعب دوراً فعالاً في تقليص الدور الروسي في شرق آسيا عبر زيادة تواجدها العسكري في الفيليبين وكوبا. وإنشاء عدة تحالفات عسكرية إستراتيجية مع دول آسيا بإعتبارها جزءاً من سياستها لإحتواء منطقة الرملاند.

بشكل عام، يدعو سبيكمان في نظرية الأطراف إلى بناء قوة عسكرية جبارة ذات مفعول كبير في الردع العالمي, وكذلك يدعو إلى قيام قواعد عسكرية وتحالفات دفاعية وتكتلات إقتصادية للدول التي تتعاطف مع الحضارة الغربية كدول أوروبا الغربية وكندا, بالإضافة إلى الولايات المتحدة، وأن قيام تلك القواعد والتكتلات يجب أن يتماشى جغرافياً مع مناطق الهلال الخارجي الذي جاء في نظرية ماكندر، أي المناطق الساحلية لأوروبا وآسيا وشمال إفريقيا والجزر المحاذية لها، وإن تحالفات كهذه سوف تضرب طوقاً عسكرياً (دفاعياً) تدعمه الولايات المتحدة الامريكية وتتواجد قواتها فيه إن دعت الضرورة بأنواعها المختلفة والمتطورة, كما أن هذه المناطق يجب أن تحظى بالتطور والتنمية الإقتصادية لتبعد تفكير سكانها عن الإغراء الذي تدعو إليه المنطقة المركزية (الإتحاد السوفياتي) وحلفاؤها وإذا ما تمت هاتان المرحلتان، القوة العسكرية الرادعة مع القواعد العسكرية والتطور الإقتصادي لمنطقة الهلال الخارجي عندئذ يتم تحييد قوة المنطقة المركزية وتوسعها[1].

---

[1] صبري فارس الهيتي" دراسات في الجغرافيا والجيوبولتكس", مرجع سابق,ص ٢٨٤.

[1] صبري فارس الهيتي:" دراسات في الجغرافيا والجيوبولتكس", مرجع سابق,ص 194- 193

إذن مايمكن قوله أن مفهوم الشرق الأوسط تم إحياءه من جديد عبر إدخال البلدان العربية فيما يسمى بالربيع العربي, والذي ستسعى من خلاله الدول الكبرى إلى إنتشار الفوضى في المنطقة بما يؤول في نهاية المطاف إلى تفتت المجتمعات العربية إلى كيانات مذهبية وطائفية وإثنية، فالتعددية الإثنية موجودة في معظم دول الشرق الأوسط في ظل غياب الأنظمة السياسية

بشكل عام، يستهدف الغرب بداية ودعم مسارات الإصلاح السياسي والإقتصادي في غالبية البلدان الإسلامية, لخلق بنية مشتركة مستندة على الإستقرار بعيد المدى والإزدهار والديمقراطية التي ستضمن له حماية مصالحه من خلال هذه المشاريع، وبطبيعة الحال ما هو مفقود في هذه المشاريع هو غياب إستراتيجية حول كيفية تحقيق هذا الهدف, فهناك خلاف حاد بين الولايات المتحدة والإتحاد الأوروبي من حيث الأسلوب، هذا أيضاً يقلل من فرصة نجاح جميع المشاريع في المنطقة.

من خلال ما قمنا به من دراسة في هذا الفصل الأول والمرتبط بالجانب المفاهيمي والنظري يمكن التأكيد على النقاط التالية:

- أن كل نظرية أو مقاربة في العلاقات الدولية التي إستخدمناه لتحليل الصراع الأمريكي الروسي في الشرق الأوسط لها نظرتها الخاصة في تفسير هذا التنافس إنطلاقا من فرضياتها ومنطلقاتها الخاصة بها، وبذلك فإنه لا يمكننا القول بأن هناك نظرية واحدة يمكن الإعتماد عليها لتقديم تفسير شامل ونهائي للصراع الأمريكي الروسي, على إعتبار أن هناك العديد من المحددات والضوابط التي تتحكم في توجهات كل دولة, تتطلب وجود أكثر من مقاربة أو نظرية لتفسيرها.

- أن مفهوم الشرق الأوسط يصعب ضبطه وتحديده بشكل دائم، وهو ما أثبتته التغيرات في المفهوم عبر مختلف المراحل التاريخية، بحيث أن هذا المصطلح ظل يخضع لتوجهات ومصالح القوة المهيمنة في كل مرحلة تاريخية، وبالرغم من أن مصطلح الشرق الأوسط العظيم قد إعتمد في إسطنبول يوم ٢٩،٢٨ حزيران ٢٠٠٤ في قمة منظمة حلف شمال الأطلسي، فإن مصطلح الشرق الأوسط الكبير هو الأكثر شيوعاً وإستخداماً في الأدبيات العلمية والرأي العام، ومع ذلك فإن قضية ما يندرج أو ما هي الدول التي يشملها مصطلح الشرق الأوسط الكبير فهي ليست واضحة مثل ما ورد في التعاريف السابقة. فالبلدان التي يشملها الشرق الأوسط الكبير تختلف وفقاً لنية أولئك الذين يستخدمون المصطلح، ما يمكن أن نقوله في نهاية المطاف أن مفهوم الشرق الأوسط يخضع دائماً للتغيرات في السياسة العالمية و التطورات الإقليمية ولمصالح القوى المهيمنة في النظام الدولي. وعلى هذا المفهوم بدأ الصراع الامريكي الروسي على أنابيب الغاز في الشرق الأوسط.

الفصل الثاني

الصراع الروسي الأمريكي على انابيب الغاز في الشرق الأوسط

بعد إتفاقية كيوتو في اليابان سنة ١٩٩٧التي قامت على أساس إتفاقية قمة الأرض, والتي عقدت في ريو دي جينرو في البرازيل سنة ١٩٩٢ بشأن التغيير المناخي العالمي, إعتمدت توصيات للحد من الإنبعاثات الحرارية وإرتفاع درجة حرارة الأرض, وخاصة في إستعمال الوقود الذي ينتج عنه الغازات المسببة لإرتفاع حرارة الأرض, وكان لا بد من التحول من إستعمال المواد الملوثة للبيئة كالفحم الحجري والنفط, إلى إستعمال مواد نظيفة أو أقل تلوثاً كالغاز, والتي إكتسبت أهميتها من نظافتها بالنسبة للمواد التي كانت تستعمل, والمتوفرة بشكل عام تراتبياً في روسيا إيران قطر أذربيجان ودول أخرى, وشاءت الظروف أن تصبح هذه المادة إستراتيجية ومحركة للجيوبوليتيك العالمي الذي نشئ عنه صراعات وحروب وما زالت محتدمة حتى إعداد هذا البحث. سيتم التطرق في هذا الفصل إلى أهمية هذه المادة والصراعات التي نشأت بسببها, والتحولات الجيوبولتيكية العالمية جراء هذا الصراع . وهنا الإشكالية الأساسية التي تطرح نفسها حيث تسيطر روسيا على إمدادات الغاز في منطقة أوراسيا, وتعتبر المصدر الأول للغاز في العالم, حيث تزود اوروبا بحوالي ٤٠% من حاجتها من الغاز, وذلك يرتب تبعات سياسية على أوروبا إتجاه روسيا, وخاصة في القرار السياسي الأمر الذي ترفضه الولايات المتحدة الامريكية, وتحاول إخراج أوروبا من الهيمنة الطاقوية الروسية, وذلك بإيجاد مصادر طاقة مختلفة وغير خاضعة للهيمنة الروسية, ومن هذه المصادر تطلب الدول الغنية بالغاز والواقعة ضمن محور الولايات المتحدة الأمريكية المرور الأمن لخطوط الغاز الخاصة بها من المصدر إلى المستهلك, حيث إصطدمت بالصعوبات التالية:

- طلب قطر للمرور الآمن لخط الغاز المقترح إنشاؤه من قطر عبر السعودية, الأردن, سوريا, تركيا, أوروبا حيث تم رفض المشروع من قبل الدولة السورية.
- طلب إيران للمرور الآمن لخط الغاز المقترح إنشاؤه من إيران عبر العراق, سوريا, قبرص, أوروبا, تمت الموافقة على المشروع من قبل الدولة السورية, لكنه رفض من قبل الولايات المتحدة الأمريكية فأنشئت داعش وسيطرت على المناطق العراقية – السورية المقرر مرور خط الأنابيب بها.
- إكتشاف كميات كبيرة من الغاز في الأراضي السورية, حيث تم تلزيم جزء منها إلى روسيا الأمر الذي أثار حفيظة الولايات المتحدة الأمريكية, لهذه الأسباب تصبح سوريا منطقة التجميع والإنتاج بالتضامن مع الإحتياطي اللبناني وهو فضاء إستراتيجي – طاقوي يفتح لأول مرة جغرافياً من إيران إلى العراق, سوريا, فلبنان, وهو ما كان من الممنوعات وغير المسموح

بها لسنوات خلت, الأمر الذي يفسر حجم الصراع على سوريا, وكانت من الأسباب التي أدت إلى إعلان الحرب عليها أو الصراع على أرضها.

حيث سيتم إستعراض جيوبولتيك الغاز في أوراسيا ضمن المبحث الأول والصراع على أنابيب الغاز ضمن المبحث الثاني.

المبحث الاول: جيوبولتيك الغاز في اوراسيا

المطلب الاول: الغاز في اوراسيا :

الطاقة في روسيا[1]

روسيا هي أكبر منتج في العالم للنفط الخام (بما في ذلك المكثفات الإيجار) , وثاني أكبر منتج للغاز الطبيعي الجاف. كما تنتج روسيا كميات كبيرة من الفحم, والإقتصاد الروسي يعتمد إعتماداً كبيراً على النفط والغاز لها، وتمثل إيرادات النفط والغاز الطبيعي لأكثر من ٥٠٪ من إيرادات الموازنة العامة الإتحادية. و٦٨٪ من إجمالي الصادرات في عام ٢٠١٣.

وكانت روسيا أكبر منتج في العالم للنفط الخام بما في ذلك المكثفات الإيجار وثالث أكبر منتج للنفط والسوائل الأخرى (بعد المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة) في عام ٢٠١٤، مع إنتاج متوسط السوائل ١٠,٩ مليون برميل يوميا (ب / د) . كانت روسيا ثاني أكبر منتج للغاز الطبيعي الجاف في عام ٢٠١٣ (الثانية بعد الولايات المتحدة)، وتنتج ٢٢١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ قدم مكعب (تريليون قدم مكعب).

أوروبا تعتمد على روسيا كمصدر للإمدادات بالنسبة للنفط والغاز الطبيعي، مع أكثر من ٣٠٪ من إمدادات النفط الخام والغاز الطبيعي الأوروبية القادمة من روسيا في عام ٢٠١٤. روسيا تعتمد على أوروبا كسوق للنفط والغاز الطبيعي وعائدات تولد تلك الصادرات ، وذهب أكثر من ٧٠٪ من صادرات النفط الخام لأوروبا, وما يقارب من ٩٠٪ من صادرات روسيا من الغاز الطبيعي إلى أوروبا. وروسيا هي مولد ثالث أكبر قوة نووية في العالم, ورابع أكبر قوة من حيث القدرة النووية المركبة مع تسعة المفاعلات النووية قيد الإنشاء حالياً, وهي ثاني دولة في العالم بعد الصين من حيث عدد المفاعلات قيد الإنشاء . وذلك وفقاً لتقرير إدارة معلومات الطاقة الأمريكية EIA .

يتركز الإحتياطي العالمي من الغاز الطبيعي في روسيا الإتحادية ومنطقة الشرق الأوسط ودول آسيا الوسطى والقوقاز, حيث يقدر الإحتياطي بحوالي ٧٤% من الإحتياطي العالمي, وبذلك تضم أكبر تجمع للغاز الطبيعي في العالم, وعلى الرغم من ذلك ما زال إنتاج منطقة الشرق الأوسط متواضعاً من هذه المادة.

---

[1] وفقاً لتقرير إدارة معلومات الطاقة الأمريكية الصادر في ١٠ اب ٢٠١٥ على الرابط
https://www.eia.gov/beta/international/analysis.cfm?iso=RUS تاريخ الدخول ٢٠١٧/٣/١٩

تخضع هذه الجغرافيا للصراع بين القوى العالمية الساعية للسيطرة عليها جغرافياً لما تمثله من أهمية إستراتيجية.

الغاز الروسي:

إستحوذت روسيا على مركز الصدارة في حجم إحتياطيات الغاز، والتي تبلغ وفقاً لتقرير إدارة معلومات الطاقة الأمريكية EIA حوال ٢٥% من إحتياطيات العالم من الغاز الطبيعي حوالي ١،٦٨٨ تريليون قدم مكعب, وتقع معظم هذه الإحتياطيات في غرب سيبيريا، في الحقول Yamburg، Urengoy و Medvezhye. غازبروم وغيرها تستثمر بشكل متزايد في مناطق جديدة، مثل شبه جزيرة يامال وسيبيريا الشرقية، وجزيرة سخالين، لتحقيق مخزون الغاز في هذه المناطق في الإنتاج. أغلبها مرخصة لشركة غازبروم. وفيما يتعلق بإنتاج الغاز الطبيعي, إحتلت روسيا المركز الثاني عالمياً بنسبة ١٩,٢% من إجمالي الإنتاج العالمي، بعد الولايات المتحدة التي جاءت في المركز الأول, ووفقاً للتقرير فإن إنتاج روسيا من الغاز قد إرتفع بنسبة ٢% في نهاية عام ٢٠١٣ مقارنة بنهاية عام ٢٠١٢.

شركة غازبروم المملوكة للدولة تسيطر على قطاع الغاز الطبيعي الروسي، وتنتج حوالي ٧٣٪ من إجمالي إنتاج الغاز الطبيعي في روسيا وفقاً لإحصاء سنة ٢٠١٣ , بينما تساهم شركات أخرى مثل نوفاتيك ولوك أويل ... بالنسب الباقيه

يدير قطاع الغاز الطبيعي عدد من الوزارات والهيئات التنظيمية, حيث تصدر وزارة الموارد الطبيعية والبيئة التراخيص البيئية، تراقب الإمتثال للإتفاقات الترخيص، ورسوم الغرامات عن إنتهاكات الأنظمة البيئية.

تقوم وزارة الطاقة بوضع وتنفيذ سياسة الطاقة العامة، وتشرف على صادرات الغاز وزارة المالية هي المسؤولة عن إستخراج النفط والغاز والضرائب على الصادرات، في حين تشرف وزارة التنمية الإقتصادية على الرسوم الجمركية. بالاضافة إلى الجمارك الإتحادية الذي ينظم التعريفات على خطوط الأنابيب ودائرة مكافحة الإحتكار التي تشرف على الإستخدام الصحيح وعدم الإحتكار.

يتموضع الإحتياطي الكبير من الغاز الطبيعي في شمال غرب سيبيريا بالإضافة إلى التطوير والإستخراج من مناطق جديدة مثل شبه جزيرة يامال وسيبيريا الشرقية، وجزيرة سخالين، بعض الحقول أغزر في سيبيريا تشمل Yamburg، Urengoy، وMedvezhye، وكلها مرخصة لشركة غازبروم.

شكلت الإيرادات من صادرات الغاز الطبيعي في عام ٢٠١٣ حوالي ١٤٪ من إجمالي عائدات التصدير الروسية في حين أنها لا توازي عائدات الصادرات الروسية من النفط الخام وسوائل أخرى، إلا أن المردود السياسي لهذه السلعة أقوى بكثير حيث أن السوق الأوروبيه تعتمد على الغاز الروسي

روسيا ، إستوردت دول أوروبا الغربيه حوالي ٣٠٪ من الغاز الطبيعي من روسيا. بالإضافة إلى بعض الدول في أوروبا الشرقية، وخاصة فنلندا ودول البلطيق، وجزء كبير من جنوب شرق أوروبا، وكلها تقريباً من الغاز الطبيعي من روسيا. وسعت روسيا دائرة تصدير الغاز الطبيعي بإتجاه الشرق وذلك بتوقيع إتفاق مع الصين في العام ٢٠١٤ والذي يصدر حوالي ٢,٤ ترليون قدم مكعب سنويا.

خطوط أنابيب الغاز

يشمل نظام نقل الغاز الطبيعي الروسي شبكة من خطوط الأنابيب تمتد لأكثر من ١٠٠٠٠٠ ميل وقد بنيت أغلبية الخطوط إبان الحقبة السوفياتية, أي أن نسبة ٧٥% من هذه الخطوط بلغ من العمر العشرين عاماً. منذ أواخر القرن العشرين بدأت شركة غاز بروم إضافة خطوط أنابيب رئيسية جديدة لإستيعاب مصادر جديدة للإمدادات، بما في ذلك الحقول في يامال وسيبيريا الشرقية، وطرق جديدة للتصدير، بما في ذلك الصادرات إلى الصين وخطوط أنابيب جديدة لأوروبا.

إن نظام إمدادات الغاز الموحد, وهو الإسم الجماعي لخطوط أنابيب الغاز الطبيعي في روسيا يتضمن خطوط الأنابيب المحلية والجزء الداخلي لأنابيب التصدير في روسيا الأوروبية, لكنه لا يشمل خطوط الأنابيب في شرق روسيا, حيث وجهت الحكومة الروسية إهتمامها لتوسيع البنية التحتية للغاز في شرق سيبيريا والشرق الأقصى الروسي وهو العمود الفقري لقطاع الغاز و خط قوة سيبيريا, حيث بدأت الحكومة الروسيه بتوسيع هذه الشبكة بواسطة شركة غاز بروم المالك الوحيد لخطوط أنابيب الغاز وفقاً للقانون الروسي الصادر في العام ١٩٩٩ , وهذا يحتم على المنتجين تصدير إنتاجهم بواسطة شركة غاز بروم, إلا أن تحديث الأنظمة مؤخراً سمح لبعض الشركات بالوصول إلى شبكة الإمدادات ولكن بنسب ضئيلة جداً بحيث لا تغير في المعادلة أي شيء, فشركة غازبروم هي المالك الوحيد تقريباً لجميع خطوط الأنابيب في روسيا.

بالإضافة إلى شبكة خطوط أنابيب الغاز, تقوم روسيا بتصدير غازها بطريقة الإسالة وتوجد هذه المنشأة في جزيرة سالخين, وتعمل هذه المنشأة منذ العام ٢٠٠٩ مع قدرة أساسية ٩,٦ مليون طن سنوياً أي حوالي ٤٦٠ مليار قدم مكعب من الغاز الطبيعي, تصدر هذه المادة إلى اليابان وكوريا الجنوبية في إطار إتفاقيات طويلة الأجل.

أدى تطوير المنشأة في العام ٢٠١١ إلى زيادة في الإنتاجحوالي ٣,٢ طن متري, أي ما يعادل ١٥٠ مليار قدم مكعب , في العام ٢٠١٣ عدلت روسيا قانون صادرات الغاز للسماح للشركات الوطنية الأخرى بتصدير الغاز المسال, هذا التعديل سمح لمجموعة شركات من الاتحاد في بناء منشأة لتسييل الغاز منها شركة نوفاتيك, ومن المخطط أن يبدأ التصدير بواسطة ثلاث قطارات في العام ٢٠١٧ بقدرة نقل ٥,٥ طن متري من الغاز سنوياً لكل قطار, بالإضافة إلى هذه الوسيلة فقد كلفت شركة يامال للغاز الطبيعي ببناء ما يصل إلى ١٦ ناقلة غاز مسال كاسحة للجليد تعمل في كافة

الظروف الجوية, وذلك لنقل الغاز عبر الجليد إلى الأسواق الأسيوية والأوروبية وخلال معظم أيام السنة.

خط أنابيب غاز الشمال:

هو خط يتألف من أنبوبين بطول ١٢٢٤ كلم وقدرته التمريرية تبلغ ٥٥ مليار متر مكعب من الغاز سنوياً, وهو ينقل الغاز مباشرة من حقول الغاز الروسية في بفيبورج مروراً ببحر البلطيق وينتهي في وغرايسفالد في ألمانيا, وهو ما يسمى السيل الشمالي ١ وتعمل روسيا على إنشاء خط ثان بقدرة تمريرية ٥٥مليار متر مكعب سنوياً. وبذلك يتم تزويد الغاز بأقصر طريق عبر ربط أكبر موارد الغاز الروسي بالأسواق الأوروبية بدون مخاطر الترانزيت بثبات وسلامة، حيث إلتزمت روسيا كمصدر آمن وموثوق للوقود إتجاه أوروبا ، وهو كونسورتيوم بين روسيا – ألمانيا –هولندا ، هذه الأنابيب تستخدم من قبل كل الاطراف ، يصب في مدينة «غريسفالد» الألمانية ومن ثم يتابع عبر فرعين من انابيب الغاز يوزع إلى الشمال الغربي والجنوب الغربي ويتجه نحو تشيكيا .

يشكل مشروع السيل الشمالي عنصر الربط الرئيس بين روسيا وألمانيا. وتبلغ تكلفة خط الأنابيب ٤,٧ مليارات يورو. وعلى الرغم من أنه يصل روسيا بألمانيا, إلا أن إدراك الأوروبيين أن هذا المشروع سيكون جزءاً من الأمن الطاقي, قد جعل هولندا وفرنسا تسارعان لإعلانه مشروعاً أوروبياً.. حتى أن (ليندر) في لجنة العلاقات الاقتصادية لأوروبا الشرقية سرعان ما أعلن دون أي خجل أو تردد: "إن هذا مشروع أوروبي لا ألماني.. ولن نسمح لألمانيا أن تعتمد اعتماداً كبيراً على روسياً. وهو تصريح يدل على الخشية من النفوذ الروسي المتنامي في ألمانيا.. إلا أنه ليس أكثر من هذا.. إذ إن مشروع السيل الشمالي يعكس هيكلياً خطة موسكو وليس خطة الإتحاد الأوروبي.

سيتمكن الروس من التحكم بالطاقة إلى دول أخرى حسبما يشاؤون, وسيتمكنون من بيع الغاز لمن يدفع أكثر. لكن أهمية ألمانيا بالنسبة لروسيا تكمن عملياً في أنها تشكل نقطة لإنطلاق إستراتيجيتها عبر القارة, حيث تمتلك جرمانيا غاز بروم أسهماً في ما لا يقل عن خمسة وعشرين مشروعاً مشتركاً في بريطانيا وإيطاليا وتركيا وهنغاريا وغيرها. وهو ما يهيئ فعلياً للقول إن غاز بروم أصبحت من أكبر شركات العالم إن لم تكن أكبرها إطلاقاً.

خط أنابيب غاز روسيا – تركيا السيل التركي:

هو خط قيد الإنجاز مصدره روسيا بإتجاه الحدود التركية – اليونانية ٦٣مليار متر مكعب سنوياً سيبلغ طول خط أنابيب الغاز نحو ١١٠٠كلم, ويتألف من ٤ خطوط وتتضمن المرحلة الأولى من المشروع مد خط واحد من الخطوط الأربعة بقدرة تناهز ١٦مليار م^3 ستذهب لسد حاجة تركيا من الغاز، علق تنفيذ المشروع بسبب توتر العلاقات الدبلوماسية بين موسكو وأنقرة عقب إسقاط الجيش التركي مقاتلة روسية قرب الحدود التركية مع سوريا. لكنه أعيد إلى مساره الطبيعي بعد إجتماع

الرئيسين التركي أردوغان والروسي بوتين بتاريخ ٩/٨/ ٢٠١٦, فيما يتعلق ببناء الأجزاء المتبقية من "السيل التركي"، وإتفاق أولي مع الجانب الروسي حول تمويلها بالمناصفة. تجدر الإشارة إلى أن مشروع الغاز الإستراتيجي "السيل التركي" يقتضي بمد خط أنابيب الغاز من روسيا إلى تركيا عبر قاع البحر الأسود. حيث أن تركيا سيصلها من خلال "السيل التركي" نحو ١٦ مليار متر مكعب من الغاز الروسي سنويا، وأن الفائض من هذه الكميات سيوجه إلى أوروبا عبر خط "تاناب" (خط أنابيب نقل الغاز الأذري إلى أوروبا عبر تركيا). وتعتزم تركيا الإنتهاء من ربط خط أنابيب "السيل التركي" وخط "تاناب" بحلول عام ٢٠١٨.

وظهرت فكرة مشروع "السيل التركي" بعدما أعلنت روسيا، مطلع كانون أول ٢٠١٤، إلغاء مشروع "السيل الجنوبي"، الذي كان من المفترض أن يمر من تحت مياه البحر الأسود عبر بلغاريا إلى جمهوريات البلقان والمجر والنمسا وإيطاليا، حينها تخلت موسكو عنه بسبب عرقلة المفوضية الأوروبية تنفيذه بحجة أن المشروع لا يفي بمعايير الحزمة الثالثة من الطاقة، التي تحظر إحتكار شركة واحدة لإنتاج ونقل وتوزيع الغاز. وبدلاً منه، قررت روسيا مد أنابيب لنقل الغاز عبر تركيا أو ما يسمى بـ "السيل التركي"، ليصل إلى حدود اليونان، وإنشاء مجمع للغاز هناك، لتوريده فيما بعد لمستهلكي جنوب أوروبا ومن المتوقع أن يبلغ حجم ضخ الغاز الروسي في الخط المذكور ٦٣ مليار متر مكعب سنوياً، منها ٤٧ مليار ستذهب للسوق الأوروبية، فيما سيخصص ١٦ مليار للإستهلاك التركي.

<u>خط أنابيب غاز تيار الجنوب</u>

خط أنابيب غاز طبيعى مقترح, يمتد من محطة ضغط برجوفيا في دزوجبا بروسيا عبر البحر الأسود إلى فارنا فى بلغاريا. يمتد بعد ذلك عبر فرعين إلى اليونان، ومن ثم إلى جنوب إيطاليا. والفرع الشمالى الغربى من خلال صربيا والمجر، منتهياً فى النمسا. يشكك بعض النقاد في الجدوى الإقتصادية للمشروع، وتعرض لضغوط من الولايات المتحدة الأميركية، أدت إلى توقفه.

<u>خط أنابيب السيل الأزرق</u>:

هو خط أنابيب بحري مخصص لتوريد الغاز الطبيعي الروسي إلى تركيا عبر قاع البحر الأسود، بسعة ١٦ مليار م^{3} متجنبا المرور في أراضي دولة ثالثة، ويعد مصدراً إضافياً للغاز الروسي المورد إلى تركيا عبر خط أنابيب البلقان البري الذي يمر عبر أراضي أوكرانيا ومولدوفا ورومانيا وبلغاريا وصولاً إلى تركيا.

وتكمن أهمية خط أنابيب غاز "السيل الأزرق" في نقله لأكثر من ٥٠% من إجمالي صادرات روسيا من الغاز الطبيعي إلى تركيا.

وتركيا هي ثاني شريك تجاري لشركة "غازبروم" بعد ألمانيا، و وفي شباط عام ٢٠٠٣ بدأت إمدادات الغاز الروسي التجارية إلى تركيا بشكل رسمي, عبر هذا المشروع العملاق إستطاعة الخط

تبلغ ١٦ مليار متر مكعب من الغاز سنويا، وتم تصدير الغاز عبر خط الغاز "السيل الأزرق" وخط أنابيب البلقان.

الغاز في تركمانستان

بلغت تركمانستان للمركز السادس في قائمة الدول التي تمتلك أعلى احتياطي عالمي وبلغت حجم للإحتياطيات التي وصلت إلى ٢٦٥ تريليون قدم مكعب ، إعتباراً من كانون الثاني ٢٠١٥ . وذلك وفقاً لتقرير إدارة معلومات الطاقة الأمريكية. وأهم حقل غاز الطبيعي هو حقل Galkynysh ثاني أكبر حقل في العالم . وفي أيلول ٢٠١٣ ، أعلنت تركمانستان بدء الإنتاج التجاري فيه.

خط أنابيب غاز منظومة وسط آسيا:

خط أنابيب غاز منظومة وسط آسيا هو منظومة أنابيب غاز طبيعي بطول ٢٠٠٠ كم، تسيطر عليها غازبروم، وتمتد من تركمانستان عبر أوزبكستان وكازاخستان إلى روسيا. ينقل تقريباً قسم كبير من الغاز الطبيعى الأوزبكى والتركمانى من خلال منظومة أنابيب غاز وسط آسيا يبلغ إجمالى الطاقة الإستيعابية للمنظومة ٩٠ مليار متر مكعب فى السنة.

خطوط أنابيب الغاز المنافسة للخطوط الروسية:

مع إزدياد الطلب من الدول الصناعية، مثل الصين، على الطاقة، ومع محاولات الولايات المتحدة الأمريكية تحرير أوروبا من الإحتكار الروسي للغاز بالإضافة إلى معاناة الدول الأوروبية من توقف إمدادات الغاز من روسيا بسبب أزماتها مع دول الجوار، مثل أوكرانيا، إتجهت الأنظار إلى منطقة بحر قزوين التى إكتسبت أهمية جديدة فى التنافس الدولى على إمدادات الطاقة.

وقد تجلى ذلك فى مجموعة من المشروعات الجديدة لمد خطوط أنابيب نقل الغاز والبترول من كازاخستان وتركمانستان وأذربيجان شرقاً إلى الصين، وغرباً إلى أوروبا، فى مسارات لا تخضع للسيطرة الروسية.

خط أنابيب غاز نابوكو:

يعتبر هذا الخط السلاح الإقتصادي المقترح الذي يعد لمحاربة التدعيات السياسية الناتجة عن سيطرة روسيا على أغلب خطوط الغاز المتجهة نحو أوروبا, وهذا السلاح الذي يعد نتجت عنه حروب وتغيير حدود دول سنأتي على ذكرها في سياق هذا البحث.

من الناحية التقنية هو خط أنابيب غاز يعتبر ممر إستراتيجى **مقترح** لتصدير الغاز من الشرق إلى الغرب، بطول ٣,٣٠٠ كلم، ويمتد من أرزروم فى تركيا عبر بلغاريا ورومانيا والمجر، وينتهي فى مجمع غاز بومغارتن فى النمسا، حيث يتم توصيل الغاز إلى مزيد من الدول الأخرى الأعضاء فى الإتحاد الأوروبى. الهدف الرئيسى من خط الأنابيب هو ربط أوروبا مباشرة بمصادر الغاز الطبيعى فى بحر قزوين والشرق الأوسط وتحريرها من الإحتكار الروسي, وبالتالي أضعاف هذا الدور المتنامي المتحكم بأمن الطاقة للدول الأوروبية .

ويحظى المشروع بدعم العديد من الدول الأوروبية والولايات المتحدة. ويعتبر المشروع بديلاً لتيار الجنوب والتيار الأزرق، وهناك شكوك حول الجدوى الإقتصادية لنابوكو، لأن إمدادات الغاز للخط ليست مضمونة.

في منتصف الشهر السابع من عام ٢٠٠٩، أبرمت اتفاقية في العاصمة التركية أنقرة تمهد الطريق أمام إقامة مشروع خط أنابيب غاز ضخم لنقل الغاز من أذربيجان في وسط آسيا عبر الأراضي التركية في إتجاه دول الإتحاد الأوروبي, ليصب في مستودعات كبيرة للتخزين تقع في بلدة حدودية داخل النمسا تسمى "بوجمارتن اندرمارش" ، وهو ما يعد مشروعاً منافساً لمشروع خط الأنابيب الروسي المعروف بـ "ساوث ستريم "أو " السيل الجنوبي " الذي كانت تنوي القيام به شركة غاز بروم الروسية. الذي كان مقرراً أن يمر تحت مياه البحر الأسود من روسيا إلى بلغاريا ثم إلى وسط أوروبا ، لنقل كمية ستصل تدريجياً إلى ٣١ مليار متر مكعب من الغاز سنوياً من آسيا الوسطى إلى الإتحاد الأوروبي وشارك في التوقيع على هذه الاتفاقية ، إضافة إلى تركيا وأذربيجان، أربع دول أعضاء في الإتحاد الأوروبي هم بلغاريا, رومانيا, المجر, النمسا, والتي من المنتظر أن يمر بها الأنبوب، بحضور ألمانيا التي تشارك في تنفيذ المشروع، إلا أنها لم توقع على إتفاقية العبور كونها ليست بلد العبور، وبحضور رئيس المفوضية الأوروبية وكذلك حضور المبعوث الخاص من قبل رئيس الولايات المتحدة باراك أوباما لشؤون الطاقة في أوراسيا ، الذين شاركوا في فعاليات التوقيع على الإتفاقية، مؤكدين بعبارات لا تقبل الشك تبني حلف الأطلسي ودعمه السياسي والإستراتيجي لهذا المشروع الذي تم الإتفاق على تسميته بخط أنابيب «نابوكو» , ولقد جسد هذا المشروع منذ بدء التفكير فيه مشادة حادة بين نوعين متضادين من الإستراتيجيات الجيوسياسية الكبرى حول طاقة القوقاز ووسط آسيا تمخضت في نهاية المطاف عن التوقيع على أغرب اتفاقية دولية وقعت خلال العقد الأول من هذا القرن كما سنرى لاحقاً في هذا البحث، الذي سنحاول فيه تحليل هذا المشروع الغامض والذي يعد مفتاح السر وراء كل ما يجري من أحداث شهدتها وتشهدها منطقة الشرق الأوسط ، في محاولة لتحري بعض أبعاده الإستراتيجية وفك رموزه وطلاسمه.

خط أنابيب جنوب القوقاز

خط أنابيب جنوب القوقاز والمعروف بخط باكو – تبليسي – أرزووم هو خط أنابيب غاز طوله ٦٢٩ كلم. يمتد من حقل شاه دينيز للغاز في أذربيجان عبر جورجيا إلى تركيا تملك الخط شركة أنابيب جنوب القوقاز, وهي كونسورتيوم تقوده شركة بريتش بتروليوم وشركة وستات أويل هيدرو من المرتقب أن يبلغ إجمالي الطاقة الإستيعابية للخط ٢٠ مليار متر مكعب في السنة, والهدف الرئيسي من الخط تزويد تركيا وجورجيا بالغاز الطبيعي, كما أن هناك خطط لوصل هذا الخط بخطي أنابيب بحر قزوين ونابكو.

خط أنابيب غاز بحر قزوين :

هو خط غاز مقترح طوله بين ٨٠٠ و١٠٠٠ كلم لنقل الغاز من الشرق إلى الغرب. يبدأ الخط من تركمانستان ويمر عبر بحر قزوين إلى جنوب باكو في أذربيجان ليتصل مع خط جنوب القوقاز عابراً إلى أرزووم بتركيا, الذي بدوره سيتصل بخط أنابيب نابكو بطاقة إجمالية تبلغ ٣٠ مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي سنوياً.

أكدت روسيا إعتراضها على المشروع معللة ذلك بأسباب قانونية, حيث أن أي مشروع خط أنابيب يمر عبر قاع بحر قزوين سوف يتطلب موافقة جميع الدول الخمس المطلة على البحر, بإعتبار هذا البحر المغلق هو بمثابة بحيرة تتغذى من نهر الفولغا, وبالتالي تطبق عليه الإتفاقيات الخاصة بالبحيرات هذا من وجهة نظر روسيا وإتخذت إيران الموقف نفسه .

من ناحية أخرى، تعمل إيران، وهى لاعب رئيسي فى منطقة بحر قزوين، على ضخ الغاز والنفط من هذه الدول إليها، عبر شبكة خطوطها الداخلية، وذلك لتدعيم موقعها كقوة إقليمية ولاعب رئيسي فى مجال الطاقة.

المطلب الثاني: الغاز في الشرق الاوسط

أدت إكتشافات حقول الغاز في منطقة شرق المتوسط إلى العديد من ردود الفعل العالمية والإقليمية, التي رحبت بتلك الإكتشافات بإعتبارها نواة لتعاون إقليمي بين دول شرق المتوسط، ولكن هذه التوقعات الأيجابية تحولت إلى صراعات على تلك الحقول وكيفية إستثمارها وإعادة ترسيم الحدود البحرية، وتداخل نفوذ الدول الكبرى في المنطقة، من دول وكيانات في مقدمتها: الأتحاد الأوروبي وروسيا والولايات المتحدة، ومصر وتركيا واليونان وقبرص وسوريا ولبنان وفسلطين .

وأصبحت قضية ترسيم الحدود البحرية وأحقية الدول بتلك الحقول الغازية مقدمة لمشكلة كبرى قد تتطور إلى صراع محتدم, وقد نشرت إدارة المعلومات الأمريكية[1] تقريراً عن الإحتياطي العالمي من الغاز حيث يتصدر الشرق الأوسط مناطق العالم بمخزون يصل الى ٢٨١٠,٢٣ ترليون قدم مكعب بالإضافة إلى السبب الأهم, وهو عقدة مرور هذا الغاز وما نتج عنه من حرب على سوريا متقاطعة مع المشكلات التاريخية والدينية والحضارية في تلك المنطقة.

الغاز في إيران :

تمتلك إيران إحتياطيات كبيرة من النفط والغاز وفقاً لـ"نشرة بريتش بيتروليوم الإحصائية للطاقة العالمية"؛ إذ تقبع الجمهورية الإسلامية فوق ثاني أكبر احتياطي مؤكّد من الغاز في العالم (١٢٠١ تريليون قدم مكعب، حوالي ١٧,٣من الاحتياطي العالمي)، وذلك وفقاً لإحصاءات إدارة معلومات

[1] تقرير إدارة معلومات الطاقة الأمريكية https://www.eia.gov/outlooks/ieo/nat_gas.cfm تاريخ الدخول ٢٠١٧/٣/١٩

الطاقة الأمريكية [1]للعام ٢٠١٦ ورابع أكبر إحتياطيات نفطية مؤكّد (١٥٧ مليار برميل، أي مايعادل أكثر من ٩ في المئة من الإجمالي العالمي)، بعد فنزويلا والسعودية وكندا.

والأمر المثير هو أن إيران لاتزال تمتلك ثاني أكبر إقتصاد في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، بعد المملكة العربية السعودية، على الرغم من العقوبات العديدة المفروضة على الإقتصاد وقطاع الطاقة فيها.

كما تظلّ إيران إحدى الدول المنتجة الكبيرة للنفط والغاز فهي تعدّ ثالث أكبر منتج للغاز في العالم بعد الولايات المتحدة وروسيا، وسابع أكبر منتج للنفط بعد السعودية وروسيا والولايات المتحدة والصين وكندا والإمارات العربية المتحدة.

وتنتج إيران حاليًّا ١٧٣ مليار متر مكعب من الغاز سنويًّا مخصصة بشكل أساسي لسوقها الداخلي، بحسب أرقام وزارة النفط، ويقتصر التصدير على البلدان المجاورة، مثل تركيا والعراق وأرمينيا، وتهدف إيران لأن تتمكن بمساعدة المجموعات النفطية والغازية الدولية الكبرى، ومنها الروسية، من زيادة الكميات المعدة للتصدير، لتصل بحلول عام ٢٠٢٠ إلى ١,٣ مليار متر مكعب يوميًّا.

وحول التناغم الروسي الإيراني في عملية التصدير, أن إيران ترفض أن تكون بديلًا للصادرات الروسية من الغاز بعد فرض العقوبات الغربية عليها نتيجة الأزمة الأوكرانية ساهم في هذا التناغم، تعهد المسؤولين الإيرانيين بالمساعدة الثابتة لروسيا لكسر حصتها من العقوبات الدولية، مؤكدًا أن تنافس روسيا وإيران على أكبر إحتياطي في العالم من الغاز الطبيعي بفروقات بسيطة، لم يسهم في الصراع، بل قاد إتجاه تعاوني داخل منظمة أوبك للتأثير على الأسعار، وصولاً لإقامة السوق الدولي للغاز، مؤكدًا أن ذلك التعاون الاقتصادي في حقيقة الأمر هو تعاون من أجل السياسة، خاصة التنسيق المشترك في ملفات عديدة، وأهمها الملف السوري.

<u>الغاز في قطر</u>

تملك قطر ثالث أكبر إحتياطي عالمي من الغاز بعد روسيا وإيران ويقدر إحتياطها[2] ب ٨٦٦ تريليون قدم مكعب، بنسبة ١٢,٥ من الاحتياطي العالمي أهم شركاتها «قطر غاز». تصدر قطر ٣٠% من إنتاجها إلى اليابان و ٣٠% إلى أوروبا و٣٠% إلى الولايات المتحدة الأمريكية, ولكن إكتشاف الغاز الصخري في الولايات المتحدة إستغنى عن الغاز القطري, لذلك تم تحويل هذه الكمية من الغاز القطري إلى أوروبا بدلاً من الولايات المتحدة الأميركية لمنافسة السوق الروسي، أدى ذلك إلى إنخفاض تصدير الغاز الروسي إلى أوروبا بنسبة ١٠%. تعتمد أوروبا على قطر لتزويدها بالغاز

[1] مرجع سابق
[2] مرجع سابق

الطبيعي المسيل بالإضافة إلى روسيا عبر شركتي «اكسون موبيل الاميركية» «وغاز قطر» القطرية ، تقدر الكمية ب ٥٠ مليار متر مكعب سنوياً.

أواسط العام ٢٠٠٩عقد إجتماع قمة لبلدان سوريا، قطر، تركيا وفرنسا عرضوا إقامة خط أنابيب غاز قطري يمر من قطر، السعودية، الاردن، سوريا ثم الى تركيا ومنها الى الاسواق الاوروبية، لتغذية أوروبا بالغاز ولحرمان روسيا وإيران من التحكم في أسواق أوروبا لجهة الطاقة، رفضت سوريا وروسيا خط الأنابيب القطري ورفض المشروع .

الغاز في السعودية :

تعتبر السعودية خامس دولة عالمياً من حيث الإحتياط الغاز المؤكد, إذ يقدر هذا الإحتياطي بحوالي ٣٠٠ ترليون قدم مكعب[١] ,وذلك وفقاً لتقرير إدارة معلومات الطاقة الأمريكي ما يعادل ٤,٣ من الإحتياطي العالمي, كما أنه يوجد تكهنات غير مؤكدة عن إكتشافات كبيرة في الربع الخالي تزيد هذه الكميات بإضعاف.

الغاز في الإمارات العربية المتحدة:

دولة الإمارات العربية المتحدة تملك إحتياطي من الغاز الطبيعي يقدر ب ٢١٥ تريليون قدم مكعب وتعتبر السابعة عالمياً بنسبة ٣,١% من الإحتياطي العالمي .

الغاز في الجزائر:

تمتلك إحتياطي من الغاز الطبيعي يقدر ب ١٥٩ ترليون قدم مكعب , تحتل المركز الحادي عشر بنسبة ٢,٣% من الإحتياطي العالمي.

الغاز في العراق :

تمتلك إحتياطي من الغاز الطبيعي يقدر ب ١١٢ تريليون قدم مكعب, وتحتل المركز الثاني عشر بنسبة ١,٦% من الإحتياطي العالمي.

الغاز في مصر :

دخلت مصر مؤخراً في نادي الدول التي تمتلك إحتياطي غازي يقدر ٧٧ تريليون قدم مكعب ما يعادل ١,١% من الإحتياطي العالمي, وذلك بعد إكتشاف حقل غازي جديد, وهذا الإكتشاف سيعزز وضع مصر الإقتصادي والتنموي, وبالتالي السياسي حيث أعتبرت صحيفة "بلومبيرج" الأمريكية أن إكتشاف حقل غاز جديد في مصر يعد واحداً من أهم ٥ مواضيع تشغل الإهتمام في العالم أجمع الذي لقبته الصحيفة بـ"الحقل العملاق الخارق". وتابعت الصحيفة، أن الإكتشاف يعد الأكبر في تاريخ منطقة الشرق الأوسط لذلك يحتل أهمية عالمية، مشيرة إلى أن هذا الحقل يحتوي على إحتياطيات أصلية تقدر بنحو ٣٠ تريليون قدم مكعب من الغاز الطبيعي، طبقا لبيان وزارة البترول المصرية، ويغطي

[١] تقرير إدارة معلومات الطاقة الأمريكية https://www.eia.gov/outlooks/ieo/nat_gas.cfm تاريخ الدخول ٢٠١٧/٣/١٩

الإكتشاف الذي أطلق عليه حقل "شروق" مساحة ١٠٠ كيلو متر مربع على عمق ٤٧٥٧ قدماً (١٤٥٠ مترا) ويصل عمقه الأقصى لحوالي ١٣٥٥٣ قدماً أي ٤١٣١ متراً عرضت الصحيفة، بعض اللقاءات التي ألقاها المسؤولون من الشركة الإيطالية، مكتشفة حقل الغاز الطبيعي في مصر، وصرح الرئيس التنفيذي لشركة "إيني" كلاودي ديسكالزي، أن مصر لا تزال دولة مليئة بالخيرات، مضيفاً هذا الإكتشاف التاريخي يقوم بتحويل إحتياجات مصر من الطاقة إلى الاكتفاء.

وأوضح ديسكالزي، أن الشركة ستحفر لتركيب أنابيب العام القادم، ويمكن للمصريين جني ثمار المشروع بحلول العام ٢٠١٨، وفقاً لما صرح به لصحيفة "إيطاليان ديلي".

أشارت الصحيفة، إلى أن إحتياجات مصر من الطاقة في الفترة الماضية كانت ملحة وكبيرة بسبب الزيادة السكانية، لذلك كانت تعتمد على إستيراد البترول من دول الخليج، لكن الإكتشاف الأخير يمد مصر بالطاقة لعقود، حد تعبيرها وقال روبين ميلس، محلل في شركة "منار إنرجي كونسولتينج"، للصحيفة، "هذا الإكتشاف وبهذا الحجم الكبير، سيكون كافيا لمد مصر بالكثير من الطاقة، ويسد حاجتها من نقص الوقود.

وألقت الصحيفة، الضوء على مخططات شركات الطاقة أمريكية والإسرائيلية مثل شركة "نوبل أنرجي، التي كانت تخطط لتصدير الغاز إلى مصر في السنوات المقبلة، نظراً لحاجة مصر الملحة من الطاقة، لكن الإكتشاف الجديد قضي بشكل كبير على كل هذه الآمال، أضافت "هاندلس بلات"، أن الإحتياطيات الضخمة المكتشفة من الغاز الطبيعي قبالة السواحل المصرية، أدت إلى تصاعد القلق والإضطراب في إسرائيل بشكل كبير، مؤكدة أن المصريين نجحوا في العثور على حل مستقل خاص بهم، بعد أن أعلنت شركة "إيني" الإيطالية للطاقة، إكتشاف أكبر حقل غاز حتى الآن في البحر المتوسط قبالة السواحل المصرية، الأحد الماضي.

الغاز في الكويت :

تمتلك الكويت إحتياط من الغاز يقدر ب ٦٣ تريليون قدم مكعب وبنسبة عالمية ٠,٩% من الإحتياطي العالمي. وتحتل المرتبة العشرون

الغاز في سوريا[١]

يكشف الدكتور عماد فوزي الشعيبي رئيس مركز الدراسات والمعطيات الإستراتيجية في دمشق عن اكتشاف ١٤ حوضاً نفطياً في المياه الإقليمية السورية، في ظل تعتيم على نتائج المسح الذي أجرته شركة نرويجية. وضمن حلقة من برنامج "حوار الساعة" على قناة "الميادين" قال الشعيبي "إن مسحاً تأشيرياً لمنطقة الساحل السوري لما يقارب ٥٠٠٠ كيلو متر مربع قامت به شركة نرويجية تدعى "انسيس" توصل إلى اكتشاف ١٤ حقلاً نفطياً. الشعيبي كشف أن من بين الحقول الـ ١٤ "هناك أربعة

[١] مقابلة مع الكتور عماد فوزي الشعيبي على قناة الميادين على الرابط التالي تاريخ الدخول ٢٠١٧/٣/٢٠
https://www.youtube.com/watch?v=fERfo4gF1zo

حقول من المنطقة الممتدة من الحدود اللبنانية إلى منطقة بانياس تضم إنتاجاً نفطياً يعادل إنتاج دولة الكويت من النفط، ومجموعه يتخطى ما هو موجود في لبنان وقبرص وإسرائيل مجتمعين." لم يتم تأكيد المعلومات من مصدر آخر.

وإعتبر الشعيبي أن هذا المخزون النفطي هو "نقمة"، متابعاً "السؤال هو هل من المسموح أن تمتلك دولة واحدة كل هذا؟."كلام الشعيبي يطرح تساؤلات حول دور المخزون النفطي والغازي الموجود في سورية وغير مستثمر في الأزمة التي تشهدها البلاد، حيث تم إكتشاف آبار غاز في منطقة ريفي حمص ودمشق بإحتياطيات كبيرة، بالإضافة إلى ما يحكى عن حرب أنابيب الغاز وموقع سورية الإستراتيجي لمد هذه الخطوط. المعلومات المتوافرة تقول إن هذا الحوض هو الأثرى في العالم بالغاز حيث يؤكد معهد واشنطن أن سوريا ستكون الدولة الأغنى, وأن الصراع بين تركيا وقبرص سيستعر نظراً لعدم قدرة أنقرة على تحمل خسارتها لغاز نابوكو, إلا إذا قامت روسيا بتعويض الخسائر عبر إتفاقيات لإمرار الغاز الروسي والعربي تحت الراية الروسية.

إن معرفة السر الكامن في الغاز السوري سيفهم الجميع حجم اللعبة على الغاز لأن من يملك سورية يملك الشرق الأوسط وبوابة آسيا ومفتاح بيت روسيا (حسب كاترين الثانية) وأول طريق الحرير (حسب الصين)، والأهم من يملك الدخول عبرها إلى الغاز يملك العالم, خصوصاً أن القرن المقبل هو قرن الغاز.

وبتوقيع دمشق اتفاقاً لتمرير الغاز الإيراني عبر العراق إليها ومن ثم للبحر المتوسط يكون الفضاء الجيوسياسي إنفتح والفضاء (الغازي) قد أغلق على غاز نابوكو شريان الحياة وقال: "إن سورية هي مفتاح الزمن القادم".

<u>الغاز في لبنان:</u>

صرح الخبير البريطاني ديفيد رولاندس والمدير التنفيذي لشركة «سبيكتروم جيو» البريطانية أن في لبنان إحتياطيات من الثروتين قيمتها ١٤٠ مليار دولار، وإن الشركة عثرت على ما يجعل لبنان أحد أكبر منتجي الغاز في شرق المتوسط, بإكتشافها ٢٥ تريليون قدم مكعب تحت مياه إقليمية بالساحل الجنوبي مساحتها ٣٠٠٠ كيلومتر مربع. الكمية تعني أكثر من ٧٠٧ مليارات متر مكعب، قيمتها حالياً ٤٠ مليار دولار وأوضح رولاندس إن «جيوسبيكتروم» تقوم بمسح زلزالي في منطقة البقاع، بالشمال الشرقي للبنان، بحثاً عن مكامن برية للنفط والغاز، في وقت إحتدم فيه التنافس بين ٥٢ شركة عالمية للفوز بامتيازات البحث عن الثروتين حالياً في الماء، من أصل ١٢٠ أبدت اهتماماً، «وهذا تدافع كبير لم أرَ مثله منذ فتحت ليبيا في ٢٠٠٤ مجال البحث عن الغاز»، وفق ما نقلت عنه الوكالات. ونقلت صحيفة «التايمز» البريطانية عن مالكولم غراهام– وود، وهو محلل لشؤون الطاقة في بنك «في.إس.إي كابيتال»، أن معظم الشركات النفطية تقوم بمناورات أحياناً حين تسعى للفوز

بإمتيازات البحث والتنقيب، لذلك قال: «أعتقد أنها إحتياطيات الغاز أكثر بكثير من ٢٥ تريليون قدم مكعب، وللجميع إهتمام كبير بهذه الثروة في ذلك الموقع من العالم.

الغاز في "اسرائيل"

ضمن إطار الإكتشافات للغاز في الحوض الشرقي للبحر المتوسط, إستسنحت إسرائيل الفرصة وكانت من أوائل من إكتشف هذه المادة, ووضع الخطط لكيفية إستثمارها بواسطة لجنة سميت لجنة سميح حيث أعلنت أن الإحتياطي المؤكد من هذه المادة هو ٩٥٠ مليار متر مكعب إقترحت رصد ٤٥٠ مليار متر مكعب للإقتصاد الداخلي, و٥٠٠ مليار متر مكعب للتصدير بينما كان قرار الحكومة الإسرائيلية في شهر حزيران ٢٠١٣ رصد ٥٤٠ مليار متر مكعب للإقتصاد الداخلي, و٤١٠ مليار متر مكعب متاحة للتصدير هذه الكميات تغذي الإقتصاد الإسرائيلي لمدة ثلاثين عاماً.

إستطاعت شركة غاز بروم الروسية من الدخول إلى السوق الإسرائيلية بعد إكتشاف الغاز في حوض ليفانت في البحر المتوسط, والحصول على صفقة ضخمة مع إسرائيل تقدر بنحو ثلاثة ملايين طن من الغاز المسال سنويا" على مدى العشرين سنة المقبلة, وهو ما إعتبر تحولاً جيوسياسياً وطاقوياً لصالح روسيا في منطقة الشرق الأوسط, وهو إحتواء وسيطرة على جزء من الغاز الإسرائيلي الذي هو جزء من غاز الحوض الشرقي للبحر المتوسط.

لكن صحيفة فدوموستي الروسية في عددها الصادر الآربعاء ٢٥ أيار ٢٠١٦ ذكرت نقلاً عن ممثل عملاق الغاز الروسي "غازبروم"، بأن الشركة تخلت عن إهتمامها بحقل الغاز " "Leviathan في الجرف الإسرائيلي، وعن كافة مشاريعها في إسرائيل، من دون أن يذكر ممثل الشركة أسباب هذا القرار. إضافة إلى ذلك، ثمة أسباب سياسية لتخلي "غازبروم" عن مشاريعها في إسرائيل، كما يرى الخبير الذي إستندت اليه الصحيفة، إذ إنه يعتبر البحرين والكويت هي أسواق ذات أولوية مقارنة مع أسواق أخرى، ويصعب التصور بأن الغاز الإسرائيلي سوف يكون في الكويت، كما أن بوسع الشركة أن تعثر على مشاريع اكثر أهمية في المنطقة، بما في ذلك إيران، التي تخلصت من العقوبات. وتعمل إسرائيل على البحث عن أسواق جديده للغاز عبر مشاريع تارة مشروع خط أنابيب الغاز من الآبار إلى قبرص ثم اليونان وصولاً إلى أوروبا, يتزامن مع مشروع مد لكابل كهربائي من معامل الانتاج في إسرائيل إلى قبرص عبر البحر المتوسط ثم اليونان وصولاً إلى أوروبا.

وتارة أخرى عبر مشاريع غير مؤكدة مع تركيا عبر مد خط أنابيب للغاز من آبار الغاز إلى ميناء جيهان في تركيا حيث يدخل في الشبكة التركية للتصدير إلى أوروبا. وفي كلتا الحالتين يجب حل المشكلة القبرصية. أما حالياً فان الأسواق الداخلية هي المستورد الأول بالإضافة إلى الأسواق الصغيرة في الأردن والأراضي الفلسطينية.

خط الغاز العربي

هو خط غاز أنشأ أساساً لتصدير الغاز الطبيعي المصري لدول المشرق العربي ومنها إلى أوروبا.

المرحلة الأولى: العريش في مصر، منطقة العقبة في الأردن.

شركة غاز الشرق المصرية

قامت شركة غاز الشرق المصرية بتنفيذ المرحلة الأولى من الخط, وذلك من مدينة العريش مروراً بطابا إلى العقبة جنوب الأردن بطول ٢٦٤ كم وبقطر ٣٦ بوصه بتكلفة إستثمارية قدرها ٢٠٠ مليون دولار.

المرحلة الثانية: العقبة، رحاب في شمال الأردن

شركة فجر الأردنية المصرية

في كانون الثاني ٢٠٠٤ قامت الحكومة الأردنية بتوقيع إتفاقية الترخيص لشركة فجر الأردنية المصرية لتنفيذ المرحلة الثانية لخط الغاز العربي بنظام الـ BOOT.

في تموز ٢٠٠٤ قامت شركة فجر الأردنية المصرية بالتعاقد مع الإئتلاف المصري (إنبي، بتروجت، جاسكو), لتنفيذ المرحلة الثانية من خط الغاز العربي بتكلفة إستثمارية قدرها ٢٧٦ مليون دولار ويمتد الخط بطول ٣٩٥ كم وبقطر ٣٦ بوصه من مدينة العقبة جنوباً حتى منطقة رحاب شمالاً شاملة محطة ضواغط الغاز بالعقبة, ونظام تحكم آلي متطور.

ولأهمية تحقيق فائض إيجابيٍ إقتصاديٍ وبيئيٍ للمشروع، أمكن ضغط الجدول الزمني لتنفيذ المشروع بهدف إنجازه خلال ١٨ شهراً بدلاً من ٣٣ شهر, بحيث تم الإنتهاء منه في شهر كانون الأول ٢٠٠٥ بدلاً من نيسان ٢٠٠٧.

إستكمال المرحلة الثانية: رحاب في شمال الأردن، الحدود الأردنية السورية، شركة فجر الأردنية المصرية.

في عام ٢٠٠٧ تم الإنتهاء من تنفيذ أعمال إستكمال خط الغاز العربي بطول ٣٠ كم وبقطر ٣٦ بوصه من منطقة رحاب شمالاً حتى الحدود الأردنية السورية, بتكلفة إستثمارية قدرها ٤٢ مليون دولار ويشمل نظام تحكم آلي متطور، وذلك بغرض بدء تصدير الغاز الطبيعي إلي الجمهورية العربية السورية ثم إلى لبنان.

المرحلة الثالثة: الحدود الأردنية السورية حتى مدينة حمص.

بوشر العمل في المرحلة الثالثة بداية عام ٢٠٠٨، ويمتد الخط بطول ٣٣٠ كم وبقطر ٣٦ بوصه من الحدود الأردنية السورية الى مدينة حمص شمالاً.

أما المراحل المتوقعة لإستكمال مراحل خط الغاز العربي كالآتي:

المرحلة الرابعة: حمص، حلب بطول ١٨٣ كم.

المرحلة الخامسة: حلب،الشبكة، كلس تركيا بطول ٦٢ كم.

في عام ٢٠٠٦ تم الإتفاق بين مصر وسوريا والأردن ولبنان وتركيا بتوصيل الخط الغاز إلى الحدود السورية التركية, ومن هناك سيتم توصيل الخط بخط غاز نابوكو ليوصل بالقارة الأوروبية.
لا يستبعد بوجود مخطط لتصدير الغاز الإسرائيلي عبر هذا الخط، خاصة بعد الإتفاق الأردني الإسرائيلي.

مشروع خط الغاز القطري:

في العام ٢٠٠٩ بدأت مساع حثيثة لإقناع الرئيس السوري بشار الأسد من قبل أمير قطر والرئيس التركي والرئيس الفرنسي بالموافقة على مشروع خط أنابيب للغاز الطبيعي, يبدأ من قطر مروراً بالسعودية والأردن, عابراً الأراضي السورية مكملاً طريقه عابراً تركيا بإتجاه أوروبا, مقدمين إغراءات إقتصادية كبيرة تؤثر إيجاباً في الإقتصاد السوري.

وبعد مفاوضات طويلة رفض الرئيس السوري المشروع مفضلاً بقاؤه ضمن المحور الروسي الإيراني ومن ضمن مشروعه الإقتصادي, هذا الرفض سبب إعلان الحرب على سوريا.

مشروع الخط الإيراني:

بتاريخ ٢٥ أيلول ٢٠١١ وقعت كل من إيران، سوريا والعراق مذكرة تفاهم، لإنشاء خط أنابيب غاز[١] من إيران إلى سوريا عبر العراق بطول ٥٠٠٠ كلم. ورفض سوريا للخط القطري من أحد أسباب الحرب عليها، تجدر الإشارة هنا إلى أنه بعد توقيع مذكرة التفاهم سيطرت داعش على مناطق كبيرة من العراق وسوريا, وهذه المناطق هي مناطق مرور خط الغاز الإسلامي, الذي يبدأ من إيران مروراً بالعراق وصولاً إلى سوريا.

بعد إستعراض مكامن الغاز الطبيعي والدول التي تملكه وطرق إستثماره نعرض في المبحث الثاني لمراحل هذا الصراع ونتائجه على المستوى العالمي.

[١] وفقا" لموقع العالم الأخباري تاريخ الدخول ٢٠١٧/٣/١٩ على الرابط http://www.alalam.ir/news/621661

المبحث الثاني

الصراع على أنابيب الغاز

منذ زوال الإتحاد السوفياتي عن الخارطة العالمية وبروز الولايات المتحدة الأمريكية كقطب وحيد في العالم الذي سعى بكل ما أوتي من قوة للسيطرة على الجيوبولتيك السوفياتي السابق, فقد إستطاعت من التمدد إلى أغلب دول أوروبا الشرقية, وتغيير أنظمة حكمه وإدخاله ضمن دول الإتحاد الأوروبي ومنظمة حلف شمال الأطلسي, وتضييق الخناق على الإتحاد الروسي المنهك والوارث لنقاط الضعف في الإتحاد السوفياتي السابق, وهي الإنقسام السياسي الداخلي الفقر البطالة الإقتصاد المنهك التضخم والوارث أيضاً لنقاط القوة في الإتحاد السوفياتي السابق وهي القوة العسكرية، الإقتصادية، الموارد الأوليه، النووية، الجوية، الفضائية، السياسية (المقعد الدائم في مجلس الأمن وحق النقض الفيتو),الطبيعية (مساحة الإتحاد الروسي حوالي ١٨ مليون كلم مربع). حيث بقي هذا الإتحاد يكافح للصمود سنوات عديدة, ووصل به الإذعان إلى حد الإستسلام حين وافق على غزو أفغانستان ومن بعدها العراق, لكنه عاد وإنتفض حين فهم الدرس جيداً بأنه للعودة إلى الساحة الدولية, لا بد له من السيطرة على مصادر الطاقة العالمية وهي الغاز الطبيعي, والذي يملك الإحتياطي الأول منه في العالم.

إنتفض هذا الإتحاد من كبوته مستسنحا" فترة الأزمة المالية في العالم وإرتفاع أسعار النفط, حيث كون إحتياطي كبير من العملات الأجنبية ساعدته في تعزيز إقتصاده، وجلس على منابع الغاز الطبيعي حاكماً لها ومصدراً غازه لأسواق أوروبا المتعطشة له . وسرعان ما كان لهذه المادة من مفاعيل سياسية على أوروبا نتيجة إحتكار الإتحاد الروسي لهذه المادة الإستراتيجية, الذي وضع أوروبا تحت رحمة روسيا. تدخلت الولايات المتحدة الأمريكية وهي حاكمة العالم لإنقاذ أوروبا من الهيمنة السياسية الروسية وبدأ الصراع .

سنتطرق في هذا المبحث للحرب الأمريكية على أنابيب الغاز الروسية, أو التي هي تحت النفوذ الروسي في أوراسيا والشرق الأوسط. وذلك ضمن مطلبين الأول الصراع على أنابيب الغاز في أوراسيا والثاني الصراع على أنابيب الغاز في الشرق الأوسط.

المطلب الأول: الصراع على أنابيب الغاز في أوراسيا

يشكل الغاز فعلياً مادة الطاقة الرئيسة في القرن الواحد والعشرين, سواءً من حيث البديل الطاقي لتراجع إحتياطي النفط عالمياً من حيث الطاقة النظيفة.

ولهذا.. فإن السيطرة على مناطق الإحتياطي (الغازي) في العالم تعتبر بالنسبة للقوى القديمة والحديثة أساس الصراع الدولي في تجلياته الإقليمية. بعد إقرار إتفاق "كيوتو"سنة ١٩٩٢، وتطبيق الدول الأوروبية لإجراءات حازمة للحد من تلوّث الجوّ ، تضاعف إستهلاك أوروبا للغاز. ومن المتوقّع أن يزداد هذا الإستهلاك بأكثر من خمس مرّات في السنوات القليلة المقبلة، في ظل قرارات بإغلاق العديد من المفاعلات النووية المولّدة للطاقة. وهذا ما فتح شهيّة الكثير من الدول المصدرة للغاز نحو أوروبا، بشكل مباشر أو غير مباشر، وذلك لمصالح إقتصادية ولأهداف مرتبطة بالنفوذ السياسي الدولي. وفي هذا السياق، توزّع روسيا الإتحادية والتي تملك الاحتياطي الأوّل للغاز في العالم، كمّيات ضخمة من الغاز الطبيعي عبر شبكة من خطوط الأنابيب, تمتد من روسيا مروراً بأوكرانيا وبيلاروسيا إلى مجمل أوروبا الشرقية سابقاً، وصولاً إلى ألمانيا وبلجيكا بواسطة شركة "غاز بروم" الروسية التي تأسّست في العام ١٩٨٩ عندما حولت وزارة صناعة الغاز في الإتحاد السوفياتي إلى شركة غاز بروم. ومن الواضح أن روسيا قد قرأت الخارطة وتعلمت الدرس جيداً.. فسقوط الإتحاد السوفياتي كان بسبب غياب موارد الطاقة العالمية عن سيطرته.. لتضخ للبنى الصناعية المال والطاقة.. وبالتالي البقاء.

لذلك تعلمت أن لغة الطاقة الآتية إلى القرن الواحد والعشرين على الأقل, هي لغة الغاز التي تتحكم بأوروبا المتعطشة الى هذه المادة، والتي تعتمد على الإتحاد الروسي للتزود بها مما يرتب مفاعيل سياسية كبيرة على أوروبا، وفي إطار الحرب الأمريكية المستمرة على بقايا الإتحاد السوفياتي وفي معرض الدفاع عن أوروبا تسعى الولايات المتحدة بالضغوط الإقتصادية حيناً وأحياناً أخرى بالضغوط العسكرية لإخراج أوروبا من الهيمنة الطاقوية الروسية, فإستطاعت الولايات المتحدة إدخال بولندا ورومانيا وبلغاريا في الإتحاد الاوروبي, وأصبحوا ضمن حماية حلف الناتو وبهذا تكون الولايات المتحدة قد دخلت في منطقة الجيوبلتيك الروسي, وبقيت تسعى للوصول إلى الحدود الروسية عبر أوكرانيا والتي كان يعبر منها ٨٠% من الغاز الروسي إلى الإتحاد الأوروبي, حيث حرضت المجتمع الأوكراني على القيام بثورات برتقالية للتخلص من النفوذ الروسي, وإدخال أوكرانيا ضمن الجنة الإقتصادية للإتحاد الأوروبي لكن النتيجة كانت عكسية, فلا أوكرانيا ضمت إلى الإتحاد الأوروبي وعلى العكس من ذلك قامت روسيا بضم شبه جزيرة القرم إليها, وفقدت أوكرانيا السيطرة على المناطق التي يقطنها مواطنون من أصل روسي في منطقة دونباس, وعاد الصراع الداخلي وفقدت العملة الوطنية ٣٥٠% من قيمتها, وعادت أوكرانيا تستجدي روسيا لإمدادها بالغاز الطبيعي وبدلاً من

الدخول في الجنة الأوروبية دخلت في جحيم الإفلاس, وبهذا تكون روسيا ربحت الجولة الأولى من حرب أنابيب الغاز.

بدأت روسيا خطتها بإقامة خطوط أخرى لنقل الغاز إلى أوروبا تجنبها المرور بالأراضي الأوكرانية أن إقتضى الأمر, وعمدت إلى إنشاء خط أنابيب مباشر من الأراضي الروسية مروراً ببحر البلطيق وصولاً إلى ألمانيا دون المرور ببلد ثالث, سمي هذا الخط بالسيل الشمالي وبذلك يتم تزويد الغاز بأقصر طريق عبر ربط أكبر موارد الغاز الروسي بالأسواق الأوروبية بدون مخاطر الترانزيت بثبات وسلامة، حيث إلتزمت روسيا كمصدر آمن وموثوق للوقود إتجاه أوروبا ، وهو كونسورتيوم بين روسيا, ألمانيا, هولندا ، هذه الأنابيب تستخدم من قبل كل الأطراف ، يصب في مدينة «غريسفالد» الألمانية ومن ثم يتابع عبر فرعين من أنابيب الغاز يوزع إلى الشمال الغربي والجنوب الغربي, ويتجه نحو تشيكيا، وبذلك تكون روسيا ربحت الجولة الثانية وأبقت مصادر نقل الغاز تحت سيطرتها.

تابعت روسيا هجومها وأعلنت عن مشروع خط أنابيب جديد إلى أوروبا سمي السيل الجنوبي حيث كان مخطط له الإنطلاق من الأراضي الروسية بإتجاه البحر الأسود مروراً ببلغاريا صربيا، المجر، سلوفانيا بحيث تمتلك شركة غاز بروم الروسية ٥٠% من الأسهم, لكن شكّل قرار روسيا إيقاف مشروع " السيل الجنوبي" لمد أنابيب الغاز إلى أوروبا مفاجأة داخل البلاد، على الرغم من الصعوبات المحيطة بهذا المشروع، وبخاصة في العلاقات ما بين روسيا وأوروبا، غير أن لذلك أسبابه الموضوعية.

وكان أن ظهرت فرص كثيرة لإلغاء مشروع أو تقليصه بشكل كبير، عندما لم يكن المنطق الإقتصادي محكوماً بوضوح بالإعتبارات السياسية لدى كلا الجانبين. فقد أكدت الحسابات الإقتصادية في تلك الفترة عدم وضوح حجم النفقات على هذا المشروع الضخم من مشاريع البنية التحتية، على الأقل بالمقارنة مع الوضع الذي نشأ في بداية المشروع.

وفي هذا السياق، فإن إلغاء السيل الجنوبي سبب وجيه لنتذكر متى ولماذا ظهر هذا المشروع في منتصف عام ٢٠٠٧، وقّعت شركات "غاز بروم" الروسية واني الإيطالية و أي دي أف الفرنسية وبنترشال الألمانية أول مذكرة تفاهم حول تنفيذ المشروع وفي بداية عام ٢٠٠٨، تم توقيع إتفاقيات حكومية مع البلدان الأكثر اهتماماً بالمشروع والأكثر قلقاً حالياً إزاء إلغائه، وهي بلغاريا وهنغاريا وصربيا .

ففي ذلك الحين لم تكن الأزمة العالمية قد ظهرت بعد، كما أن برامج الإتحاد الأوروبي "الخضراء" والموفرة للطاقة كانت لا تزال في مرحلة إتخاذ القرارات بشأنها، بالإضافة إلى التوقعات بزيادة الطلب الأوروبي على الغاز. فإذا كان الإستيراد الصافي من الغاز إلى الإتحاد الأوروبي قد وصل في عام ٢٠٠٥ إلى ٣٠٠ مليار متر مكعب، فإن وكالة الطاقة الدولية توقعت أن يرتفع هذا الإستيراد بحلول عام ٢٠١٥ إلى أكثر من ٤٣٠ مليار متر مكعب سنوياً.

كما أن عدم إمكانية الإتفاق بين روسيا وأوكرانيا والإتحاد الأوروبي بشأن توريدات الغاز إلى أوكرانيا، خلال فترة طويلة من عام ٢٠١٤، أكد أهمية إيجاد خط بديل يمكن أن يضمن إستقلالية التصدير إلى أوروبا بعيداً عن أوكرانيا.

ولكن، تبين أن مواقف الإتحاد الأوروبي أكثر تحفظاً مما كان متوقعاً، ويصعب القول ما الذي دفع إلى ذلك، هل هو العناد في المصادقة على المشروع أم التداعيات السلبية للأزمة الأوكرانية أم مجرد عدم الرغبة في الإتفاق مع "غاز بروم" وروسيا، ما يعني أنه إذا لم يكن هناك إستعداد للحلول الوسط في ظل الظروف الحالية للبيروقراطية الأوروبية، فإنه من المستبعد إنتظار ذلك في المستقبل. وفي المحصلة ولغة الصراع فقد إستطاعت الولايات المتحدة الأمريكية على الضغط على الإتحاد الأوروبي لوقف هذا المشروع , وبذلك تربح الولايات المتحدة جولة في هذا الصراع , وتعمد إلى تقديم البديل وهو خط الأنابيب نابكو ويعتبر ممر إستراتيجى مقترح لتصدير الغاز من الشرق إلى الغرب، بطول ٣,٣٠٠ كلم، ويمتد من أرزروم فى تركيا عبر بلغاريا ورومانيا والمجر، وينتهي فى مجمع غاز بومغارتن فى النمسا، حيث يتم توصيل الغاز إلى مزيد من الدول الأخرى الأعضاء فى الإتحاد الأوروبى. الهدف الرئيسى من خط الأنابيب هو ربط أوروبا مباشرة بمصادر الغاز الطبيعى فى بحر قزوين والشرق الأوسط وتحريرها من الإحتكار الروسي, وبالتالي أضعاف لهذا الدور المتنامي المتحكم بأمن الطاقة للدول الأوروبية . ويحظى المشروع بدعم العديد من الدول الأوروبية والولايات المتحدة. ويعتبر المشروع بديلا لتيار الجنوب والتيار الأزرق.

في منتصف الشهر السابع من عام ٢٠٠٩، أبرمت إتفاقية في العاصمة التركية أنقرة تمهد الطريق أمام إقامة مشروع خط أنابيب غاز ضخم لنقل الغاز من أذربيجان في وسط آسيا عبر الأراضي التركية في إتجاه دول الإتحاد الأوروبي, ليصب في مستودعات كبيرة للتخزين تقع في بلدة حدودية داخل النمسا تسمى "بوجمارتن اندرمارش" ، وهو ما يعد مشروعاً منافساً لمشروع خط الأنابيب الروسي المعروف بـ "ساوث ستريم"أو " السيل الجنوبي " الذي كانت تنوي القيام به شركة غاز بروم الروسية. الذي كان مقرراً أن يمر تحت مياه البحر الأسود من روسيا إلى بلغاريا ثم إلى وسط أوروبا ، لنقل كمية ستصل تدريجياً إلى ٣١ مليار متر مكعب من الغاز سنوياً من آسيا الوسطى إلى الإتحاد الأوروبي وشارك في التوقيع على هذه الإتفاقية ، إضافة إلى تركيا وأذربيجان، أربع دول أعضاء في الإتحاد الأوروبي هم بلغاريا, رومانيا, المجر, النمسا، التي من المنتظر أن يمر بها الأنبوب، بحضور ألمانيا التي تشارك في تنفيذ المشروع، إلا أنها لم توقع على إتفاقية العبور كونها ليست بلد العبور، وبحضور رئيس المفوضية الأوروبية وكذلك حضور المبعوث الخاص من قبل رئيس الولايات المتحدة باراك أوباما لشؤون الطاقة في أوراسيا ، الذين شاركوا في فعاليات التوقيع على الإتفاقية، مؤكدين بعبارات لا تقبل الشك تبني حلف الأطلسي ودعمه السياسي والإستراتيجي لهذا المشروع الذي تم الإتفاق على تسميته بخط أنابيب «نابوكو»ولقد جسد هذا المشروع منذ بدء التفكير فيه مشادة

حادة بين نوعين متضادين من الإستراتيجيات الجيوسياسية الكبرى حول طاقة القوقاز ووسط آسيا تمخضت في نهاية المطاف عن التوقيع على أغرب إتفاقية دولية وقعت خلال العقد الأول من هذا القرن ، وسنحاول فيه تحليل هذا المشروع الغامض والذي يعد مفتاح السر وراء كل ما يجري من أحداث شهدتها وتشهدها منطقة الشرق الأوسط ، في محاولة لتحري بعض أبعاده الإستراتيجية وفك رموزه وطلاسمه.

مشروع خط أنابيب نابوكو

بدأت فكرة المشروع مع بداية هذا القرن، وإتخذت أول خطوة عملية فيه في بداية عام ٢٠٠٢ حينما وقع بروتوكول للإشتراك في المشروع بين كونسورتيوم من شركة (أو إم في غاز) النمساوية و(بوتاش) التركية و(إم أو إل) المجرية و(ترانس غاز) الرومانية و(بلغار غاز) البلغارية، والهدف الرئيسي من هذا المشروع هو ربط إحتياطيات الغاز في آسيا الوسطى عبر بحر قزوين بأوروبا من خلال خط أنابيب يعبر بحر قزوين إلى أذربيجان ثم إلى النمسا، دون المرور بأراضي دولة روسيا، وبحسب دراسات المشروع في بداياته, فهو يعتمد أساساً على تصدير الغاز الطبيعي من المزود تركمانستان، التي تملك رابع أكبر إحتياطي غاز في العالم من خلال تمرير خط أنابيب عبر بحر قزوين يحمل غاز تركمانستان إلى أذربيجان دون المرور على الأراضي الروسية، ومنها إلى تركيا حيث سيمر ثلثا خط الأنابيب عبر الأراضي التركية, ومن ثم يعبر بلغاريا ورومانيا ثم المجر إلى منتهاه في محطة تجميع ضخمة في مدينة « بوجمارتن اندرمارش »، في النمسا، بطول ٢٠٥٠ ميلا أو ٣٣٠٠ كيلو متر.

إذن فمشروع «نابوكو» هو مشروع لتحويل تجارة الغاز الطبيعي من آسيا الوسطى إلى أوروبا دون المرور بروسيا, وبتأييد من المفوضية الأوروبية ودعمها المادي وذلك بمنحة مالية لتغطية نحو ٥٠ في المائة من تكلفة المشروع غير أن مشروع نابوكو الذي تم التفكير فيه عام ٢٠٠٢ , لم ير النور وتم تعطيله وإرجاؤه فترة إمتدت إلى تاريخ توقيعه في عام ٢٠٠٩, وذلك لأسباب عديدة، تأتي في مقدمتها لعبة المصالح الكبيرة بين الجغرافية والسياسة والطاقة.

التصدي الروسي للمشروع

كما نوهنا سابقاً فإنه مع بداية القرن الحالي ولدت فكرة مشروع خط «نابوكو» العابر للقارات لنقل الغاز من أواسط آسيا إلى أواسط أوروبا وتفادي المرور بروسيا، والتفكير في تشييد هذا الخط كان مبنيا أساساً على إستراتيجية حلف الناتو للإستمرار في تطويق الدب الروسي, ومحاولة كسر إحتكاره لتجارة الغاز العالمية، عن طريق مشروع خط الطاقة نابوكو، الذي بدوره سيقلص إعتماد الإتحاد الأوروبي على إمدادات الغاز الروسية.

ولكن هيمنة روسيا السياسية والعسكرية والتجارية ووقوفها عائقاً لتلك الإتجاهات الأوروبية – الأمريكية من أجل تنفيذ فكرة هذا المشروع الذي كان معتمداً في بدايته على

المـزودين الأساسـيين بضـخ الغـاز فـي خـط الأنابيـب مـن حقـول الغـاز فـي الـدول مـن القوقـاز ووسـط آسـيا، والإلتفـات حـول روسـيا و"تحريـرهم" مـن مخالـب الـدب الروسـي، وكـذلك إلـى الحـد مـن إعتمـاد أوروبـا علـى الغـاز الروسـي، أو سـيطرتها عليـه، وهـو بـالطبع ممـا أثـار حفيظـة الـدب الروسـي ، الـذي يتربـع علـى أكبـر احتيـاطي للغـاز فـي العـالم ويسـيطر علـى أغلـب خطـوط الأنابيـب العاملـة التـي تنقـل الغـاز الطبيعـي إلـى أوروبـا. ولأن روسـيا تعلمـت الـدرس مـن زوال الإتحـاد السـوفياتي، وتعـرف حجـم الإسـتهداف الأمريكـي, فقـد أظهـرت تصـديها وممانعتهـا قـولاً وفعـلاً لـذلك المشـروع الـذي إعتبرتـه يسـتهدف كيانهـا الإقليمـي ومعاديـاً لهـا، وتبنـت خطـة إسـتراتيجية دفاعيـة بثلاثـة محـاور وذات أبعـاد ودوائـر حلزونيـة تتقـارب فـي المركـز وتتباعـد فـي زمنهـا التنفيـذي, وذلـك لمجابهـة مشـروع نـابوكو, وتفريغـه مـن جـدواه مـن النـواحي القانونيـة والإقتصـادية والسياسـيةً، وقـد جـاء المحـور الأول منهـا عبـر إثـارة نـزاع الملكيـة القانونيـة حـول بحـر قـزوين ، فقـد لجـأت روسـيا فـي تنفيـذ إسـتراتيجيتها إلـى إثـارة جـدل قـانوني حـول مسـار الأنبوب، وإمداداته وذلك من أجل الإيقاف الفوري أو على الأقل تعطيل مشروع خط نابوكو.

هذا الخـلاف الـذي أثارتـه روسيا هـو ماهيـة الصـفة القانونيـة للمسـطح المـائي لبحـر قـزوين فـي ظـل القانون الدولي ، وهل هو بحر أم بحيرة ؟!!.

ولإيضـاح ذلك المبدأ، فإن القانون الدولي بشكل عام يفرق بين الصفة القانونية للمسطح المائي فيما لو كان بحراً فإن القانون الدولي يحدد حقوق معينه للدول المطلة عليه، وتختلف هذه الحقوق إذا كانت صفة المسطح المائي حوضا أي «بحيرة»، فإنه يترتب عليه حقوق تختلف للدول المطلة عليه: فالبحر تحـت القـانون الـدولي يـتم تقاسـم ميـاهـه وثرواتـه حسـب طـول شـواطئ الـدول المحيطـة بـه، وجرفهـا القاري... إلخ، فيما إذا كان المسطح المائي حوضا أو بحيرة فإن الوضع القانوني للملكية يختلف حيث يتم تقاسم مياهه وثرواته بالتساوي بين الدول المحيطة به.

وتأسيساً على ذلك المبدأ، أثارت روسيا موضوع الصفة القانونية لبحر قزوين وتبنت تعريف حوض قزوين على أنه بحيرة متجددة بمياه أنهار الفولغا, وبناءً على ذلك فالقانون الدولي يعطيها الحق بتقاسم مياهه وثرواته بالتساوي بين الدول المحيطة به كما ينص القانون الدولي على ذلك، هذا المحور من الإستراتيجية الروسية جعل من المستحيل، ليس فقط إنشاء خط أنابيب الغاز عبر حوض قزوين، بل حتـى تطـوير تركمانسـتان أو أذربيجـان لأيـة حقـول غـاز علـى سـواحل حـوض قـزوين فـي ظـل هـذا التعريـف، إلـى أن يـتم الاعتـراف بـه كبحـر، وبالتـالي فـلا حـق لأي دولـة أخـرى مطلـة علـى البحـر فـي حقول النفط والغاز على شواطئ الدول الأخرى المطلة على المسطح المائي.

وجاء المحور الثاني في الإستراتيجية الدفاعية الروسية عبر بناء قوة روسيا الإحتكارية في شراء كامل الغاز المنتج في أواسط آسيا, وبالتالي إحتكار بيعه عن طريقها وعبر أنابيبها العابرة للقارات، لذا فقد دخلت روسيا في عقود شراء غاز طويلة المدى من كل حكومات الدول المفترض منها ضخ الغاز

في خط أنابيب نابوكو، كتركمانستان التي تنتج حالياً نحو ٨٠ مليار متر مكعب سنوياً، وقامت روسيا بشراء أكثر من ٥٠ مليار متر مكعب في عقود طويلة الأجل.

كما دخلت بعقود شراء طويلة الأجل مع أوزبكستان التي لديها احتياطي قدره ٦٥ ترليون قدم مكعب أي ما يعادل حوالي واحد بالمئة من الإحتياطي العالمي من الغاز، حيث قامت روسيا بشراء كامل إنتاجها من الغاز في عقد طويل الأجل . وفي ضوء ذلك إنسحبت تلك الدول من أي تعهد لإمداد «نابوكو»، وأعلنت تركمانستان من جانبها أخيراً أنه حتى ولو بعد تطوير حقولها الغازية ووجود فائض في الغاز المنتج عن تلبية تعهداتها لروسيا والصين فلن تبيع الغاز لخط أنابيب نابوكو ، كما أن أذربيجان التي يعول عليها كثيراً بعد إنسحاب تركمانستان من إمداد النسبة الأكبر من الغاز المنقول إلى أوروبا، دخلت هي الأخرى في تعهدات مع روسيا بعقود بيع طويلة المدى، حيث وقعت روسيا معها اتفاقاً لشراء حصة كبيرة من غازها، ولكنها أعلنت في الوقت نفسه أنها ستبيع الغاز لـ «نابوكو» إذا وجد فائضا لديها.

وبالاضافة لكل ما سبق ، قامت روسيا بتكثيف الجهود لبناء خطوط غاز جديدة ، فأعلنت شركة غاز بروم بأنها ستستثمر في مشاريع غاز في أمريكيا اللاتينية وأفريقيا وآسيا، وأعلنت روسيا عن ثلاث خطوط غاز عملاقة :

١- السيل الشمالي (نورث ستريم) يوصل الغاز من شمال روسيا الى ألمانيا عبر البحر دون المرور بأي بلد ثالث.

٢- مشروع السيل الجنوبي (ساوث ستريم) عبر البحر الأسود إلى بلغاريا و منها يتوزع خط عبر رومانيا هنغاريا النمسا، و جنوباً عبر اليونان إيطاليا، و قد تم إنجاز معظم الإتفاقيات لمد هذا الخط..... لكن إستطاعت الولايات المتحدة من إيقاف المشروع فإستعاضت عنه بمشروع السيل التركي, والعمل جار بقوة لإنجاز هذا المشروع بعد توتر العلاقات الروسية التركية إثر إسقاط تركيا لطائرة حربية روسية فوق سوريا, لكن الإتفاق الأخير بين البلدين على التعاون لمكافحة الإرهاب في سوريا عزز هذه العلاقة, وسرع في تنفيذ المشاريع الحيوية بين البلدين وخاصة مشروع السيل التركي.

٣- مشروع مد خط من نيجيريا إلى النيجر فالجزائر لتسييل الغاز, ثم نقله إلى آوروبا عبر إيطاليا بالإتفاق مع رئيس وزرائها آنذاك برلسكوني.

هذا المشروع الذي تصدت له الولايات المتحدة الأمريكية, وذلك بإنشاء منظمة بوكو حرام التي نفذت أولى عملياتها في المناطق المحددة لأقامة المشروع, بالإضافة إلى غياب رئيس وزراء إيطاليا عن الحياة السياسية . مما أدى إلى توقف المشروع لكن أعيد المشروع إلى التنفيذ هذه المرة ولكن بقيادة مغربية إذ تحول مسار الخط من الجزائر إلى المغرب .

من هنا نرى أن الإستراتيجية الروسية بمحاورها وبأبعادها المتعددة قد نجحت نجاحاً باهراً، فقد أيقنت بأنها أجهضت مشروع «نابوكو» وجعلته يولد ميتاً بعد أن جففت كل المصادر المحتملة لأي شكل من أشكال هذا المشروع، بعد أن إتضح جلياً أنه ليس من العقل بناء أنبوب لنقل غاز لا يوجد له من يزوده أو يمده بالغاز, أو حتى يقبل بحق المرور عبر الملك المشاع، ولم تتردد روسيا في المحافل الدولية بسخريتها من المشروع، والذي إعتبرته نزعة أو زوبعة موسيقية سياسية، وأنها ردت «نابوكو» إلى معناه الأصلي وأنه لا يتعدى كونه إنشاداً فوضوياً يؤديه الأمريكان والأوروبيون يذكرنا بالكورس الساخر في أوبرا نابوكو الذي يضم العبيد العبريين المبتسمون، لكنهم وفي الوقت نفسه مكتئبون ويائسون.

وكان من المنتظر بعد هذا الهجوم أن تتأهل روسيا لتسلق سلم السيطرة على الإقتصاد العالمي، بيد أن التدخل الأمريكي المحموم لإعادة بعث مشروع «نابوكو» جعل للرواية فصولاً أخرى أكثر درماتيكية وإثارة. وهذا ما سنتطرق إليه في المطلب الثاني.

المطلب الثاني: الصراع على أنابيب الغاز في الشرق الأوسط

عصفت بالعالم نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن تحوّلات جيواستراتيجية كونية كبرى وأحداث مفصلية تركت آثاراً وتداعيات سياسية كارثية على العالم بشكل العام والشرق الأوسط بشكل خاص، ولما كانت الجغرافية السياسية هي العامل الأكثر تأثيراً في رسم سياسات الدول الإستراتيجية والإقتصادية، وتحديد موقع هذه الدول في الإستراتيجيات الإقليمية والعالمية، ونظراً لموقع الشرق الأوسط الجيواستراتيجي كنقطة التقاء ثلاث قارات وعقدة طرق برية وبحرية وجوية تربط العالم، وكواحدة من أهم مناطق التداخل بين هذه القوى البرية والبحرية والقوى الجوية، والتي تشكل جزءاً حساساً للغاية من منطقة مصير العالم وفق طرح عالم الجيوبوليتيك المارشال الكسندر دو سيفرسكي عن القوى الجوية، عندما قال: «هذه المنطقة العربية هي المعبر الذي يربط قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا، وهي مفتاح الدفاع الجوي عن قارتي أفريقيا وأوروبا».

وإستكمالا" لفصول الصراع بين الإتحاد الروسي والولايات المتحدة وإنتقال مسرح العمليات إلى الشرق الأوسط وهي منطقة مفصلية في الإستراتيجيتين (الأوراسية الروسية) و(الأوراسية الأميركية) اللتين كانتا ولا تزالان محور حركة الصراع الكوني للسيطرة على العالم، ولما كنا نحيا عصر العولمة وثورة الإتصالات والمعلوماتية التي إختصرت الزمن والمسافات وجعلت العالم قرية كونية صغيرة مشرعة الأبواب والنوافذ أمام التدخل الخارجي.

ولما كان هذا الزمن هو زمن التكتلات ما فوق القومية والمحاور الإقليمية والدولية المتصارعة لرسم نظام عالمي جديد، مما فرض مفاهيم جديدة للسيادة والأمن (السيادة التساندية , والأمن التعاوني

المرتكز على قاعدة توازن المصالح بين الأحلاف بدل الأمن الإستراتيجي القائم على توازن القوى). ولما كان الإقتصاد (الذي بات معولماً أيضاً في عصر العولمة) هو السبب الأساسي للحروب التي عصفت بالعالم منذ القدم حتى الآن، ولما كان الشرق الأوسط يتجاذبه صراع عالمي على الطاقة منذ بداية القرن الماضي لما يختزنه من خامات, إضافة إلى الموقع الجيوسياسي الذي يحسم مَن يسيطر عليه السيطرة على العالم.

لذا لا بد لنا ونحن ندرس التحولات الإقتصادية الكونية وأثرها على دول المشرق من أن ندرس أولاً

أ- ماذا يمثل الشرق الأوسط بالنسبة لأميركا وروسيا كي تختاره أميركا مسرحاً جديداً للصراع؟

ب- ما هي التحولات الجيواستراتيجية العالمية الكبرى وأثرها على الشرق الاوسط؟

<u>أهمية الشرق الأوسط الجيوبوليتيكية وإختياره مسرح العمليات الجديد</u>

لا نستطيع أن نفهم أهمية الشرق الأوسط (الذي يقع في وسط وجنوب حافة اليابسة الأوراسية) بالنسبة للولايات المتحدة الأميركية، من دون التذكير بالمنطلقات الأساسية لعلماء الجيوبوليتيك الأميركيين المؤثرين بشدة في صنع الإستراتيجيات للرؤساء. هنا نذكر ثلاثة من أهم المفكرين الإستراتيجيين كمثال على هذا التأثير: الأول هو العالم الجغرافي البريطاني الشهير هالفورد ماكندر في العام ١٩٠٤ الذي ألف كتابه الشهير «المحيط الجغرافي للتاريخ»، وهو أحد أشهر كتب الجيوبوليتيك في العالم.

وفي هذا الكتاب ظهرت نظرية ماكندر الشهيرة «قلب الأرض» إلى الوجود، وماكندر أول من نبّه إلى أهمية أوراسيا وحافة اليابسة وإعتبرها نقطة الإرتكاز الجغرافي, ومن يسيطر عليها يسيطر على جزيرة العالم ومن يسيطر على جزيرة العالم يسيطر على العالم.

ويقصد ماكندر بجزيرة العالم القديم آسيا وأوروبا وأفريقيا. ولقد فهم نابليون أهمية قلب اليابسة قبل ماكندر عندما توجّه إلى روسيا, وكذلك تأثر قيصر ألمانيا وليم الثاني وهتلر وموسوليني بأهمية قلب اليابسة للسيطرة على أوروبا والعالم. تصادمت نظرية ماكندر مع المقولات الإنطلاقية الإنكليزية القاضية بالسيطرة على الطرق البحرية لضمان السيطرة على العالم، ولذلك تأسس التصادم الفكري بين النظريتين على قاعدة أن «القوى التي تسيطر على أوراسيا يمكنها مهاجمة مستعمرات القوة البحرية»، كما إعتقد ماكندر بشدّة وأوراسيا هي المنطقة الواقعة بين شرق أوروبا في الغرب وآسيا الوسطى والقوقاز في الشرق، والكلمة مشتقة من أوروبا وآسيا للدلالة على منطقة التماس بين القارتين.

عانى ماكندر من مركزية أوروبية مفرطة في تحليلاته، ودخلت تقديراته المتواضعة عن أهمية الجغرافيا العربية ساحات الإنتقاد لنظريته من أوسع أبوابها. كما أنّه، وبسبب الإحتياطات الهائلة من النفط والغاز في الشرق الأوسط المكتشفة بعد ماكندر لم يعد ممكناً لأي قوة عظمى أن تدّعي أنها كذلك، من دون أن تضع الشرق الأوسط في إطار بيئتها الأمنية والإستراتيجية.

والثاني نيقولاي سبيكمان الذي بنى نظريته أيضاً على (حافة اليابسة) بالنسبة لأوراسيا (Rime Land)أو الهلال الداخلي, حيث إعتبر أنّ مَن يسيطر على حافة اليابسة يسيطر على أوراسيا ومن يسيطر على أوراسيا يسيطر على العالم.

والثالث هو زبغنيو بريجينسكي، مستشار الأمن القومي للرئيس الأسبق جيمي كارتر و(أستاذ السياسة الخارجية بجامعة جون هوبكنز, واشنطن) والمستشار غير المعلن والأكثر تأثيراً على باراك أوباما، حيث سلط الضوء في كتابه «رقعة الشطرنج الكبرى» الذي ألّفه العام ١٩٩٧ على أهمية منطقة أوراسيا للولايات المتحدة الأميركية، التي تسبق الشرق الأوسط في أهميتها من المنظور الأميركي.

تأثر بريجينسكي بما كتبه ماكندر حيث قال: «إنتقل علم الجيوبوليتيك من البعد الإقليمي إلى البعد الكوني مع وجود أهمية إستثنائية لمنطقة أوراسيا في المصالح الكونية الأميركية، وأميركا بإعتبارها قوة لا تنتمي إلى أوراسيا تمدّد سيطرتها إلى الحواف الثلاث لمنطقة أوراسيا، والعدو المحتمل لأميركا في أي سياق تنافسي دولي مقبل لا بدّ له أن يسيطر على منطقة أوراسيا. وهكذا يتوجّب على أميركا أن تمنع أياً من القوى الكبرى، روسيا أو الصين أو القوى الإقليمية الصاعدة مثل إيران وتركيا، من السيطرة على منطقة أوراسيا».

سيطرت أميركا منذ الحرب الباردة على ما أسماه بريجينسكي «رؤوس الجسور القارية»، لإحتواء الإتحاد السوفياتي ومنع تمدّده.

في هذا السياق كان الشرق الأوسط وما زال رأس الجسر الكبير إلى الجنوب من أوراسيا، وتدخلات أميركا كلها في الشرق الأوسط خلال الحرب الباردة كانت بهدف احتواء وعزل الإتحاد السوفياتي، بما في ذلك الإنقلاب الذي وقع على الزعيم الإيراني محمد مصدق وحكومته المنتخبة ديموقراطياً العام ١٩٥٣ والإنقلاب على الوحدة المصرية، السورية العام ١٩٦١ ثم حرب العام ١٩٦٧ وما تلاها لاحقاً من تدخلات بهدف إحتواء وريثته روسيا.

ولا يزال حتى الآن التدخل الأميركي في الشرق الأوسط يجري تحت هذه العناوين وآخر مثال على هذا هو جواب الجنرال (ذو النجوم الأربع) مارتن ديمبسي, رئيس هيئة الأركان الأميركية المشتركة, على سؤال السناتور بوب كوركر في جلسات الإستماع الأخيرة في الكونغرس الأميركي, حول الأهداف التي يسعى إليها في حملته السورية, أجاب: بصراحة عسكرية مباشرة: "لا يمكنني أن أجيب على هذا السؤال, بخصوص الأهداف التي نسعى إلى تحقيقها"."السلام والأمن" عبر الحرب إذاً كما كانت منطقة الشرق الأوسط وما زالت تمثل رأس الجسر الكبير إلى الجنوب من أوراسيا، بالنسبة لإستراتيجية أميركا، هي كذلك بالنسبة لروسيا (أكبر دول العالم مساحة بحدود ١٨ مليون كم٢ بعد ضم القرم)، حيت تعتبر أن دول الهامش أو الحافة أو التخوم، هي خطوط الدفاع الأول عنها، ولن تسمح لأحد بالسيطرة عليها.

وبالتالي بات الشرق الأوسط برمته أولوية أمنية وإستراتيجية ومنطقة مفتاحية بالنسبة للأوراسية الروسية والدفاع عنها ومنع السيطرة الأميركية عليها هي كالدفاع عن موسكو.

وحسب تعبير الكسندر دوغين، زعيم الأوراسيين الجدد في روسيا ومؤلف كتاب "أسس الجيوبوليتيك"، أن المشروع الأوراسي وهو التكامل بين المحاور البرية بزعامة روسيا يعتبر العالم العربي أحد أحزمته الثلاثة الأورو أفريقي إلى جانب الحزام الأوراسي ومثيله الباسيفيكي, والذي عليه يُبنى أمل الحدّ من هيمنة القطب الأميركي، لأن الشرق الأوسط نقطة صدام جيوبوليتيكي مع أميركا وإنتصار روسيا فيه يجب أن يكون حتمياً.

ويعتبر دوغين أن الرئيس بوتين هو مرسل لتحقيق حلم الأوراسية الروسية, وإعادة مجد روسيا العظمى, بالإضافة إلى أن العديد من المحللين الجيوبوليتيكيين والجيواستراتيجيين يؤكدون أن «الوحدة الأوراسية»، إن تحققت تشكل حالة مرعبة للأميركيين، لأنها منطقة إرتطام القوى الدولية الكبرى منذ ما قبل الحرب العالمية الثانية للسيطرة على العالم سياسياً واقتصادياً حتى يومنا هذا.

التحولات الجيواستراتيجية العالمية الكبرى وأثرها على الشرق الاوسط

١- سقوط جدار برلين ثم سقوط الاتحاد السوفياتي وتفككه أواخر القرن الماضي, مما أدى إلى اختلال التوازن الثنائي الدولي، وفقدان الدول العربية وحركات التحرر نصيراً كبيراً في صراعهما الوجودي مع العدو الإسرائيلي الغاصب وقوى الإستعمار, مما أدّى إلى سقوط نظام الثنائية القطبية الذي حكم العالم بعد الحرب الكونية الثانية وإبان الحرب الباردة، وأخلى الساحة الدولية لأميركا كقوة أحادية تتحكم بالكون بنظام أحادي.

٢- بروز أميركا كقطب وحيد على أثر سقوط الإتحاد السوفياتي, وإستلام المحافظين الجدد الحكم فيها بحلمهم الإمبراطوري لحكم العالم، وتوسيع الحلف الأطلسي ليشمل قسماً من دول أوروبا الشرقية سابقاً، مما أدّى إلى تطويق روسيا وعزلها بغية تفكيكها وإعتمادهم الليبرالية كنظام إقتصادي حاكم للكون بعد سقوط الشيوعية، وإعتبارهم مفتاح بقاء أميركا كإمبراطورية تحكم العالم هو السيطرة على مصادر النفط والطاقة، والتحكم بمساراتها وإبقاء تسعيرها بالدولار فقط، وإعتمادهم الحروب الإستباقية كعقيدة جديدة لهذا الفكر الإمبراطوري... ولما كان الشرق الأوسط يختزن أكثر من ٦٠ % من إحتياط العالم من الطاقة، تعرض لتداعيات هذا الحلم الإمبراطوري الأميركي حروباً وإجتياحات وتدمير للدولة والمجتمع والإقتصاد.

٣- تغيير الإدارة الأميركية أولوياتها في عهدي أوباما الأول والثاني مرات عدة وذلك للتخبّط الأميركي في المنطقة، حيث أصبحت:

أولاً: التصدي لصعود الاقتصاد الصيني[1] الذي تجاوز الإقتصاد الأميركي هذا العام وفق مؤشرات صندوق النقد الدولي، حيث وصل الناتج الإقتصادي للصين هذا العام إلى ١٧,٦ تريليون دولار، بينما تقهقرت الولايات المتحدة الأميركية إلى المركز الثاني بناتج إقتصادي حوالي ١٧,٤ تريليون دولار، ولهذا قررت أميركا الإنسحاب من الشرق الأوسط إلى الشرق الأقصى وجنوب آسيا للتصدي للعملاق الصيني المزاحم لها اقتصادياً وسياسياً، وإعتمادهم الاخوان المسلمين والتنظيمات التكفيرية كوكيل للمصالح الأميركية الإسرائيلية في المنطقة، ثم بعد فشلهم إستنفروا جيش القوى التكفيرية العالمية وكلفوا دولا تنتهج نفس الفكر بتمويل وتسليح وحشد الإرهابيين, بالتنسيق مع تركيا وإسرائيل لتنفيذ حروبها بالوكالة, وتدمير الشرق الأوسط الحالي وإقامة الشرق الأوسط الإثني الجديد وسايكس بيكو ٢ بعد إستنفاذ أهداف سايكس بيكو ١ , لتقسيم المقسّم إلى كيانات عرقية ومذهبية تخدم إذكاء الفتنة السنية الشيعية التي تضرب وحدة المجتمع وتتصدى للتمدد الإيراني الروسي والصيني في المنطقة.

لكن الإدارة الأمريكية إكتشفت وبعد فشل القوى التكفيرية في إسقاط الدولة السورية وتبدّل الموقف العسكري لمصلحة الدولة، أن الفراغ في الشرق الأوسط سرعان ما بدأت تملأه إيران وروسيا، فإنقلبت كل حسابات الإدارة الأمريكية, وقررت أن تكون عودته هذه المرة بالقوة العسكرية لإحتلال المنطقة من بوابة محاربة الإرهاب، فأوعز لـ"داعش" كي تقوم بغزوة الموصل والأنبار[1] معتقداً هذه المرة أنه لا سبيل لتحجيم دور روسيا وعزل إيران ومحاصرة الصين إلا من خلال السيطرة على البوابة (الشرق الاوسط)، التي تمثل وفق الإستراتيجيين الروس "مفتاح موسكو"، إذا سقطت الأولى ذهبت الثانية في مهبّ الريح، وأصبحت إيران من دون مخالب ولا أنياب وفقدت عمقها العربي الحيوي، وإنتهى محور المقاومة كما سبق ووعد أوباما من فترة، حيث قال: "لن نسمح لإيران بتفريخ منظمات على شاكلة "حزب الله" في المنطقة. لكنه فشل في ذلك فقد فرّخ حزب الله في سوريا الدفاع المقدس وفي العراق الحشد الشعبي وفي اليمن أنصار الله وفي فلسطين الجهاد الإسلامي. وأصبحت هذه القوى مؤثرة في النظام الدولي , وتفشل مشاريع كبيرة كمشروع الشرق الأوسط الكبير والشرق الأوسط العظيم ومجموعة من مشاريع الشرق الأوسط الإسرائيلي.

ثانياً: مواجهة العجز التجاري والدين الداخلي للخروج من أزمتها الإقتصادية التي أصابتها العام ٢٠٠٨ ولا تزال من دون حل وتوصية الكارتيل الصناعي التسليحي في أميركا (المدعوم من المحافظين الجدد)، بأن لا مخرج لأميركا من أزمتها الإقتصادية إلا بحلّين:

الأول الإستعجال بتصدير بترول الرمال والغاز الصخري الأميركي إلى العالم بعد الإكتفاء الذاتي الذي ستحققه أميركا.

---

[1] رياض عيد مقالة بعنوان التحولات الجيواستراتيجية والاقتصادية العالمية وانعكاسها على المشرق تاريخ الدخول ٢٠١٧/٣/٢١على الرابط http://www.tahawolat.net/MagazineArticleDetails.aspx?Id=926

[1] الجنرال ويسلي كلارك للـCNN، حيث قال: نحن مَن صنع "داعش") تاريخ الدخول ٢٠١٧/٣/٢١على الرابط التالي https://www.youtube.com/watch?v=X7KtYxkWd4w

والثاني فوري ونتائجه مضمونة، وهو إشعال الحروب في الشرق الأوسط وفق نظرية نشر الفوضى الهدامة والمصلحة الأميركية منها هي:

- تدمير المنطقة وإنهاكها، لإعادة بناءها على أساس أن إسرائيل هي المحور وبقيت الكيانات الأثنية والطائفية هي تابع للإسرائيلي.
- إرباك إيران وإستنزافها وقطع مشروع أنابيب الغاز الإيراني إلى ساحل سوريا.
- إستنزاف روسيا بمنعها من إستغلال غاز المتوسط بعد عقودها الطاقوية مع سوريا.
- محاصرة الصين عبر قطع طريق الحرير الصيني وخط سكك الحديد السريع الذي سيصل شنغهاي بساحل سوريا على المتوسط ، والتي بدأت الصين بإنجازهما لكسر تطويق أميركا لها في مضيق ملقا الذي يمرّ منه ٧٥ % من الطاقة إلى الصين. إلا أن الصين أنجزت هذا المشروع[١] , حيث وصل إلى لندن أول قطار بضائع يربط مباشرة الصين بالمملكة المتحدة، وذلك بعد رحلة استمرت ١٨ يوماً، وبلغ طولها ١٢ ألف كلم. إنطلق القطار في الأول من كانون الثاني٢٠١٧ من مدينة يويو الصناعية جنوب بكين ثم عبر كازاخستان، وبيلاروسيا، وبولندا، وألمانيا، وبلجيكا، وفرنسا، ومنها عبر نفق المانش إلى بريطانيا..
- تحريك مصانع الأسلحة، وبالتالي تحريك العجلة الإقتصادية الأميركية وقد إنتعش الإقتصاد الأميركي وإنخفضت البطالة، بعد حرب "داعش" في المنطقة، حسب الموشرات الإقتصادية الأميركية التي صدرت مؤخراً عن شركات الأسلحة المتعاقدة مع وزارة الدفاع (البنتاغون) وفي الأشهر الثلاثة الأولى لغزوة داعش, حيث (زادت أسهم شركة لوكهيد مارتن بنسبة ٩,٣%، وإرتفع سهما شركتي ريتون ونورث ثروب غرامان بنسبة ٣,٨%، وسهم جنرال داينامیك بـ٤,٣%) وبات الشرق الأوسط أكبر سوق استهلاكي للأسلحة العام الماضي وهذا العام.

٤- وصول فلاديمير بوتين رجل المخابرات الروسية إلى سدة الحكم في روسيا العام ٢٠٠٠ بعد مخاض فكري حول سؤال الهوية "مَن نحن؟"، وما هي الأسباب التي أدت إلى إنهيار الإتحاد السوفياتي, وبروز الأوراسية كعقيدة جيوبولتيكية جديدة تحكم تطلعات وسياسة روسيا الإتحادية المستقبلية، وبعد الإرتفاع الكبير في أسعار النفط والغاز الذي ساعد روسيا بالخروج من العجز المالي الكبير (٣٠٠ مليار دولار) , الذي سببته سيطرة المافيا الروسية على الإقتصاد الروسي في عهد يلتسين، حيث إستطاع بوتين أن يُخرج روسيا من عجزها المالي, ويحقق فائضاً مالياً تجاوز نصف تريليون دولار. قرأ بوتين جيداً أسباب إنهيار الإتحاد السوفياتي سابقاً وتفككه، وقرأ **أهمية الغاز المستقبلية**، ولأن روسيا هي الدولة الأولى المنتجة للغاز في العالم, ولأن بوتين قرأ خطورة غاز نابكو على الإقتصاد الروسي، وخطورة المخططات الأميركية على

---

[١] وفقا" للموقع الرسمي للتلفزيون الروسي RT تاريخ الدخول ٢٠١٧/٣/٢١على الرابط التالي:
https://arabic.rt.com/news/857203

روسيا من خلال نشر القواعد الأميركية والدروع الصاروخية المواجهة لروسيا في أوروبا ووسط آسيا وتركيا وقف مع الصين، عقبة كأداء في مجلس الأمن بوجه المخططات الأطلسية في سوريا, ومنع إسقاطها بحمايتها بخمسة فيتوات حفاظاً على مصالح روسيا الإستراتيجية في المتوسط, وحفاظاً على قاعدة طرطوس (القاعدة الوحيدة المتبقية لروسيا خارج أراضيها بعد القرم) مما جعل سورية أيضاً تصبح في صميم الأمن السياسي والإقتصادي والقومي الروسي.

٥- تشكيل منظمة شانغهاي للتعاون، أهدافها ودورها بإلزام أميركا لإخراج قواعدها من آسيا قبل نهاية العام ٢٠١٥, وتشكيل دول البريكس ودورهما بإنهاء نظام الأحادية القطبية, وبروز نظام عالمي جديد متعدّد المحاور وموقع الهلال الخصيب كنقطة صدام جيوسياسي لإعادة تشكيل هذا النظام.

٦- إنتصار الثورة الإسلامية في إيران العام ١٩٧٩، وتغلّبها على الحصار الغربي لها بسبب ملفها النووي, وتقدمها التكنولوجي والصناعي والتسليحي مما حولها إلى دولة إقليمية عظمى ودولة محورية في أي ترتيبات سياسية مستقبلية في الهلال الخصيب ووسط آسيا. وتعاظم النفوذ الإيراني في الهلال الخصيب خاصة بعد إنسحاب الإحتلال الأميركي من العراق, وقرب إنسحابه من أفغانستان هذا العام, مما أعاد موقع العراق مع المحور المقاوم وبروز دور إيران في جيوبوليتيك الطاقة الصينية والروسية, وموقعها الجيواستراتيجي في وسط آسيا ودورها في الهلال الخصيب واليمن كداعم أساسي للمقاومات بوجه المخططات الأميركية والأطلسية والإسرائيلية والإقليمية الإرهابية والتكفيرية.

٧- سقوط النظام الأحادي الإستقطاب الذي قادته أميركا بعد فشلها الذريع في حل المشكلات السياسية والإقتصادية والبيئية, مما أورث العالم وأمتنا كوارث وحروباً لا نزال نواجهها حتى الآن، وبروز حالة اللاقطبية كمقدمة لولادة نظام متعدد الأقطاب بدأ بالظهور، فالإنسانية في وقتنا الحاضر تدخل مرحلة إنتقالية من العالم الثنائي القطبين إلى الصيغة العالمية من تعدّد الأقطاب، وشاء موقع الهلال الخصيب الجيواستراتيجي أن يكون هو المكوّن والحاضن لهذه الولادة بعد إستعمال روسيا والصين ثلاثة فيتوات متتالية لمنع إقامة منطقة حظر جوي أو إستهداف سوريا بقوات أطلسية كما حصل لليبيا، على أثر الحرب الكونية التي تخاض في سوريا وعليها.

٨- حدوث ثورة إقتصادية عظمى في الصين أدهشت العالم في نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن مما أدى إلى إنتقال مركز الثقل الإقتصادي, وبالتالي السياسي من الغرب إلى الشرق وتحديداً إلى جنوب آسيا وما تركه من أثر كبير في تغيير موازين القوى وأولويات الدول العظمى وإستراتيجياتها .. ودفعت الصين إلى الخروج لتأمين مصادر الطاقة من وسط آسيا إلى الشرق الأوسط وأفريقيا, إضافة إلى إحيائها مشروع طريق الحرير التاريخي الذي يصل

سوريا بشنغهاي مروراً بوسط آسيا، والحزام الإقتصادي لطريق الحرير، لخروج الصين من تطويق أميركا لها بسيطرتها على مضيق ملقا بإتفاقاتها الأمنية مع أندونيسيا وماليزيا اللتين تتشاطآن هذا المضيق الذي يمر عبره ٧٥ % من النفط إلى المصانع الصينية، مما جعل "إيران والهلال الخصيب كأقصر معبر لطريق الحرير وخط سكك الحديد السريع، وسوريا كبوابة لطريق الحرير إلى أوروبا وكخزان الغاز على ساحل المتوسط"، وجزءاً من الأمن القومي الإستراتيجي الطاقوي والإقتصادي الصيني, والتي تلاقت إستراتيجيتها "البحار الأربعة" مع إستراتيجية "البحار الخمسة", التي أعلنها الرئيس بشار الأسد بعد أن قرر الإتجاه شرقاً وإعتبار أن أوروبا لم تعد موجودة على الخارطة سياسياً.

٩- بروز أخطار الإحتباس الحراري والتغير المناخي بسبب التلوث الذي أحدثته الدول الصناعية بسبب إستعمالها المفرط للبترول والفحم الحجري لتحريك عجلة مصانعها, وبروز الصراع على الغاز كمادة نظيفة للطاقة (بعد التوصية بإستعماله من قبل منظمة الطاقة العالمية التي إعتبرت أن القرن الـ٢١ هو العصر الذهبي للغاز), ونتيجة ضغوط منظمة الطاقة العالمية على الدول الصناعية، لتبني توصيات قمة الأرض في ريودوجنيرو العام ١٩٩٢ ومؤتمر كيوتو في اليابان العام ١٩٩٧ بضرورة إستعمال الغاز كبديل طاقوي لتخفيف إنبعاث ثاني أوكسيد الكربون بنسبة ٢٠ % قبل ٢٠٢٠, والتحذير من كارثة ستحل بالكرة الأرضية إن لم تلتزم الدول الصناعية بهذا الأمر، وإلتزام أوروبا بهذه المقررات مما جعلها أكبر سوق عالمي ناشئ للغاز.

ولما كان إستهلاك الغاز العالمي يتضاعف كل عشر سنوات، ولأن أوروبا تعتمد على الغاز الروسي لتلبية ثلث حاجتها من الغاز, باتت هي رهن إرادة روسيا الطاقوية التي تضغط بها سياسياً على أوروبا.

<u>الهجوم الأمريكي على سوريا</u>

بعد الخطوات الإستباقية الإجهاضية من قبل روسيا , والتي أدت الى تجفيف مصادر التمويل بالغاز الطبيعي لتغذية خط نابوكو من حقول الغاز في آسيا الوسطى , قابلتها أمريكا وحلفائها بخطة مضادة تعتمد على إيجاد خطوات عملية بديلة ، فقد ألقت الولايات المتحدة بثقلها الدبلوماسي كاملاً لإنعاش مشروع «نابوكو» وإعطائه دفعة معنوية قوية، وبالفعل تم التوقيع على مشروع «نابوكو» أمام ذهول وإندهاش العالم، خصوصاً روسيا التي فوجئت بتوقيع إتفاقية نابوكو الغريبة نوعاً ما، ليس فقط لأن نجاح نابوكو التجاري ضعيف ويعتمد على الدعم الحكومي للإتحاد الأوروبي والولايات المتحدة، بل بالحالة الكوميدية المضحكة التي أفرزها نجاح الإستراتيجية الروسية التي تمثلت في عدم وجود مزود للغاز من جهة، ومن جهة أخرى يتم التوقيع على بناء أنابيب الغاز..

فوجه الغرابة في مشروع خط أنابيب «نابوكو», كما بدا وقتها هو عكسه أو قلبه للموازين والقواعد الإقتصادية الكلية، حيث إنه من المفترض أن تجد المادة المراد نقلها أولاً ثم تبدأ في إنشاء الوسيلة لنقلها، أي أنه يجب أن تجد مصدر الغاز أولاً، ثم تنشئ خط أنابيب لنقله؛ وهذا مالم يحدث في حالة خط نابوكو، ولكن على الرغم من ذلك إلا أنه تم التوقيع على الإتفاق على مشروع «نابوكو» عام ٢٠٠٩ الذي يقضي ببناء خط الأنابيب أولا، ثم البحث عن الغاز لاحقاً...!!

لكن هل كانت هذه حقاً هي الحقيقة..؟ قطعاً لا، فروسيا لم تعرف أن الإستراتيجية الأمريكية المضادة كانت تعتمد على الإستعاضة عن مصادر الغاز المفقودة في وسط آسيا بمصدر آخر جاء من صحاري الجزيرة العربية، وتحديداً من قطر، التي تملك ثالث أكبر إحتياطي من الغاز بعد روسيا وإيران، ومن هنا ولدت فكرة مشروع خط الغاز القطري, والذي سيصبح مقرراً له أن يخرج من قطر مروراً بالمملكة العربية السعودية, ثم يتجه غرباً إلى الأراضي السورية حيث يلتقي بخط الغاز المصري, وحديثاً الإسرائيلي ثم يتجه شمالاً إلى تركيا..!!

بعد تجفيف مصادر الغاز لخط نابكو من دول اسيا الوسطى بدأت الولايات المتحدة الأمريكية تنفيذ الخطة البديلة، أي تأمين الموارد من دول الشرق الأوسط والخليج العربي, إذن البوابة التالية هي عبر سوريا بوابة الغاز إلى تركيا, وسوريا خارج النفوذ الأمريكي، إذن يجب إقناع الدولة السورية بأهمية المشروع لدول المنطقة, فأوكلت المهمة إلى فرنسا وتركيا وقطر لإقناع الرئيس السوري بأهمية مشروع خط الأنابيب القطري, والذي يمر عبر الأراضي السعودية والأردنية وصولاً إلى سوريا ومنها إلى تركيا ووصله بخط نابكو, الأمر الذي رفضه الرئيس السوري المرتبط بتحالف مع روسيا، وهو المشروع الذي سيضر ضرراً بالغاً بأهم حليف إستراتيجي له وهي روسيا ؟

هنا كان لابد من دخول الجرافات الأمريكية إلى المنطقة تحت إسم الربيع العربي وفرض الديمقراطية في النظام السياسي كي تمهد الأرض وتزيل أية عقبات قد تعوق مرور هذا الأنبوب الحيوي الضخم، وهذه العقبات كانت تتمثل أولاً في النظام السوري, ثم القضية الفلسطينية مروراً بالموقف الملتهب في لبنان .. فلا يمكن لأنبوب يحمل غازاً حارقاً أن يمر وسط صخور صلدة أو في وسط ملتهب بالأزمات

وكانت هذه الجرافات الأمريكية في حقيقتها هي مشروع الشرق الأوسط الجديد لإعادة فك وتركيب الأنظمة الموجودة في تلك المنطقة, بما يسمح بعبور هذا الخط فيها بأمان وبما يحقق المصلحة الأمريكية والأوروبية المرجوة منه، فالمعادلة قد أصبحت صفرية، وهو ما يعني أنه إما سقوط سوريا أو سقوط المخطط الأمريكي، فتم إعطاء الإذن لإنطلاق شرارة ما يعرف بالربيع العربي في بلدان تلك المنطقة بإثارة الفتن والقلاقل في سوريا، فكل من يقع في طريق مرور هذا الأنبوب أو بجواره، ولم يلتحق بالركب الأمريكي، يعد من البلدان المارقة، والأقطار المتمردة، فجاء الدور اليوم على سوريا

الواقعة في بوابة البلدان المحاذية لعقدة مرور «نابوكو» وهذا يفسر إصرار الإدارة الامريكية على إزاحة النظام السوري بالطرق المتاحة وغير المتاحة.

ومما زاد الطين بلة أن سوريا نفسها قد أبرمت مع العراق وإيران ولبنان إتفاقاً مبدئياً على مد حزمة بديلة للغاز الطبيعي لمنافسة أنابيب «نابوكو» تبدأ من إيران وتنتهي عند السواحل اللبنانية، يزيد طولها على خمسة آلاف كيلومتر، لذا فأن المرحلة الراهنة تقضي بوجوب قيام أمريكا بإكتساح النظام السوري، بحيث تضمن الإستحواذ على خطوط الغاز القادمة من مصر وفلسطين ولبنان، وتتمكن من ربطها بخطوط «نابوكو» عبر سوريا الواقعة الآن تحت الضغط التركي النابوكي، وإستكمالاً لهذه الخطوة وافقت حكومة إقليم كردستان العراق على ربط أنابيب تصدير الغاز في شمال العراق بخط «نابوكو» من دون الرجوع إلى الحكومة المركزية في بغداد .

وهذه العقبة السورية تفسر أيضاً سر ذلك التصعيد القطري في محاربة الحكومة السورية, ودعم قطر اللا محدود للمتمردين في سوريا للإطاحة بنظام الرئيس الأسد، فسوريا بكل بساطة هي العائق الرئيسي، بل والوحيد أمام تدفق الغاز القطري إلى أوروبا.

بالإضافة إلى حماسة تركيا الفاقدة لهذه الثروة الآتية من الشرق, والتي تسعى بكافة الوسائل لتحقيق أهدافها عبر الفكر المتجذر بها, وهو إعتبار العرب رعايا عند الباب العالي. لذا لابد من الصعود إلى الجرافات الأمريكية لازالة عوائق الدولة السورية.

مصادر تغذية خط نابوكو

بعد إكتشاف الغاز بكميات كبيرة في حقول شرق البحر المتوسط, وخاصة في حقل تمار البحري الواقع قبالة سواحلها بالبحر المتوسط على بعد ٩٠ كيلومترا من سواحل حيفا، والذي تقدر إحتياطيات الغاز فيه بنحو ٢٨٤ مليار متر مكعب، فقد أصبحت إسرائيل شريكاً في مصادر الطاقة العالمي، وقد نصحها الامريكيون بأن «أسهل طريق بالنسبة لها لكي تبيع ثروتها الطبيعية إلى الخارج هو بناء خط أنابيب يمر على طول شواطئ لبنان وسوريا، ويصل إلى تركيا في نهاية المطاف وفيها يلتقي مع الخط القطري ليتم توجيه الأثنان بعدها إلى العمق الأوروبي، لكن معارضة سوريا هي أيضا ما يعوق تنفيذ هذا المشروع الطموح ... والفكرة هي ربط خط أنابيب باكو جيهان التركي مع خط أنابيب إيلات – أشكلون الإسرائيلي من خلال نظام شبكة أنابيب تحت الماء من ميناء جيهان التركي إلى ميناء أشكلون الإسرائيلي, وفي حين أن أنبوب باكو جيهان يوصف بأنه بديل عن روسيا في نقل نفط وغاز آسيا الوسطى إلى الأسواق الأوروبية ، فإن جزءاً من هذا النفط والغاز يقصد به أن يعاد تصديره إلى الأسواق الآسيوية عبر ميناء إيلات على البحر الأحمر، وبربط خط أنابيب باكو جيهان مع نظام أنابيب إسرائيل، وبناء على هذه المعطيات فقد أصبحت إسرائيل لاعباً مهماً في سوق الطاقة العالمي بالتحالف مع شركات النفط الأنجلو أمريكية العملاقة وعليه تبدو المصادر الرئيسية المغذية لهذا الخط

العملاق في صورته النهائية ممثلة في قطر وأذربيجان وتركمانستان والعراق وإسرائيل، بينما تمثل سوريا معبراً هاماً له، في حين نجد تركيا تمثل عقدة الغاز لهذا الخط الأسطوري (نابوكو) الذي يعتمد على مد قناطر أنبوبية عملاقة، صممت لتتبعث من حقول الغاز في أواسط آسيا، قاطعة الجبال والسهول والبحار والأنهار والأراضي الوعرة لتنتهي في غرب أوروبا، وفي الطريق ستلتحق بها القناطر العربية المنضوية تحت راية (نابوكو)، في تشكيلة عجيبة تتفوق بالطول والحجم على سور الصين، لتفجر براكين الربيع العربي في عواصم الشرق، وترسم صورة مفزعة للصراع الروسي الصيني في مواجهة القوة الأمريكية المهيمنة على أغنى مكامن النفط والغاز، وبالإتجاه الذي يضمن عزل القوى الدولية الصاعدة (روسيا والصين الهند واليابان) عن حوض البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي، ويمهد الطريق أمام النظام العالمي الجديد ليبسط سلطته على قارات كوكب الأرض، وينشر مخالبه على منابع الغاز في الشرق.

فكما تؤكد الوقائع السياسية يمكننا أن نلحظ أن خط العرض (٣٣)، شمال خط الإستواء، صار بديلاً لطريق الحرير القديم، وإن هذا الخط نفسه هو الذي سيحقق الأهداف الأمريكية، ويساعدها على فرض هيمنتها على ما يسمى (المنطقة الأمريكية الوسطى)، المتمثلة بأقطار الشرق الأوسط وآسيا الوسطى، فخط العرض (٣٣) لا يمثل بالضرورة درباً لقوافل الحرير كما كان في السابق ، لكنه يماثله من حيث القوة والأهمية، في كونه شريان الطاقة الرئيسي في العالم، وهو أيضاً شريان النفوذ والسلطة.

لقد جاءت عقدة مرور خط (نابوكو) لتضع حداً للصراع القديم بين المعسكر الروسي وأنصاره والمعسكر الغربي وأنصاره، وتحقيق الحلم بنقل الغاز (أهم مصادر الطاقة) من آسيا الوسطى والمنطقة العربية إلى قلب الإتحاد الأوروبي مروراً بتركيا، بدعم مطلق من البيت الأبيض وإسرائيل.

إن الصراع على مكامن الغاز في بحر قزوين، والمحاولات الروسية الجارية لمنع تركمانستان من تصدير غازها إلى أوروبا، والصراع الجورجي الروسي، قد وضع القوى الغربية أمام حالة مصيرية لا تحتمل التأجيل، حالة تستدعي السيطرة على تلك المنطقة بشكل كامل. فإذا كانت الحروب التي شنتها أمريكا وحلفائها في الشرق كانت بدافع السيطرة على حقول النفط، فإن الخط (٣٣)المار بأغنى منابع النفط والغاز صار هو الخندق الأمامي للمواجهات الجديدة، وهو البديل الأمثل للصراع القديم على طريق الحرير، لكنه أكثر بطشاً وشراسة منه، وستكون خسائره ببليارات الدولارات، سيما أن اللاعبين في مسارح النظام العالمي هم اليوم أكثر عدوانية، وأكثر عدداً وعدة.

دراسة الحالة السورية كجانب من جوانب

النزاع الأمريكي الروسي على أنابيب الغاز

تسليط الضوء على الحالة السورية كدراسة لأحد أشكال الصراع بين الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد الروسي, وتحديداً الصراع على أنابيب الغاز, وذلك من خلال إيضاح الصورة الراهنة للصراع في النظام الدولي والفوضوية التي تسيطر عليه, من خلال إدخال معظم مكونات هذا النظام في الصراع من دول ومنظمات دولية، إقليمية أو محلية بالإضافة إلى مؤسسات مالية، إعلامية، قضائية، وشركات عابرة للقارات ..... بشكل عام كالتدخل المباشر أو غير المباشر كالولايات المتحدة الأمريكية, روسيا, تركيا, ألمانيا, بريطانيا, فرنسا, الدول العربية, إسرائيل .....عبر القصف الجوي والتدخل في تقديم الدعم العسكري على الأرض, عبر تسهيل إدخال المقاتلين إلى الأراضي السورية مثال على ذلك إدخال المقاتلين الأجانب عبر الأراضي التركية.

وتسخير رجال الدين لتقديم الدعم العقائدي، وتسخير رجال السياسة والفكر لتقديم الدعاية السياسية بالإضافة إلى إدخال كافة قوى الإعلام، قوى الدعم المادي واللوجستي، المنظمات الدولية، منظمات الأمم المتحدة، البنك الدولي، .....

ويأتي هذا الصراع كما أصبح معروفاً على خلفيتين واضحتين وصريحتين الأولى السيطرة على الشرق الأوسط والمحافظة على أمن إسرائيل وتكريس يهودية الدولة, عبر تقسيم العالم العربي إلى دويلات طائفية أو إثنية, يسهل السيطرة عليها وإدارتها من قبل الوكيل العام للغرب في المنطقة وهو إسرائيل. بالإضافة الى عوامل أخرى..... وكجانب من جوانب السيطرة تسعى الولايات المتحدة الأمريكية إلى تحرير أوروبا من الهيمنة الطاقوية الروسية, التي تتسبب بمفاعيل سياسية لصالح الإتحاد الروسي, ويعتبر الإتحاد الروسي إن السيطرة على أنابيب الغاز هي بمثابة الشرايين من الجسم حيث تحدد حجمه العالمي من دولة إقليمية قوية إلى دولة عالمية قوية في سعيه إلى المحافظة على تصنيفه على دولة مكونة لعالم متعدد الأقطاب.

ويأتي إختيار سوريا كمسرح لهذا الصراع على خلفية رفض الرئيس السوري بشار الأسد السماح للمحور الأمريكي بإقامة خط أنابيب الغاز القطري العابر للأراضي السورية آتياً من قطر، السعودية،الاردن، عابراً سوريا بإتجاه تركيا, وصولاً إلى أوروبا هذا الرفض أدى إلى إعداد العدة من قبل هذا المحور للهجوم على سوريا وتغيير نظام الحكم بما يتلائم مع المشروع, بالإضافة إلى أهداف أخرى أهمها أمن إسرائيل والقضاء على آخر جيش عربي نظم عقائدياً على خلفية أن إسرائيل هي العدو الأول للعرب، ومساعدة حزب الله في العام ٢٠٠٦ التصدي للهجوم الإسرائيلي على لبنان وتكبيده خسائر فادحة في الجانب المعنوي لهذا الجيش الذي لا يقهر في الإعلام، وتحديد مسرح

العمليات, حيث نرى أنه تم إعداد هذا المسرح على خلفيات مطالبات شعبية بالحرية والديمقراطية وأخذت وسائل الإعلام دورها في التحريض والتجنيد مستغلة التنوع الطائفي والإثني والفقر والتخلف .... وبدأت القوى المخططة لهذه التحركات بإرسال الدعم المالي واللوجستي والعسكري وإرسال المقاتلين الأجانب من كافة أنحاء العالم, ودعم ذلك بقرارات لجامعة الدول العربية بتجميد عضوية سوريا في هذه الجامعة, وشنت حرب دبلوماسية عنيفة من قبل المحور الأمريكي, أدى إلى طرد أغلب السفراء السوريين في العالم، حيث كان لدولة من دول هذا المحور دوراً مرسوماً لها لتنفيذ هذا المشروع وسنعرض لأهم هذه الدول.

معركة الدفاع عن سوريا بدءاً من حرب لبنان

بدأت معركة الدفاع عن سوريا والقضية العربية منذ العام ١٩٤٨ تاريخ إيجاد الكيان الإسرائيلي ولكن بداية الإنتصار كانت في العام ٢٠٠٠, تاريخ إجبار العدو الإسرائيلي ولأول مرة على الأنسحاب من أرض عربية بالقوة, هذا التاريخ جرح الوجداني الإسرائيلي العنجهي أصاب الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر في صميمه من قبل مجموعة مسلحة بأسلحة تساوي صفراً أمام الأسلحة التي يملكها هذا العدو, والذي بدأ يعد العدة للقضاء على هذه المجموعة, وكانت المنازلة الكبرى في العام ٢٠٠٦ التي أدت إلى دحر الجيش الإسرائيلي مرة جديدة وأدخلت الرعب إلى قلب قادته.

يعود الكاتب والصحافي الفرنسي تييري ميسان[١] ليستخلص معنا دروس وعبر الحرب الأخيرة على بلد الأرز, وتحت عنوان هزيمة إسرائيل في لبنان كتب عن لجوء إسرائيل إلى قصفها العنيف للمجالات الحضرية وهزيمتها النكراء في حرب همجية ليس لهما مثيل منذ قنبلة "هانوي" وإنتصار الشعب الفييتنامي. خاصة وأن مصير الأسلحة، كان ليقلب المعطيات الدولية، محولاً حرباً إسرائيلية ضد "منظمة إرهابية" إلى صراع إيديولوجي إقليمي بين القوى الصهيونية والمعادية لها, الصراع الذي لا تقل حدته في لبنان عن ما تشهده إسرائيل.

فشل القوة الجوية الاسرائيلية

إن خطة الهجوم وضعتها هيأتا أركان حرب الولايات المتحدة وإسرائيل. إذ فرض البنتاغون تقنية الصدمة والروع "تشوك أند أو" في إطار "بليتزكريغ" المألوف لدى الجيش الإسرائيلي. بالنسبة للجنرالات الأمريكية, فإن الوقت كان قد حان للبرهنة على "الإمكانات الجوية". فمنذ ٣٠ سنة والقوات الجوية تحاول إثبات أن قصفاً جوياً عنيفاً يكفي لإجبار عدو ما للإستسلام دون الحاجة إلى مبارزة برية. ولكي يتم ذلك على أحسن وجه لابد من رمي وابل من النيران يلقي بالعدو في حالة من الصدمة.

---

[١] تييري ميسان مقالة بعنوان هزيمة اسرائيل في لبنان تاريخ الدخول ٢٠١٧/٣/٢١ على الرابط
http://www.voltairenet.org/article143348.html

النظرية هذه أقدمت الولايات المتحدة على تجريبها سدى في العديد من مناطق العالم منذ ٦٠سنة. أما هذه المرة، فالفكرة تجلت في أن التدمير التدريجي والشامل لجميع مدن جنوب لبنان من شأنه الدفع بالشعب اللبناني إلى الثورة ضد حزب الله.

فبعد يوم ونصف من القصف، قام الجيش الإسرائيلي بقطع خطوط الإتصال بين شمال وجنوب بلد الأرز، كما قام ذات الجيش بتعطيل مطار بيروت وتدمير إحتياطي النفط، وأغلق المرافئ والموانئ الرئيسية وفرض حظر جوي وبحري.

إن أكثر الأمور إثارة هو أن اللبنانيين الذين بقوا في الجنوب لمدة ٣٤ يوما, تحت وابل من القذائف تفوق حدتها خمس مرات قوة هيروشيما, لم يصابوا بأي نوع من الإحباط, مكابدتهم هذه يرجع فيها الفضل في المقام الأول إلى تجربتهم الماضية مع الحرب، وكذلك بشكل كبير إلى تكوينهم وتأطيرهم ثم إيمانهم. فبعيدا كل البعد عن فقدان الأمل، شمروا عن سواعدهم وأعدوا لحرب طويلة, حتى أنهم تعجبوا من السرعة التي هزموا بها عدوهم الغاشم.

عرضياً، قام الجيش الإسرائيلي, وإبتداءاً من اليوم الثاني على هجومه بقصف إستوديوهات قناة المنار والمقر العام لحزب الله المتواجدين في أحد الأحياء الشعبية ببيروت. القصف ذلك لم يسبب إلا في إنقطاع بث برامج المنار لما لايزيد عن دقيقتين، بدون أن يكون له أثر يذكر على تنظيم الحزب. ولقد ظن قادة أركان حرب الدولة العبرية بأن مسؤؤلي القناة والحزب قد لاذوا بالفرار والتجاؤا إلى غرف محصنة (تحت الأرض) تحت الأنقاض.

هكذا تابع الجيش الإسرائيلي قصفه لأربعة أيام أخرى بغية تدمير المنشآت التحت أرضية، قبل أن يدرك بأن المنشآت تلك ليس لها من وجود إلا في الخيال المبدع لصحافيي "فوكس نيوز". غير أن القصف الإسرائيلي خرب جنوب العاصمة بأكمله، الذي أصبح كومة من الأنقاض, الضراوة تلك إستفاد منها حزب الله الذي ظهر مظهر الخصم الذي لايقهر أمام واحد من الجيوش الأحسن تجهيزا" في العالم.

إن الهجوم الإسرائيلي لاعلاقة له برد حزب الله. كما أن الجيش الإسرائيلي إستعمل طائرات "الإف "١٥ لإلقاء وابل من القنابل وسحق مدن جنوب لبنان. يذكر أنه لم يسبق لأمة، منذ تدمير "هانوي" أن تجرأت على اللجوء إلى النوع هذا من القصف داخل المجال الحضري، وهي التي كانت لتكون كذلك آخر مرة تشهد إندحار جيش عصري أمام شعب يلجأ إلى حرب العصابات.

أما فيما يتعلق بحزب الله, فلقد حصر سلاحه في صواريخ موجهة لأهداف عسكرية معينة وإن سبب إحكام القاذفة بالضرورة في إصابة بعض المواقع المدنية، ولقد ثبت بأن المقاومة اللبنانية تمكنت من تدمير مطار عسكري, والمركز الرئيسي للإرسالات الإلكترونية, والمقر العام لقيادة الشمال الإسرائيلية، ثم ألحقت أضرارا بليغة بسفينتين حربيتين.

في الوقت الذي نادت فيه منظمة الأمم المتحدة إلى وقف العدوان، وبينما كان حزب الله بصدد التردد حيال ما يجب فعله، عاد المهجرون اللبنانيون أدراجهم وإستقلوا طريق العودة عفوياً.

فبعد نصف ساعة من اللحظة التي طال إنتظارها، إحتشد ماتبقى من الطرق الناجية من القصف بجموع العائدين إلى ديارهم إذ عادوا فوراً للتخييم فوق مساكنهم المدمرة, رافضين رمزياً إخلاء أرضهم المد الإنساني ذلك عجل بتقهقر القوات البرية الإسرائيلية.

كما أكدت القوات الجوية الإسرائيلية أنها استطاعت في ٧٢ ساعة أن تحطم كل مدارج إطلاق صواريخ "صحر" التي سلمتها إيران لحزب الله, غير أن هذا الأخير نفى الخبر مؤكداً بأنه مازال قادراً على ضرب إسرائيل، وهو ما يبدو صحيحاً إذ أن الجيش الإسرائيلي وبمجرد أن حاول إعادة قصف بيروت، تلقى رداً عنيفاً من المقاومة اللبنانية مهدداً بإتخاذ تدابير ثأرية هدفها تل أبيب, الرد ذلك أجبر الإسرائيليين على رفض الرهان، زد على ذلك أن مسؤولي حزب الله أكدوا أنهم لم يستعملوا سوى ١/٩ من ترسانتهم وأنهم قادرون للتو على الإستمرارية في القتال بالحدة ذاتها لمدة إحدى عشر شهراً آخر. للتذكير فإن العناصر التي تم جمعها توضح بجلاء أن العديد من وحداتهم المضادة للدبابات إدخرت ولم يتم إستخدامها في الحرب هذه.

الخلاصة أن الهيمنة الجوية الشاملة للقوات الإسرائيلية لم تخدم أهدافها الحربية أما الإنتشار الجوي فلقد تحول إلى خيبة امل.

فشل الهجوم البري

منذ اليوم الأول للحرب برز فشل محاولة التوغل بواسطة المدرعات, التي هي أحد نقاط قوة الجيش الإسرائيلي, عادة هي قدرته على التقدم السريع، ولقد تم تفسير الفشل الأول هذا ,على أنه محاولة سابقة لأوانها. كما أن قادة أركان الحرب ظنوا بأنه بمجرد أن يتم إخلاء الميدان عبر قاذفات القنابل، سوف يسهل على القوات البرية سحق رجال المقاومة. لقد تم تصوير حزب الله كزمرة إرهابية تتكون من ٢٥٠ إلى ٥٠٠ محارب وبعض الأسلحة المعقدة، فتصريحات أمين عام الحزب السيد حسن نصر الله التي مفادها أن الحزب يضم الآلاف من المحاربين المدربين وما لايقل عن ١٥٠٠٠ جندي إحتياطي تلك التصريحات إعتبرت تبجحية.

كان ذلك خطأً فادحاً منسوباً حصرياً إلى نوع من التضليل الذاتي لم تكن هنالك الحاجة إلى أجهزة المخابرات المعقدة لتقدير آليات اللعب، لاسيما وأن الحزب ينظم منذ سنوات زيارات لمنشآته في حضور وسائل الإعلام المختلفة. الزيارات تلك كانت لأهداف ردعية محضة, غير أن اللغة المنمقة لما يسمى "حرباً على الإرهاب"، والتي تضع كل حركة وطنية في خانة زميرة المتعصبين، تغلبت على الحقيقة التي يعرفها الجميع.

إن حزب الله شبكة مقاومة شكلت إبان الإحتلال الإسرائيلي (١٩٨٢-٢٠٠٠). ووعياً منه بأن السلام لايمكن تحقيقه في المنطقة ما لم تتم تسوية مسألة النظام السياسي القائم في إسرائيل، كرس

الست السنوات الأخيرة للتهيؤ لأية حروب جديدة محتملة، فحافظ على بنيته السرية، مع تطوير جناح سياسي وبرلماني.

كما درب عناصره، رجالاً ونساءاً، تدريباً حربياً، وجمع ترسانة سلاح مدهشة بفضل مساعدة حلفائه السوريين والإيرانيين والروس كذلك، التي سحقت أسلحتهم المضادة للدروع المدرعات الإسرائيلية في مجزرة الدبابات في وادي الحجير, والذي إعتبر في ذلك الوقت تفوق السلاح الروسي على السلاح الأمريكي.

قام الحزب بالإستفادة من أخطاء الحقب السالفة, وبدراسة مناهج قتال الإسرائيليين في فلسطين والولايات المتحدة في العراق. كما إستوعب بشكل جيد تقنيات حرب العصابات وقام بعصرنتها. وحسب نظريات عدد من الجنرالات اللبنانيين، فإن الحزب أوجد شكلاً من حرب العصابات ترتكز على كمية من العتاد المختلف. هكذا، وقبل إعلان الحرب، أورى في الأرض أسلاك هواتف قديمة يستحيل تعطيلها بعكس وسائل الإتصال الرقمية.

فحرب لبنان لم تكن إذن حرباً غير متناسقة جمعت بين جيش حديث مجهز بشكل جيد ورجال مقاومة حافيي الأرجل، أضعفهما لايملك المقلاع فقط، بل يملك أيضاً قاذفات مضادة للدروع من نوع كورنت الأكثر تطوراً في العالم.

إن تقنية "البليتزكريغ" التي كانت وراء فوز الألمان عام ١٩٣٩، والتي ترتكز أساساً على الدبابات، تجاوزت مدة صلاحيتها. فالدبابات أصبحت مع مرور الوقت أثقل فأثقل لتحمل القذائف التي تزداد قوتها يوما بعد يوم، حتى أن بعضها أصبح يغطى بالإيرانيوم لتقوية تفليذها. لقد كانت غنائم سهلة لقاذفات حزب الله الروسية، والحاصل أن وزير الدفاع الإسرائيلي قد أعلن مباشرة بعد انتهاء الحرب التوقف عن إنتاج دبابات "مركافا"، التي كانت تعتبر واحدة من أفضل الدبابات في العالم، وكانت ضربة لفخر الصناعات العسكرية الإسرائيلية.

بعيداً عن الإستراتيجية والنهج والتسلح، يبقى أهم درس في حرب لبنان هو قيمة الجيوش، فعلى مدى صراعاته السابقة، كان الجيش الإسرائيلي يدفع بوحدات محترفة إلى الصف الأول وينشر في بضعة أيام جمعاً من جنود الإحتياط، الذين يبدون شراستهم في القتال للدفاع عن الأراضي المحصل عليها ولإحتلال أراض جديدة. غير أن الظروف تغيرت، ومات أبطال الفيلق اليهودي. أما أحفادهم فينعمون الآن بنظام ميز عنصري يقاتل لا من أجل الوطن، بل للدفاع عن مصالحه. أما تجربتهم العسكرية فتنحصر في الغزوات الإرهابية على الأراضي الفلسطينية. فما كانوا ليستحملوا المواجهة مع المقاومة الوطنية لبلد مستقل. أدخلت تجربة حزب الله مفاهيم جديدة في نوعية الحروب وكسر موازين القوة بين الجيوش الكلاسيكية والقوة المقاومة التي تعتمد تقنيات بسيطة إنما فعالة.

إن حكومتي واشنطن وتل أبيب تصران على تصوير الصراع كأنه خطوة في "الحرب على الإرهاب" رغم أن الطابع الشعبي للمقاومة وهزيمة الجيش العبري يتناقضان مع التحليل ذلك.

من جانبه، يرى حزب الله في ذات الحرب حلقة في الصراع القائم في المنطقة بين الإيديولوجية الصهيونية والمساواة المثالية. إنه التحليل السياسي الذي فرض نفسه في ساحة الوغى, والذي قلب المعطيات في الشرق الاوسط، حيث أغضب الجنرالات الأكثر تطرفاً في الجيش الإسرائيلي.

الهزيمة الإسرائيلية

إن الهجوم الإسرائيلي على لبنان يجيب على سؤال واضح للمصالح.

– فبالنسبة للمحافظين الجدد في الولايات المتحدة، والذين يتكفلون بإصدار الأوامر في الوضع ذلك، يعتبرون الحدث إستراتيجياً , وحلقة من حلقات برنامج إعادة رسم حدود الشرق الأوسط الكبير. أما تكتيكيا فهو بمثابة فرصة لإقصاء حزب الله قبل مهاجمة سورية ثم إيران.

– أما بالنسبة للنظام الصهيوني الحاكم في إسرائيل، فيرى في هجومه، إستراتيجيا، سبيلاً لإفراغ المنطقة من سكانها, ووضع اليد عليها هذه الارض الغنية بشعبها ومواردها من مياه جوفية، وأراض زراعية ومؤخراً إكتشاف الغاز في الحوض الشرقي للبحر المتوسط وتحقيق أحلامه بإعادة لبنان إلى العصر الإسرائيلي والأهم **مد خط أنابيب الغاز الطبيعي من ميناء عسقلان إلى ميناء جهينة التركي لنقل الغاز الإسرائيلي إلى أوروبا.**

– والحال أن حدود لبنان لم يطلها التغيير، وسكان الجنوب عادوا إلى أراضيهم التي طردوا منها.

كما أصبح حزب الله القوة السياسية والعسكرية في لبنان، وفاعلاً أساسياً في الحياة السياسية المحلية لإسرائيل. بلإضافة إلى تحول حزب الله إلى قوة محفزة إقليمية على إستنهاض المقاومات العربية, حيث نتج عن ذلك المقاومة العراقية ضد الغزو الأمريكي ولاحقاً ضد المجموعات التكفيرية, وقوات أنصار الله في اليمن, وقوات الدفاع المقدس في سوريا, ولاحقاً دخل في الحرب ضد الإرهاب الذي إجتاح الأراضي السورية, وراكم تجاربه حتى أصبح قوة لا يستهان بها ينفذ مهام أدت إلى قلب معادلات كمعركة حلب مؤخراً. ودخل ضمن المعادلة الإقليمية حليفاً لسوريا وإيران والعراق واليمن وروسيا. لقد فشل الهجوم العسكري الإسرائيلي وإنتصر لبنان. لكن ذلك لا يعني وقف الهجمة فإنتقل التخطيط لتسديد الضربات في مكان آخر في قلب هذا المحور وهو سوريا.

إدارة الحرب على سوريا

منذ عام ٢٠٠٣ أعد المحافظون الجدد والليبراليون الصقور الحرب على سورية، وذلك لعدم تعاون سوريا مع الولايات المتحدة في تسهيل إحتلال العراق, وإغلاق طرق المقاومين للإحتلال الأمريكي. وذلك بعد زيارة وزير الخارجية الأمريكية لدمشق حاملاً معه لائحة تتضمن ١٧ شرطاً منها التعاون الأمني في العراق، طرد فصائل المقاومة الفلسطينية من دمشق، قطع العلاقة مع المقاومة اللبنانية، رفض الرئيس السوري هذه اللائحة, مما حدا بالإدارة الأمريكية إلى وضع سوريا في محور الشر وأصدر الكونغرس قانون محاسبة سوريا متبنياً عقوبات إقتصادية عليها, وتتابعت الأحداث حيث تم الإعداد للقرار ١٥٥٩ الذي صدر عن مجلس الأمن في صيف ٢٠٠٤, حيث طالب بسحب جميع

القوات الأجنبية المسلحة من لبنان, وحل المليشيات وإجراء إنتخابات رئاسية حرة وفق القواعد الدستورية اللبنانية من دون تدخل خارجي، ومن دون أي إعتبار سحبت سوريا قواتها وإستطاعت التمديد للرئيس إميل لحود, ثارت ثائرة الولايات المتحدة وفرنسا, وأعلنت الحرب على سوريا, حيث إعتمدوا منذ عام ٢٠٠٥ على عدة دول من حلف شمال الأطلسي ومجلس التعاون الخليجي. وإن كنا نعرف الدور الذي يلعبه الجنرال ديفيد بتريوس لبدء ومواصلة الحرب حتى اليوم، فإن هناك بعض الشخصيات التي بقيت في الظل وبدعم برلين, وإستمرت في التلاعب في الأمم المتحدة لتدمير سورية، وهاتين الشخصيتين هما جيفري فيلتمان و فولكر بيرتيس مدير مركز الأبحاث الألماني الرئيسي.

ففي عام ٢٠٠٥ كان جيفري فيلتمان آنذاك سفيراً للولايات المتحدة في بيروت أشرف على عملية إغتيال رفيق الحريري[١]، معتمداً على ألمانيا التي قدمت السلاح المناسب سواء قتل نفسه أو إدارة اللجنة المكلفة من الأمم المتحدة لإتهام الرئيسين، بشار الأسد، وإميل لحود من قبل أستاذ العلوم السياسية الألماني فولكر بيرتيس.

وفي عام ٢٠٠٦ عندما نظم فيلتمان الهجوم الإسرائيلي على لبنان, على أمل أن يهزم حزب الله وأن سورية ستأتي لمساعدة بيروت, فإن هذا من شأنه أن يوفر ذريعة لإستجابة الولايات المتحدة الأمريكية وتدخلها في سورية، وكانت برلين ستكتفي بإرسال قواتها البحرية. أما وزيرة الخارجية كوندوليزا رايس، فقد عرضت على مجموعة بيلدلبرغ أثناء اللقاء الذي إمتد من ٥-٨ حزيران ٢٠٠٨، الحاجة للإطاحة بالحكومة السورية، ولتنفيذ ذلك إصطحبت معها في تلك الأثناء بسمة قضماني رئيسة مبادرة الإصلاح العربي" والتي أسست فيما بعد ما يسمى المجلس الوطني السوري"، وفولكر بيرتس، مدير معهد شؤون الأمن الدولي، وهو أهم مركز للأبحاث في أوروبا.

وفقاً لبرقية كشف عنها موقع ويكيليكس، فقد نصح بيرتس وزيرة الخارجية الأميركية رايس بالوقوف ضد إيران، محذراً في نفس الوقت من مخاطر إطلاق عملية عسكرية لما لذلك من تبعات إقليمية غير متوقعة، مؤكداً في المقابل على فعالية تدمير إقتصادها، وقد تم الأخذ بنصائح فولكر بيرتس، عام ٢٠١٠، من خلال عملية تدمير برامج المحطات النووية الإيرانية بواسطة فايروس ستكسنت.

وفي عام ٢٠١١ سخر فولكر بيرتس من خطاب الرئيس السوري في مجلس الشعب الذي ندد فيه " بالمؤامرة" في رأي نشره في صحيفة نيويورك تايمز، واصفاً أن "الثورة" سائرة في سورية وأن الرئيس سيغادر البلاد.

وفي منتصف العام نفسه إستطاعت الحكومة الألمانية إختراق جماعة الإخوان المسلمين في مصر وتونس وذلك دعماً لهم, ليأتوا إلى السلطة مستثنين حركة حماس في فلسطين لكي لا تعيق "إسرائيل"

---

[١] تييري ميسان، مقالة، مفكر فرنسي ورئيس ومؤسس شبكة فولتيير تاريخ الدخول ٢٠١٧/٣/٦)
http://www.voltairenet.org/article190098.html)

وذلك تحت تأثير من فولكر بيرتيس الذي إستقبل في الوقت نفسه وفد من "المعارضة السورية في تموز برئاسة "رضوان زيادة.

وفي ٦ تشرين الأول من عام ٢٠١١ شارك بيرتيس بناء على إقتراح من الخارجية الألمانية في المؤتمر المغلق الذي نظمته الجمعية التركية للصناعة والأعمال "توسياد" وشركة الإستخبارات الأميركية الخاصة ستارتفور، حيث تم الإجتماع بحضور أكبر ١٠ رؤوس أموال تركية وتانر يلدز ووزير الطاقة الذي كان عليه مساعدة أردوغان في الترتيب لتمويل الحرب من النفط المسروق من قبل "داعش".

أما في منتصف عام ٢٠١٢، طلب جيفري فيلتمان من فولكر بيرتس بأن يدير برنامج "اليوم التالي" المنوطة به مهمة تشويه النظام في سورية، حيث عقدت إجتماعات على مدى ستة شهور للوصول إلى هذا التقرير الصادر بعد مؤتمر جنيف. وحشد هذا البرنامج "اليوم التالي" ٤٥ "معارضاً سورياً، من بينهم بسمة قضماني، وأعضاء من الإخوان المسلمين، وتم تمويله بالكامل من المعهد الأميركي للسلام، كما طلب تمويله أيضاً من كل من ألمانيا، وفرنسا، والنرويج، وهولندا، وسويسرا.

وقدم "اليوم التالي" مسوَدة خطة فيلتمان للإستسلام التام وغير المشروط لسورية، والذي أصبح الهاجس الأكبر للأمم المتحدة , في الوقت الذي أصبح فيلتمان الشخص مديراً للشؤون السياسية في الأمم المتحدة في تموز ٢٠١٢, ومن أهم هذه المبادئ إلغاء سيادة الشعب السوري وإلغاء الدستور وحل مجلس الشعب، في ذات الوقت، كان فولكر بيرتس ينظم عمل " الفريق العامل على الإنتعاش الإقتصادي والتنمية" من أصدقاء "أصدقاء سورية".

أما في شهر حزيران ٢٠١٢، وتحت الرئاسة المشتركة لألمانيا والإمارات العربية المتحدة، قامت مجموعة "أصدقاء سورية" بتنازلات لإستثمار الغاز السوري، مقابل دعمهم بقلب النظام، وإطلاقاً من مؤتمر جنيف"٣٠ حزيران ٢٠١٢" وإجتماع ما يسمى "أصدقاء سورية في العاصمة الفرنسية بتموز من العام نفسه، لا نجد آثار معلنة لدور فولكر بيرتيس بإستثناء منشورات للحفاظ على الدعم الألماني لجماعات الإخوان المسلمين.

وتابعت ألمانيا سياستها وذلك بعد تنازل أمير قطر عن العرش وصعود المملكة العربية السعودية، وعينت بوريس روج مسؤولاً عن الملف السوري في وزارة الخارجية سفيراً لها في الرياض. وفي شهر أيلول من عام ٢٠١٥، أصدر ستافان ديمستورا و جيفري فيلتمان، قراراً بتعيين فولكر بيرتس "مفاوضاً للسلام" في اللقاء المقبل في جنيف المقبل، وقال أنه سيكون بمهمته مكوكية بين وفد الجمهورية العربية السورية و"المعارضة السورية". ثلاثة أعوام كانت الأمم المتحدة بعيدة كل البعد عن القيام بأي خطوة لإستعادة السلام في سورية، واليوم جيفري فيلتمان مكلف من قبل الأمم المتحدة بإدارة مفاوضات السلام في جنيف.

الدور القطري في الربيع العربي:

لا بد من التذكير بأن قطر تملك ثالث إحتياطي عالمي من الغاز الطبيعي والمنتج الأول للغاز المسال في العالم هذا على الصعيد الإقتصادي, حيث تسعى إلى تصدير إنتاجها عبر خطوط أنابيب تبدأ من قطر بإتجاه أوروبا عبر المنفذ الوحيد سوريا والتي تقف عائقاً منيعاً أمام هذا الهدف. أما على الصعيد السياسي فإن قطر شبه جزيرة تبلغ مساحتها ١١٥٢١ كلم^{٢} عدد سكانها حوالي مليوني نسمة.

أما عدد السكان الأصليين فيبلغ ٣٠٠ الف نسمة، ولديها إمكانيات مالية هائلة وتسعى لتحقيق طموحات سياسية تتعدى حجم الإمارة الصغيرة وعدد سكانها, إلى إحلام تسعى فيها إلى تزعم القرار السياسي العربي عبر التنسيق مع الجزء الأكبر من الإسلام السياسي وهم الإخوان المسلمون.

وفرّت قطر على مدار الأعوام الماضية ملاذاً للكثير من قادة جماعة الإخوان المسلمين، وللإمارة الخليجية علاقة متميّزة ومتجذّرة بالجماعة شكّلّت خلال المرحلة الماضية محطة مهمة لرموز "الإخوان" في العالم الإسلامي.

الإخوان في قطر، أسماء تتنوّع ما بينَ الدعاةِ والصِحافيينَ والسياسيينَ والإعلاميين، أبرزها الشيخ يوسف القرضاوي، الأب الروحي لتيار الإسلام السياسي المتنقّل ما بينَ تركيا وقطر، والمرشد العام المؤقت لجماعة الإخوان محمود عزت، وأمين عام الجماعة محمود حسين.

يعود التواجد الأخواني في الإمارة الخليجية إلى خمسينياتِ القرنِ العشرين حيث وصلتِ الموجة الأولى من مِصرَ إلى الدوحة وذلك على إثْر الصراعِ بين العهدِ الناصري والجماعة.

أما الموجة الثانية فجاءت من سوريا بعد الصِدامِ الذي وقع بين الإخوان والرئيس السوري الراحل حافظ الأسد، والذي بلغ ذروتَه في ما عرِف بأحداثِ حماة في العام إثنين وثمانين.

بعد ذلك، جاءتِ الموجة الإخوانية الثالثة من السعودية إلى قطر في أعقابِ التوترِ بين الإخوان والمملكة في التسعينيات، وقد بلغت تلك الموجة ذروتَها بعد أحداثِ الحادي عشَر من أيلول/سبتمبر العامَ ألفينِ وواحد وسبقتْها هجرة من الجزائر, على رأسهم الشيخ عباسي مدني رئيس الجبهة الإسلامية للإنقاذ.

أما الموجة الرابعة فكانت بعد طرد قادة حركة "حماس" وعلى رأسهم خالد مشعل من الأردن، إذ أنّ الحركة تنتمي فكرياً للجماعة.

وفي أعقابِ الأزمة السورية عام الفين وإحدى عشر أغلقَتِ الحركة مكاتبَها في سوريا وغادرت إلى الدوحة.

أما الموجة الأخيرة فكانت بعد عزل الرئيس المصري محمد مرسي في أعقابِ ثورةِ الثلاثين من حَزيران.

صحيح أنّ الجماعةَ قامت بحلّ نفسِها، ولم تنتقدِ النظامَ القطري، لكنّ عناصرَها نجحوا في التغلغل في شريان الحياةِ القطرية، على المتسوياتِ كافة، دينياً ودَعَويّاً وتعليمياً وإجتماعياً، وصولاً إلى النفوذ

السياسي، فكان مثلاً للجماعة دور كبير في إنشاء وِزارةِ التربية والتعليم وصياغةِ المناهجِ التربوية والتعليمية في البلاد، وإختيارِ أعضاء هيئات التدريس في كل مراحها.

وإلى جانبِ الملجأ وفرّتْ قطر لـ "الجماعة" دعماً مادياً وسياسياً وغطاءً إعلامياً، ودخلت في خصام معَ أشقائها الخليجيين الذين سحبوا سفراءَهم منها بسبب هذا الدعم.

ويتهم زعماء البيتِ الخليجي قطر بإستثمار ورقة الإخوان لمد نفوذِها في المَنطِقة وإحتواء نفوذِ الدول المنافسة لها عبر التهديد بالجماعة، ويؤكدون أنّ الإخوانَ بدورهم يستغلون هذا الدعمَ القطري لتحقيق أحلامِهم وتطبيقِ أجَنْدَتِهم في المَنطِقة.

حاولت الدوحة على الرغم من صغرها جغرافياً وسكانياً أن تقوم بأدوار إقليمية ودولية كبيرة في عدة إتجاهات، ولعله من المناسب هنا ذكر جهودها لحل النزاع السوداني الداخلي في إقليم دارفور، بالإضافة إلى أن جهودها الدبلوماسية وتدخلاتها العسكرية والإقتصادية الكبيرة في بلدان الربيع العربي تعززت بقوة بفضل ذراع إعلامية, ساهمت في إضفاء هالة واسعة من أضواء الشهرة على هذه الجزيرة الصغيرة وعلى سياساتها.

وأسهمت "معارك" وتغطيات هذا المنبر الإعلامي الضخم في إزدياد نفوذه وإنتشاره (ونفوذ الدولة الراعية له بطبيعة الحال) ، وبلغت مكانته أقصى مداياتها بتعرض مكتبه في العاصمة العراقية بغداد لقصف أمريكي أثناء الغزو عام ٢٠٠٣، بالإضافة إلى التصريحات الأمريكية المنزعجة من طريقة تغطيته للأحداث، إلا أن ذراع قطر الإعلامية هذه رست في السنوات الخمس الأخيرة على جانب واحد بعد أن تقلبت بين الطرحين القومي والإسلامي, وأصبحت منبراً للإخوان المسلمين يدافع عنهم بإستماتة ويهاجم أعداءهم بعنف.

وحتى الآن لم تتضح دوافع قطر لإختيار مثل هذا النهج، فيما يغمز خصومها من قناة الولايات المتحدة، ويشيرون إلى أن عزف قطر المنفرد على أوتار الإخوان المسلمين والحركات الإسلامية القريبة منها ليس إختياراً منفرداً، بل هو بإيعاز من واشنطن بهدف إحتواء مثل هذه الحركات التي تصنف تقليدياً بأنها معتدلة.

وبنهاية المطاف، يمكن القول إن قطر الآن تتخندق مع الإخوان في أكثر من بلد عربي مرت به رياح التغيير المدمرة، في حين تضع السعودية والإمارات ثقلها مع فصيل إسلامي آخر هو السلفيون.
وما يزيد من غموض دور قطر في هذه اللعبة الكبرى, أن إندفاع الدوحة في هذا الطريق لم يتوقف، بل تواصل بزخم أكبر على الرغم من الضغوطات الكبيرة من قبل السعودية ودول الخليج الأخرى، ما يعني أن نهج الدوحة خيار إستراتيجي لم يفقد قيمته حتى بعد حدوث تغيير في رأس السلطة في قطر عام ٢٠١٣ بتنازل حمد بن خليفة آل ثاني عن الحكم لنجله تميم.

وحتى الآن دفعت الدوحة المليارات من أجل "التمكين" للإسلام السياسي متمثلا في الإخوان، في ليبيا وسوريا ومصر وتونس, إلا أن جهود الدوحة لم تحقق النجاح المأمول، فهي تواجه مقاومة عنيفة

في ليبيا، فيما باءت بالفشل في مصر بعد تنحية السيسي لمحمد مرسي عام ٢٠١٣، وهي تنحسر في سوريا بعد ان قدمت الدعم الدبلوماسي والمالي والإعلامي واللوجستي الهائل لقوى المعارضة المسلحة في سوريا وتدور في حلقة مفرغة.

في إطار الدور القطري في الربيع العربي كشف كتاب بعنوان كتاب بعنوان " قطر هذا الصديق الذي يريد بنا شراً " مؤلفات الصحفيان الفرنسيان "نيكولا بو وجارك ماري بورجيه" حيث كشف إن كل قصة الربيع العربي مؤامرة حيكت بدقة في الغرف السوداء, وهي قصة علاقة وطيدة بدأت بين إسرائيل وقطر منذ مطلع تسعينيات القرن الماضي وتوجهاً الراعيان الأميركي والفرنسي, ذلك أن الدوحة التي قررت في العام ١٩٩٣ بقيادة الأمير حمد بيع الغاز لإسرائيل لم يكن لها طريق إلى دائرة أصدقاء واشنطن سوى من خلال العلاقة المباشرة مع إسرائيل.

ويوثق الكتاب عملية الباخرة لطف الله عبر مجموعة كبيرة من المعلومات والأسرار والمقابلات تبرز كيفية تمويل قطر لإرهابيين في سورية بالأسلحة وبالمستشارين الذين كان من ضمنهم عبد الكريم بلحاج القيادي في تنظيم القاعدة الإرهابي سابقاً, والذي أصبح لاحقاً أحد المسؤولين السياسيين في ليبيا. ويروي الكتاب كيف دآبت مشيخة قطر على إستقبال شيمون بيريز وتسيبي ليفني زعيمة حزب كاديما الإسرائيلي, والتي كانت تستسيغ التسوق في المجمعات التجارية القطرية المكيفة وزيارة القصر الأميري وكيف يتحدث رئيس الوزراء حمد بن جاسم عن الفلسطينيين وخاصة قوله "هل سيزعجنا هؤلاء الأغبياء طويلا".

ويؤكد الكتاب أن فكرة إطلاق قناة الجزيرة كانت فكرة يهودية عمل على تنفيذها الأخوان ديفيد وجان فريدمان وهما يهوديان فرنسيان وأنهما من خلال الأعضاء في منظمة الإيباك أي لجنة الشؤون العامة الأميركية الإسرائيلية تمكنا من إقناع أمير قطر بهذا الأمر, حيث وجد فيه فكرة مثالية تخدم عرابيه من جهة وتفتح أبواب العالم العربي لإسرائيل من جهة ثانية.

كما يتحدث الكتاب أيضاً عن تعيين الليبي محمود جبريل مستشاراً للقناة, لأن الأميركيين وغداة إطلاق الجزيرة سلموه أحد أبرز مفاتيح القناة, وأصبح بعد ١٥ عاماً رئيساً للمجلس الوطني الإنتقالي في ليبيا كونه أحد البيادق الأميركية في صناعة ماسمي الربيع العربي.

ويروي الكتاب فكرة البدء بالربيع العربي منذ سنوات, عندما إتخذت أميركا قراراً بتغيير الوطن العربي عبر الثورات الناعمة, من خلال وسائط التواصل الإجتماعي, حيث نظم محرك غوغل في أيلول العام ٢٠١٠ ببودابست منتدى حرية الأنترنت أطلقت بعده وزيرة الخارجية الأميركية السابقة مادلين اولبرايت مؤسسة شبكة مدوني المغرب والشرق الأوسط, سبق ذلك وتبعه سلسلة من المنتديات في قطر بعنوان منتدى الديموقراطيات الجديدة أو المستعادة, شارك في أحدها في شباط العام ٢٠٠٦ بيل كلينتون وإبنته وكوندوليزا رايس وزيرة الخارجية الأميركية آنذاك وتم الإتفاق على وثيقة سرية بإسم مشاريع للتغيير في العالم العربي.

وتحدث الكتاب عن الخطوات العملية لإطلاق هذا الربيع, حيث أسس المصري هشام مرسي صهر الشيخ يوسف القرضاوي أكاديمية التغيير ضمت العديد من الهاكرز والمدونين, وأطلقت في كانون الثاني العام ٢٠١١ عملية التونسية التي كانت تدار مباشرة من الولايات المتحدة. ويكشف الكتاب دور الأميركي جيني شارب في صناعة هذه الفكرة كونه صاحب فكرة الثورة من دون عنف, من خلال الأستناد إلى الأنترنت وإلى فيديو التمرد, بحيث يتم تصوير مشاهد تثير التعاطف حتى ولو كانت مفبركة، وأوضح الكتاب أن شارب هو مؤسس «معهد انشتاين» بإشراف الإستخبارات الأميركية مع الصربي سردجا بوبوفيتش, الذي عمل للثورات البرتقالية في أوكرانيا وجورجيا, وأنه بعد مغامراته تلك فإن شارب راح يستقبل المتدربين الذين ترسلهم قطر وأميركا إلى بلغراد, وفي معهد انشتاين هذا تدرب محمد عادل بطل الربيع العربي في مصر, وهو عضو في أكاديمية التغيير في قطر، ويشرح الكتاب أساليب الفبركة الإعلامية ويسوقان أمثلة كثيرة تم الإفادة منها وإقتباسها وبينها مثلاً تلك الصور التي نشرتها القنوات الأميركية في العام ١٩٩١ لطيور الغاق التي قالت إن مازوت الرئيس العراقي الراحل صدام حسين قتلها, بينما هي صور مأخوذة أصلاً من غرف باخرة توري كانيون في بريطانيا كما تم تصوير لقطات أخرى في استوديوهات أميركية.

وفي الكتاب معلومات خطيرة عن كيفية إحتلال ليبيا وقتل العقيد معمر القذافي, وأسئلة مشككة بمقتل ٣ شخصيات على الأقل من العارفين بأسرار دعم القذافي للرئيس الفرنسي السابق نيكولا ساركوزي بالأموال وغيره, وبينهم مثلاً وزير النفط السابق شكري غانم الذي قيل إنه مات غرقاً في سويسرا. ويوضح الكتاب أن مصالح مالية هائلة كانت وراء ضرب ليبيا, وبينها الودائع المالية الكبيرة للقذافي في قطر, كما كان وراءه أيضاً رغبة قطر في إحتلال مواقع العقيد في إفريقيا حيث مدت خيوطها المالية والسياسية والأمنية تحت ذرائع المساعدات الإنسانية.

ويتحدث الكتاب عن الإستثمارات القطرية في فرنسا, وكيف قامت قطر بمساعدة هولاند عبر شبكة هائلة من المصالح جعلت قطر تسيطر على القرار الفرنسي, وتشتري تقريباً كل شيء بما في ذلك مؤسسة الفرنكوفونية مؤكداً أن كل ذلك قد لا ينفع طويلاً . ورأى الكاتبان أنه صحيح أن قطر إشترت كثيراً في فرنسا من مصانع وعقارات وفرق رياضة, إلا أن هولاند الذي أنقذته الشيخة موزة أحد أبرز مصانع منطقته الانتخابية تجنب زيارة قطر في أولى زياراته الخارجية, حيث ذهب إلى السعودية ثم الإمارات، ومن الأمور اللافتة في صفقات المال والأعمال أن رفيقة الرئيس الفرنسي فرنسوا هولاند وأثناء مشاركتهما في قمة دول مجموعة الثماني في واشنطن, أهدت زوجة الرئيس الأميركي حقيبة يد من ماركة لوتانور أي المصنع الذي أنقذته الشيخة موزة فإرتفعت فجأة مبيعات المصنع.

ويروي الكتاب عملية زيارة القرضاوي إلى إسرائيل, حيث تقول مطلقة القرضاوي السيدة أسماء في الكتاب أنه زار سراً إسرائيل مطلع العام ٢٠١٠, كما حصل على شهادة تقدير من الكونغرس الأميركي

بوصفه أحد المتعاونين مع أمريكا, ودليلها على ذلك أن إسمه ليس موجوداً على لائحة الشخصيات غير المرغوب فيها في الولايات المتحدة.

ويتوقع للكتاب أن يخلق مناخات عاصفة في باريس, كونه واحداً من الكتب الذي يكشف ملابسات الكثير من القرارات السياسية التي إتخذت بين قطر وفرنسا, وكانت خلفها مصالح مالية كبيرة, ويكشف أيضاً أنه ثمة مشروعاً خطيراً وقف خلف ماسمي الربيع العربي, وأن المال كان سيد الأخلاق السياسية في فرنسا على مدى الأعوام الأخيرة, لا الكرامة الوطنية ولا القانون الفرنسي, وهذا ما سيراه الفرنسيون مصيبة كبيرة في بلدهم الذي يعتبرونه بلد الحرية والإخاء والمساواة. وما تطالب به زعيمة اليمين المتطرف في فرنسا من أن محاربة الإرهاب تبدأ بقع العلاقات مع قطر.

أما من جهة دعم قطر للجماعات الإرهابية في سوريا, فلقد دعمت بالمال والسلاح عشرات الجماعات المقاتلة في سوريا والمصنّفة عالمياً بـ(الإرهابية), وكان أبرزها (جماعة النصرة) والتي تُعدّ الفرع السوري لتنظيم القاعدة، وجماعة (أحرار الشام) ولاحقاً ما سُمّي بـ(جيش الفتح), قامت بإمدادهم بالسلاح بما يوازي قرابة الـ ٦ مليارات دولار أنفقتها قطر في سوريا لوحدها، ويذكر سيمور هيرش في مقال وثائقي له يحمل عنوان (خط الجرذان) عن قيام قطر بنقل أسلحة الجيش الليبي الذي تفكّك بعد مقتل القذافى (٢٠١١/١٠/٢٠) إلى الجماعات الإرهابية المسلحة في سوريا لإدامة الصراع والقتل هناك، وذكرت الفينانشال تايمز في تقرير مهم لها عام ٢٠١٣ كان عنوانه الأبرز كما أشرنا (قطر تدفع ٥٠ ألف دولار للمنشقّ السوري والمعارض للنظام)، وكيف أن عشرات المقابلات للصحيفة مع معارضين سوريين أبرزت الدور القطري الداعم والراعي للإرهابيين في سوريا، وأنها ساهمت في نقل مئات منهم من بلادهم الأصلية إلى سوريا، ومن الأدوار الخطيرة التي لاحظها المراقبون للمأساة السورية, قيام قطر بدور الوسيط للإفراج عن الرهائن العرب والغربيين ومنهم الصحافى الأمريكي بيتر كيرتس مقابل فدية دفعتها قطر للإرهابيين قدرها ٢٥ مليون دولار، وأن هذه الوساطة لا تعكس دوراً إنسانياً كريماً لهذه الإمارة، بقدر ما تكشف عن العلاقات السرّية الدافئة بينها وبين الجماعات الإرهابية خاصة داعش والنصرة وأحرار الشام، فالذي يتوسّط بين طرفين في أزمة ما، بالتأكيد يكون لديه قنوات اتصال وعلاقات معهما، وهو عين ما قامت به تجاه الأسرى اللبنانيين والسوريين والراهبات السوريات والأسرى الغربيين وغيرهم.

وفي كتاب آخر أصدَرهَ الصحفيان الفرنسيان، كريستيان شينو و جورج مالبرونو بعنوان "قطر... أسرار الخزينة" وفي هذا الكتاب وثّق الصحفيان في الصفحة ١٩٨ ما كان إستمعا إليه بالصدفة وهما في ضيافة أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، وهو يأمر معاونيه بمنح رئيس حركة النهضة راشد الغنوشي مبلغ ١٥٠ مليون دولار حسب جريدة المغرب في عـ٤٩٩ـددها بتاريخ ١٤ شباط ٢٠١٣.

ويُشار إلى أن الصحفيان كريستيان شينو وجورج مالبرونو، يتطرقان في كتابهما "قطر... أسرار الخزينة" إلى الإستراتيجية القطرية في السياسة والإقتصاد، والعوامل التي سمحت لقطر بالتحوّل من بلدٍ صغير وهامشي إلى لاعبٍ بارز في مختلف القضايا العربية والدولية.

أن قصة الكتاب جاءت بعد تحقيق مطول في قطر، قام به الكاتبان الفرنسيان جورج مالبرونو وكريستيان شينو، في إطار بحثهما عن الأسباب التي ساعدت على تحريرهما من العراق، حيث إحتجزا كرهينتين في عام ٢٠٠٤.

وأشار الكتاب إلى أن أُمراء قطر لم يتركوا قطاعاً إلا واستثمروا فيه، وعلى الصعيد السياسي دعموا جماعة الإخوان المسلمين, ودعموا الإطاحة بنظام القذافي في ليبيا, ويدعمون المعارضة في سورية وكان لهم دور في انتفاضات تونس ومصر، فلا شيء يوقف أطماع قطر نحو النفوذ، وفق ما جاء في كتاب لشينو ومالبرونو: "قطر، أسرار الخزينة[١]. من المعلومات حول سوريا مثلاً يروي الكاتبان أنه منذ صيف عام ٢٠١٢ قررت قطر تسليح المعارضة السورية على الأرض. وهكذا «فإن وحدات من القوات الخاصة القطرية إنتشرت عند الحدود التركية والأردنية مع سوريا، لكن محاولاتها المتكررة سابقاً للدخول إلى سوريا لم تنجح، تغير الوضع منذ أيلول الماضي. كشف مسؤولو الأمم المتحدة في سوريا أن قوات خاصة قطرية وصلت إلى الداخل، وهو ما أكده لنا أيضاً عضو من العائلة القطرية الحاكمة».

وإستناداً إلى معلومات ديبلوماسية فرنسية، فإن الكاتبين يؤكدان أنه منذ صيف العام الماضي «دخل القطريون في غرفة الحرب التي أُنشئت في أضنة التركية وذلك بدعم سعودي، الأمر الذي سمح للأتراك بالإشراف على تدفق الأسلحة الخفيفة، وخصوصاً الكلاشنيكوف وبعض القاذفات المضادة للدروع والدبابات، وراح المسلحون يشترون هذه الأسلحة من السوق السوداء بفضل أموال المبعوثين السعوديين واللبنانيين والقطريين».

وفي تحقيق تلفزيوني فرنسي[٢] عرض على+Canal الفرنسية ونقلته جريدة الأخبار اللبنانية[٣] يتحدث عن الدور القطري في الهجوم الأطلسي على ليبيا, عندما يقول الوسيط بين شركة "توتال" النفطية الفرنسية والدولة الليبية في عهد معمر القذافي: إن " قطر حثّت فرنسا على شنّ حرب على ليبيا من أجل الإستيلاء على حقول الغاز وتقاسمها"، وعندما تعلن القوات الجوية الفرنسية والبريطانية عن تنفيذ "تمارين عسكرية مشتركة" تحاكي "قصف بلد وهمي يحكمه ديكتاتور"، قبل أشهر قليلة من إعلان بدء الهجوم على ليبيا، وعندما يعترف عميل إستخباري فرنسي بأنه أُرسل إلى ليبيا مع آخرين قبل بدء

---

[١] نقلاً عن جريدة السفير تاريخ الدخول ٢٠١٧/٣/٢٢ مقتبس على الموقع http://www.amwaj.ca/?page=article&id=379

[٢] موقع التحقيق الصحفي تاريخ الدخول ٢٠١٧/٣/٦
http://www.dailymotion.com/video/xv95qz_gaz-petrole-guerres-secretes-docu_news.

[٣] تحقيق تلفزيوني فرنسي عرض على كانال + ونقلته جريدة الاخبار اللبنانية تاريخ الدخول ٢٠١٧/٣/٢٢
http://www.almayadeen.net/news/other/26677/--nc7

العملية العسكرية بغية "تحضير الأرضية" وأنه نفّذ أعمالاً غير قانونية هناك تمهيداً للحرب، وعندما يكافئ "المجلس الانتقالي" الليبي الفرنسيين بعقد نفطي سرّي بعد ١٥ يوماً فقط على تنفيذ الهجوم العسكري.

بعد هذا كله، يصبح من الصعب فهم إسقاط نظام القذافي خارج إطار تأمين مصالح نفطية فرنسية قطرية بعيداً عن أسطورة "إنقاذ أهل بنغازي المهدّدين بالفناء" و"تحرير الشعب الليبي من الطاغية" و"إلتحاق ليبيا بالربيع العربي".

كواليس الحرب الليبية في آذار عام ٢٠١١ رُويت في تحقيق صحافي إستقصائي عرضته محطة "كانال بلوس" الفرنسية منذ أيام، تحت عنوان "الغاز والنفط: الحروب السريّة" الصحافي، معدّ التحقيق، باتريك شارل ميسانس، جمع معلومات دقيقة وأجرى مقابلات مع شخصيات عملت في الظل وتحدّثت للمرة الأولى أمام الكاميرا عن التجربة الليبية وأسرارها، شريط ميسانس تضمن أيضاً مقاربة للحرب على العراق العام ٢٠٠٣ والحرب على ليبيا العام ٢٠١١ وأوجه التشابه بينهما، كما خصص جزءاً منه للكشف عن عملية التحضير لإنقلاب رئاسي في غينيا الافريقية، أيضاً برعاية دول أجنبية لمصالح نفطية.

هكذا روى ميسانس في تحقيقه كيف نشأت فكرة إسقاط نظام القذافي بين فرنسا وقطر منذ العام ٢٠٠٩، بهدف الإستيلاء على حقل غاز طبيعي ضخم, من شأنه أن يُبقي أوروبا دافئة وفرنسا على رأس لائحة المنتجين النفطيين في أوروبا لمدة ٣٠ عاماً، فما الذي جرى في الكواليس السياسية والدبلوماسية والإقتصادية المعتمة منذ سنوات, وكيف أوهم السياسيون العالم بخدعة أن "الربيع" وصل إلى ليبيا عام ٢٠١١ وأنه يجب إسقاط نظام القذافي حتى ولو بالقوة والحرب؟

<u>"توتال" وغاز حقل NC7</u>

يعود التحقيق في الزمن الى عام ٢٠٠٧، تاريخ الزيارة الرسمية الشهيرة للقذافي إلى فرنسا في عهد الرئيس نيكولا ساركوزي, وما نجم عنها من صفقات بيع طائرات حربية فرنسية بملايين اليوروات.
تلك الزيارة تصادفت أيضاً مع إكتشاف شركة "توتال" النفطية الفرنسية حقل غاز طبيعي مهول في ليبيا.

إسم الحقل NC7 ويقع غرب البلاد ومن شأنه أن يكفي حاجة أوروبا من الغاز لمدة ٣٠ سنة، حسب ما يذكر التحقيق. وبعد مفاوضات بين الطرفين الفرنسي والليبي، التي قادها رجل الأعمال من أصل لبناني زياد تقي الدين، باعت "المجموعة الوطنية الليبية للنفط" كامل الحقوق الخاصة بالحقل المذكور إلى "توتال" بقيمة ١٤٠ مليون يورو بين نهاية عام ٢٠٠٨ وبداية عام ٢٠٠٩.

تقي الدين يوضح في الشريط أن "شرط الليبيين الوحيد كان ألا يدخل أي طرف ثالث مع الشركة الفرنسية في تلك الحقوق".

لكن، خلال عام ٢٠٠٩ علمت قطر بالإتفاق الفرنسي ـ الليبي وأرادت أن تضمن حصة لها في الغاز الليبي، فإشترت من الفرنسيين جزءاً من "إن سي ٧".

لكن ما فعلته قطر أثار غضب الليبيين، الذين طالبوا فوراً بإبعاد الإمارة الخليجية عن الصفقة ووقف العمل بالإتفاق الثنائي. لكن قطر "لم تهضم" أمر إستبعادها عن الإفاق وعن الحقل الغازي الضخم، يوضح الصحافي ميسانس. وهنا يعلّق تقي الدين: "قال القطريون في أنفسهم إنهم لن يتمكنوا من التفاوض مع الليبيين ففكروا، لماذا لا نشنّ حرباً عليهم بإسم إسقاط ديكتاتور إسمه معمر القذافي؟".

تقي الدين يضيف "تناسى أمير قطر أنه هو نفسه ديكتاتور على رأس نظام ديكتاتوري... لكنه الأمير الديكتاتور الذي كان ساركوزي معجباً به!".

إذا، حسب تقي الدين فإن قطر هي التي حثّت فرنسا على فكرة إسقاط نظام القذافي من خلال الحرب، وفي أيلول عام ٢٠١٠ بلغت المفاوضات بين الليبيين والفرنسيين حول الحقل المذكور نقطة الصفر، فتجمّدت وهنا بدأت فرنسا جدياً بالتفكير في إسقاط القذافي، يشرح الصحافي.

وفي تشرين الأول من العام نفسه، يشير التحقيق إلى حدث لافت، وهو إنتقال الذراع اليمنى للقذافي، مسؤول البروتوكول لديه، نوري مسماري، بشكل مفاجئ إلى فرنسا بداية، قالت السلطات إنه يتلقى علاجاً في باريس, ثم ما لبثت السلطات الليبية أن أصدرت بحقه مذكرة جلب وملاحقة، فتبيّن أنه فارّ، لكن السلطات الفرنسية رفضت تسليم مسماري وتكفلت بحمايته على أراضيها. وهنا، يقول المدير السابق للاستخبارات الفرنسية إن "الاستخبارات حصلت على معلومات قيّمة من مسماري حول القذافي.

أين يذهب، أين يبيت، كيف يعمل، كيف يتنقل...". ويضيف "كل تلك المعلومات كانت مفيدة لأي عمليات يتقرر تنفيذها في المستقبل".

بعد حادثة المسماري، تأتي الخطوة الثانية المفاجئة بعد شهر، وهي إعلان "القوات الجوية الفرنسية" على موقعها الإلكتروني الرسمي، عن إطلاق عملية عسكرية مشتركة مع القوات البريطانية إسمها "رياح الجنوب ٢٠١١". القوات الفرنسية تعرّف عن تلك العملية بالإشارة إلى أنها "تقضي بالتمرّن على قصف بلد خيالي يحكمه ديكتاتور ويريد توريث إبنه السلطة كما يهدد مصالح فرنسا".

أما تاريخ تنفيذ عملية "رياح الجنوب"، وهنا المفاجأة الأكبر، فهو بين ٢١ و٢٥ آذار ٢٠١١ أي الفترة التي قُصفت فيها ليبيا فعلياً بعد ٣ أشهر. وهنا يلاحظ المدير السابق لوحدة مكافحة التجسس الفرنسية أن "الفرنسيين والبريطانيين شنّوا هجومهم بعد ساعات قليلة فقط من إعلان قرار الأمم المتحدة.علماً أن لا أحد يقدم على هذا الأمر بطريقة تلقائية أو إرتجالية، لأن عملية كهذه تحتاج إلى أشهر من التحضير". لذا، يخلص إلى القول إنه "بالتأكيد تمّ التحضير سرّاً للعملية العسكرية على ليبيا قبل أشهر من شنّها".

"ثم جاء الربيع العربي ذريعة لتنفيذها وإقناع الرأي العام العالمي بها"، يردف الصحافي. لكن كيف تمّ التحضير للتدخل العسكري قبل أشهر من الحصول على قرار أممي يجيزه؟ هنا يكشف ميسانس عن أن مجموعة من عملاء الإستخبارات الفرنسيين والقطريين توجهوا إلى ليبيا "لمساعدة الثوار منذ اليوم الأول من تحركهم". "ذهبتُ إلى ليبيا في شباط ٢٠١١. وقمنا بتنفيذ بعض العمليات لتحضير الأرضية للحرب، ففجّرنا مثلاً آليات عسكرية ودمّرنا الكثير بكافة الوسائل المتاحة"، يقول أحد عناصر الإستخبارات الفرنسيين من دون الكشف عن وجهه وإسمه في الشريط. "كنا نعلم أن لا أحد سيحاسبنا، فكل المسؤولين الكبار كانوا يعلمون بما نقوم به". وهنا يؤكد ميسانس أن تلك الأعمال التي إرتكبت في ليبيا على يد عناصر الإستخبارات "هي غير قانونية".

وبعد "تحضير الأرضية" جاء دور "التهويل" وإستخدام ذريعة "حقوق الانسان"، وهنا إستعان ساركوزي بالكاتب الفرنسي برنار هنري ليفي، الذي نقل إلى الإعلام العالمي أجواء "بنغازي المرعبة، حيث السكان مهددون بأن يقصَفوا بالأسلحة الكيميائية". وتلك أيضاً ليست سوى "أسطورة" إستخدمت شرارة لإطلاق العملية العسكرية، يقول ميسانس. وبعدما إعترفت فرنسا بالمجلس الإنتقالي الليبي، خرج ساركوزي ليعلن للعالم بدء العملية العسكرية ضد ليبيا "بإسم حقوق الانسان، وحق الشعب الليبي بتقرير مصيره".

وبعد إنطلاق الحرب بـ١٥ يوماً، وقّع المجلس الإنتقالي الليبي إتفاقاً سرياً مع السلطات الفرنسية تُمنح بموجبه ٣٥٪ من الإنتاج النفطي الليبي. ما من شأنه تحويل فرنسا إلى المنتج الأوروبي الأول للنفط ورفع انتاج شركة "توتال"، بعدما كان إنخفض في السنوات الأخيرة، يوضح التحقيق. وما هي إلا أشهر قليلة، وفيما لا يزال الليبيون يحصون قتلاهم، حتى إشترت قطر حصة في أسهم "توتال" وصلت أخيراً الى ٣٪ التي تستثمر النفط والغاز الليبي.

<u>الدور التركي في الحرب على سوريا</u>

تحسنت العلاقات السورية التركية بشكل لافت في بدايات العقد الماضي اي عام ٢٠٠٠ عندما زار الرئيس التركي السابق أحمد نجدت سيزر معزيا الرئيس بشار الأسد بوفاة والده الرئيس حافظ الأسد وهذه كانت بداية الانفتاح التركي السوري والتبادل الإقتصادي والتجاري بين البلدين, توقفت هذه العلاقة مع رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان في بدايات الإزمة السورية, على خلفية رفض الرئيس السوري بشار الأسد السماح بمرور خط أنابيب الغاز القادم من قطر إلى أوروبا عابراً سوريا وتركيا وبعد أن تقررت الحرب على سوريا، فتحت تركيا أبوابها لجميع المرتزقة من كافة أنحاء العالم وجعلت الحدود السورية التركية ممراً لدخول الإرهابيين المتطرفين إلى سوريا, لتنفيذ مشروع الحرب على سوريا ضمن المخطط العام، ومعاقبة الشعب السوري وتدمير البنى التحتية السورية وسرقت معاملها، كل هذه المواضيع وأكثر عن الدور الذي لعبته تركيا بالتآمر على سوريا ومؤخراً العراق تكشفها الكاتبة التركية "حميده بيغيت".

أن تركيا لعبت الدور المرسوم لها بحسب القوى العالمية العاملة على تنفيذ مخطط الشرق الأوسط الكبير. أعطت لتركيا دور "الدولة النموذج" لشعوب الشرق الأوسط، كان من المفروض أن تكون تركيا الدولة النموذج لـ"الإسلام المعتدل" وأردوغان هو "زعيمها المحبوب رجب طيب أردوغان". وتطوير تركيا لعلاقاتها مع سورية كان جزءاً من هذه الخطة. ومن ضمنها مسرحية "ون مينت" الشهيرة في مؤتمر دافوس بوجه الرئيس الإسرائيلي، وإرسال الناس عن سابق قصد للموت في حادثة سفينة مرمره كانتا أيضاً بهدف أن تقبل الشعوب العربية به كبطل. وهو نجح في ذلك فعلاً. لقد إستقبل الشعب العربي أردوغان كبطل. وهكذا خطأ أولى خطواته في طريق أن يصبح "فاتح الشرق الوسط" ويحقق أحلام العثمانية الجديدة. وهو حقق دوره كـ"فاتح" خلال علاقاته مع سورية حيث أطلق "تصفير المشاكل، الضغط على الأسد لتنفيذ الإصلاحات، عقد جلسات مشتركة لمجلسي وزراء البلدين"، على أن المرحلة التي أطلق عليها إسم "الربيع العربي"، وتسريع تنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير، وفي إطار تنفيذ أمر العمليات الصادر عن المحور الأمريكي أعطيت الأوامر بالتحول من "الشخص الجيد" إلى "الشخص السيء". هذا ببساطة شديدة. وبدأت أدوات الدولة التركية تنفيذ الدور المعطى لها ومنها المخابرات التركية التي قدمت الدعم للمجموعات السورية المعارضة بالتنسيق مع مخابرات دول المحور الأمريكي وأنشئت غرف عمليات مشتركة.

وتؤكد الكاتبة كما كثيرين غيرها بأن لتركيا الدور الأكبر في خطة الهجوم على سوريا وذلك لطول الحدود البرية المشتركة مع سوريا والتي تبلغ حوالي ٦٠٠ كلم وبالإمكانات التي وضعت بتصرف تركيا من دول المحور الأمريكي, وخاصة الدعم المادي واللوجستي عبر القاعدة الأطلسية في إنجرليك وهي الدول الموعودة بحصة كبيرة من الغاز المار عبر خط نابكو, والموعودة أيضاً بتزعم العالم الإسلامي عبر العثمانية الجديدة، التي لم تدرك خطورة الحرب وتأثيرها المستقبلي عليها خاصة أنها تنفذ أمر عمليات مشترك مع دول المحور الأمريكي، لكنها وقعت في عواقب أفعالها التي لم تحقق لها أهدافها. لقد دخلت الحرب دون أن تحسب حسابات طويلة المدى معتقدة أن سوريا ستسقط فوراً، بالمحصلة بات تركيا وجهاً لوجه أمام المجموعات الجهادية الخطيرة التي نمتها ودربتها وإحتضنها ودعمتها. بواسطة أجهزة الدولة وخاصة جهاز المساعدات الإنسانية IHH, وهو أكثر الجهات التي تدعم المجموعات المسلحة تحت مسمى "المساعدات الإنسانية"، وذلك بسبب الدعم المفتوح الذي تناله من الحكومة. وبفضل هذا الدعم الرسمي والراحة التي تنالها, فقد تمكنت من إطالة عمر المجموعات المسلحة في سورية لسنوات طويلة. حيث أن هذه التنظيمات تحصل على الدعم المالي السعودي والقطري .... وتدار من قبلها ولكن من يوصل المساعدات، وينقل المحاربين، ويداوي الجرحى هو الـ IHH ولولاها لما إستطاعت هذه التنظيمات البقاء على قيد الحياة طيلة هذه المدة.

أدى جهاز المخابرات أدوار مهمة في عملية إدارة المجموعات المسلحة, وتقديم الدعم ورسم المخططات وتنفيذ مهام لإطالة عمرهم الإرهابي من أعمال إرهابية ومجازر ضد المدنيين وتخريب

المنشأت العامة, وسرقة المنشأت الصناعية والآثار وادارة المنشأت النفطية, وتصدير النفط عبر تركيا إلى عمليات تنظيم هذة المجموعات, والتي خلقت بآلالاف إلى إعادة تنظيمها وهيكليتها ضمن أطر من الدعم العقائدي المبني في الأساس على فكر القاعدة, وإنما ضمن نهجين: الأول نهج الإخوان المسلمون وهو النهج التي تدعمه قطر وتركيا عقائدياً بإعتبار نظام الحكم في قطر يدعم هذا الفكر الذي إستضاف كل شرائح الإخوان المسلمون الملاحقة من أنظمة حكم الدول العربية كسوريا، مصر، الأردن, تونس... ونظام الحكم في تركيا هو في الأصل نظام إخوان مسلمون والممثل في سوريا بالنصرة والمجموعات المنضوية تحت فكرها. والثاني نهج السلفية الذي تدعمه السعودية بإعتبار أن نظام الحكم في السعودية ينتمي إلى هذه المدرسة والممثل في سوريا والعراق وكافة الدول الأخرى بداعش والمجموعات المنضوية تحت فكرها.

إن الحرب بالوكالة التي شنها المحور الأمريكي على سوريا عبر التنظيمات الأرهابية والتي إستطاعت من إلحاق الضرر الفادح بالدولة السورية وشعبها ومواردها, لكنها لم تستطع تحقيق الأهداف التي شنت الحرب من أجلها, وإستطاعت سوريا وبمساعدة كل من روسيا وإيران ولبنان عبر حزب الله من الصمود والتصدي لهذه الهجمة ومحاربة هذا الإرهاب. الذي إرتد على صانعيه ومن الطبيعي أن دولة رعت هذا الإرهاب غير المنضبط سيتحول خطراً عليها في المستقبل وقد أشار عدد من الكتاب، إلى هذه الخطر. حيث أن هناك حكومة تأوي الإرهابيين في بلادها، وتستضيفهم في المقرات الرسمية، وتنسج معهم علاقات وثيقة لهذه الدرجة.

من الطبيعي أن هؤلاء الإرهابيين سيشكلون خطراً على هذه الحكومة في المستقبل، كل من أرسلوا الإرهابيين إلى سورية فهموا أن الإرهاب سيعود عليهم، كما حصل في فرنسا, ألمانيا, ... وبدأوا بإتخاذ الإحتياطات اللازمة، غير أن تركيا ليست في وضع إتخاذ أي إجراءات إحترازية، فهي على علاقة وثيقة جداً بهم بلية الإرهاب وقعت على رأس تركيا وسنواجه أضراره الفادحة".

أن الفشل في تحقيق الأهداف الأمريكية أدى إلى تراجع في الإندفاعة التركية, وبسبب الضغوط الروسية والإيرانية أدت إلى تراجع الحكومة التركية مرحلياً, وإعتماد سياسة الحوار وأعادة التعاون مع المحور التي تتزعمه روسيا بشأن إيجاد حل سلمي مقابل حصولها على فوائد إقتصادية وسياسية كانت ستقدم لها لو نجح المحور الإمريكي في تحقيق أهدافه, وأهمها الحصول على الغاز الروسي والإيراني عدم السماح للمكون الكردي في سوريا بإقامة دولة مستقلة.

<u>الدور الاسرائيلي في ثورات العالم العربي</u>

إن طبيعة وجود الدولة الإسرائيلية وهي القاعدة العسكرية الغربية المزروعة في العالم العربي في الأساس هي المؤامرة بحد ذاتها للهيمنة على العالم العربي, وإبقاء كافة شعوبه وموارده تحت السيطرة الغربية, وإن إستمرار هذا الوجود يعني إستمرار التآمر بكافة إشكاله وحسب قدراته, فهذا التآمر لم يستطع القضاء على حزب الله في العام ٢٠٠٦ رغم الدعم الأمريكي والغربي وجزء من العالم العربي

لكنه ما زال يسعى وبطرق مختلفة للقضاء على القومية العربية وزرع الطائفية بديلاً عنها حتى يتسنى لها التموضع داخل هذا الكيانات الجديدة, وقد كان لإسرائيل دور مطلوب منها القيام به في ثورات الربيع العربي، وهو إبراز القومية العربية كسبب من أسباب التخلف العربي وتغذية الصراعات الطائفية والمذهبية والإثنية لأحداث الشرخ داخل المجتمعات العربية.

يقدم في مؤلفه: «دور «إسرئيل» وحلفائها في «ثورات الربيع العربي»، سورية أنموذجاً ما أصاب الدول التي أصيبت بداء «الربيع العربي» الذي أطلقته الولايات المتحدة الأمريكية رغبة منها في تحقيق مشاريعها في المنطقة من خلاله، بعد أن عجزت عن تحقيقها بالطرق الأخرى والحقيقة أنّ إطلاق الشعارات البراقة والمزيفة ليست بجديد على صانعي السياسة الأمريكية، فقد سبق لهم أن أطلقوا الشعار المزيف على «الثورة» التي قامت في المجر، وعلى «ربيع براغ»، وعلى «ربيع أوكرانيا»، وعندما

أطلق هذا المصطلح على الفوضى التي أريد منها تدمير بعض أقطار الوطن العربي بهدف تخليص المنطقة من إطار العروبة والقومية العربية، والحقيقة أن الولايات المتحدة و«إسرائيل» لم تقدما على هذا العمل إلا بعد دراسات إستشراقية دقيقة عن تاريخ المنطقة ومكوناتها ومكامن الضعف والخلل في التركيبة العرقية والطائفية لأبناء الوطن العربي

يستشهد الكاتب[1] هنا بدراسة صاغها مكتب التخطيط السياسي في الخارجية الأمريكية تحت عنوان: «ترويض مضمار التطرف»، ويوضح الكاتب عن ضوابط وقيود سياسية لمشروع «الربيع العربي»، ويقول: «هذا ما أكده «أوباما» في مذكراته لمجلس الأمن القومي في التوجيه رقم ١١ وتتمثل هذه القيود والضوابط في أمن الكيان الصهيوني وإتفاقات السلام الموقعة مع العرب، والسيطرة على منابع النفط والغاز والبترول العربي والتحكم بطرق نقله، وبقاء المواجهة مع القاعدة وحزب الله وإيران والعمل على تصعيد الخلافات بينهما وبين الدول العربية بحجة أنهما يقتلان الشعب العربي والمسلم وينتقل بعدها الحوراني إلى وثائق مشروع الجيل الجديد، وتكتيكات الكفاح السلمي اللاعنفيّ والثورات الناعمة والملونة، وهي (١٩٨) تكتيكاً ويوضح ما قيل وتم البحث فيه والعمل عليه في منتدى المستقبل العربي الذي أقيم تحت رعاية الخارجية الأمريكية في الدوحة ٢٠٠٦, وفي بودابست بهنغاريا ٢٠١٠ وتأسيس قطر لأكاديمية التغيير ومركزها الدوحة لتدريب آلاف الناشطين العرب للعمل على زعزعة استقرار بلدانهم, والتي تولى رئاستها وتنفيذ مهامها «هشام مرسي» صهر القرضاوي، وبعد العمل على تحقيق هذه الوثائق صارت الأرض العربية ساحة خصبة لـ لعبة الشطرنج الكبرى وفق تعبير «زبغنيو بريجنسكي» المستشار السابق للأمن القومي الأمريكي وعملت إسرائيل على شق الصف الإسلامي وإبراز الإختلاف الإسلامي السني والإسلامي الشيعي على أنه صراع مميت.

---

[1] محمد الحوراني:"دور اسرائيل وحلفائها في ثورات الربيع العربي", تاريخ الدخول ٢٠١٧/٢/٢٧
http://tishreen.news.sy/?p=11472

وتحت عنوان «العلاقات الإسرائيلية –السعودية والإتفاق على تدمير سورية» يعرض الكاتب خمسة لقاءات سرية جمعت «الطرفين» في الهند وإيطاليا وتشيكيا، ويتوقف عند اللقاء الأخير الذي جرى بين العميد المتقاعد ومستشار رئيس جهاز الإستخبارات السابق في السعودية أنور ماجد عشقي وبين «دوري غولد» مندوب «إسرائيل» السابق في الأمم المتحدة وأحد كبار مستشاري رئيس الحكومة الإسرائيلية، ويقول: ما يلفت النظر في هذا اللقاء الحدّة التي إتسمت بها المواقف السعودية تجاه إيران، هذه اللقاءات والتصريحات تفسّر إعتراف رئيس الإستخبارات السعودية السابق بندر بن سلطان بالنزعات القوية مع سورية, وتأتي هذه الرغبة السعودية متقاطعة مع الرغبة الصهيونية في تدمير سورية حضارة وعمراناً وإنساناً، كما تؤكّد وجود تقارب جدي وحقيقي بين الطرفين، يذكرها الحوراني، إذ يقول تحت عنوان «عدو صديقي صديقي»: «كشف الباحث الصهيوني «أودي ديكل» من مركز أبحاث تابع لإحدى الجامعات في «تل أبيب» في دراسة أوردتها صحيفة «هآرتس» الصهيونية عن تسريبات جديدة تؤكد التقارب بين إسرائيل والمملكة, مع تأكيدات أن المستهدف الأساس من هذا التقارب هو إيران وسورية, ويستشهد الكاتب أيضاً بما قاله البروفسور الصهيوني «يوسي مان» عن تطور العلاقات الصهيونية – السعودية خلال العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة والمسمى «جرف الصخر» خلال شهري تموز وآب من عام ,٢٠١٤ مؤكداً متانة العلاقات التي ظهرت جلياً في التغطية الإعلاميّة السعودية والتصريحات التي صدرت وقتها عن المسؤولين السعوديين، ويضيف: والحقيقة أنّ الزيارات بين المسؤولين الصهاينة والسعوديين لم تنقطع منذ فترة طويلة, ولاسيّما خلال الحرب على سورية وما تلاها، ويؤكد هذا ما ذكرته صحيفة «يسرائيل هيوم» وكشفته عن زيارة قام بها رئيس جهاز «الموساد» الإسرائيلي «تامير بارود» للسعودية، مشيرةً إلى أنّ التعاون السعودي – الإسرائيلي بقي سنوات في الخفاء قبل أن يطفو على السطح.

وينوّه الكاتب بأنّ العداء السعودي لسورية وحركات المقاومة في المنطقة ليس وليد الأحداث في سورية, بل هو قديم قدم العداء بين المقاومين وإسرائيل، لافتاً إلى دراسة نشرها مركز «غلوبال ريسرتش» تحت عنوان: «أولويات «إسرائيل» والسعودية في سورية، العمليات العسكرية واستراتيجية اللبننة، والتي تؤكد قوة التحالف السعودي – الصهيوني العسكري ضد سورية، وذكر المركز أن التحالف بين «إسرائيل» والسعودية سمح لأوباما بالاستمرار في دعمها السري لما سماه «معارضة مسلحة» في سورية وثائق وشهادات إسرائيلية وأوروبية وأمريكية يقدمها الباحث الحوراني عن هذا التحالف الصهيوني – السعودي ضد سورية, تتحدث عن هدف وأحد تدمير سورية، لينتقل بعدها إلى الحديث عن العدو القديم الجديد وتحالفه مع الصهاينة والإرهابيين لتدمير سورية أيضاً، يقول: واجهت السياسة الخارجية التركية في فترة حكم «العدالة والتنمية» سلسلة من الإخفاقات الداخلية والخارجية وفي كثير من الأحيان كانت سورية قصة نجاح حقيقية فيما يتعلق بتطبيق إستراتيجية أردوغان

«تصفير المشكلات مع الجوار»، ويضيف: بعد لوثة «الربيع العربي» أقدمت الحكومة التركية ممثلة برئيس وزرائها السابق ورئيسها الحالي «أردوغان» على العمل بحقد دفين على فتح حدودها أمام مرتزقة العالم، واضعة أجهزة إستخباراتها وخططها العسكرية لتدمير سورية ونهبها والقضاء على كل ما هو حضاري رغبة منها في استعادة المجد الزائف للإمبراطورية العثمانية بالتنسيق مع الكيان الصهيوني الذي رأى أنّ ما يحدث في سورية يمثل فرصة ذهبية لعودة العلاقات مع تركيا إلى أفضل ما كانت عليه في السابق.

حقيقة أتت على لسان «زاكي شالوم» الخبير الإستراتيجي الصهيوني والمحاضر في معهد «بن غوريون» للدراسات الإسرائيلية في دراسته التي نشرها في مجلة «مفترق الشرق الأوسط» , والتي زعم من خلالها أنه من الممكن أن يصبح ما يحدث في سورية الآن بمنزلة بداية حقيقية لإيجاد قاعدة مشتركة من التعاون الإستراتيجي المشترك مرة أخرى بين «إسرائيل» وتركيا وكان لأمريكا أيضاً رأي في هذه العلاقات وفي الدور السلبي الذي لعبته تركيا في سورية، إذ أكّد نائب الرئيس الأمريكي «جو بايدن» في مؤتمر عقد بجامعة «هارفارد» الأمريكية في مطلع تشرين الأوّل ٢٠١٤ أن الرئيس التركي إعترف في محادثة بينهما أن تركيا إقترفت بعض الأخطاء بسماحها لمقاتلين أجانب على صلة بـ«داعش» الإرهابي بعبور الحدود إلى سورية المعارضة السورية وإسرائيل تحت عنوان حقيقة العلاقة والدور القذر, تطرق الحوراني إلى بعض الوثائق الغربية والإسرائيلية عن مخطط لتفتيت الدول العربية إلى دويلات، كما ورد في أوراق سربت من البنتاغون ونشرتها صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية وتحتوي ما يقارب الـ«١٧٣٦» صفحة، ورد فيها السيناريوهات المفترض تطبيقها على مراحل ومنها تقسيم سورية إلى ثلاث دويلات على خلفية مذهبية وطائفية، يضيف الكاتب: «تخصّص الدراسة ٦٠٠ صفحة لطرق تخدير الشعوب العربية، وفي إطار التعاون بين الغرب والصهاينة و«المعارضة السورية» إستضافت بريطانيا في الأشهر الأولى من الأزمة السورية عشرات اللقاءات بين مسوؤلين إسرائيليين عسكريين وسياسيين وبين قيادات لما يسمى «المعارضة السورية»، وذكرت مصادر بريطانية أنّ أميركا هي التي بادرت ورتبت اللقاءات تحت عنوان «طمأنة إسرائيل» إلى طبيعة المواقف التي تحملها هذه المعارضة، وإمكانية الحديث والتعاون لاحقاً، والحقيقة أنّ «المعارضة السورية» كانت من أصدق المعارضات العربية مع الكيان الصهيوني كما كانت الأسرع لتعبيد الطريق أمامه لتنفيذ مخططاته، هذه المعارضة قدمت للعدو ما عجز عن نيله لسنوات طويلة.

ولا تختلف علاقة المجموعات التكفيرية في سورية عن علاقة المعارضة السورية بهذا الكيان، يقول الحوراني: لم تعد العلاقة بين التنظيمات التكفيرية في سورية والكيان الصهيونية خافية على المتابعين

لما يجري في سورية من أحداث هدفها تعويم المشروع التكفيري الصهيوني, وإضعاف المشروع القومي المقاوم، ولعل «جبهة النصرة» الأكثر قرباً وإلتصاقاً بالمشروع الصهيوني الهادف إلى تدمير سورية.

التسلسل الزمني للحرب على سوريا

بدأ تنفيذ الربيع العربي في سوريا في شهر اذار ٢٠١١, حيث أعطي الأذن الأمريكي لبدء الحرب بتنفيذ الإحتجاجات الشعبية التي عمت مناطق من مدن دمشق, حلب ودرعا نتج عنها سقوط شهداء من الشعب على أيدي رجال شرطة أو مندسين في مدينة درعا, مما حدا بالرئيس السوري بشار الأسد إلى إتخاذ تدابير منها إقالة محافظ درعا, وكلف لجنة لدراسة تحسين أوضاع المحتجين المعيشية لكن الأمور إزدادت سوءاً وتطور الوضع بشكل دراماتيكي, فبدأت خطط التطبيق العملي للدروس النظرية التي تم تدريب النشطاء على القيام بها في معهد انتشتاين في بلغراد على أيدي الأمريكي جيني شارب وهو مؤسس المعهد بإشراف المخابرات الأمريكية مع الصربي سردجا بوبوفيتش, الذي عمل في إدارة الثورات البرتقالية في أوكرانيا وجورجيا من خلال الإستناد إلى الأنترنت ووسائل التواصل الإجتماعي وفيديو التمرد, بحيث يتم تصوير مشاهد تثير التعاطف حتى لو كانت مفبركة وبدأت بتغذية الإحتجاجات والدعوات إلى إنتفاضات في كافة المناطق السورية خاطب الرئيس السوري شعبه عند بدء الإحتجاجات, وتكلم عن مؤامرة خارجية تسعى إلى إستغلال الثورات العربية، وشكل لجنة لدراسة إحلال قانون مكافحة الإرهاب بدلاً من قانون الطوارئ.

في شهر نيسان ٢٠١١ كلف الرئيس السوري وزير الزراعة السابق عادل سفر بتشكيل حكومة جديدة وأصدر مرسوم عفو عن جميع السجناء بإستثناء من إرتكب جرائم، بالإضافة إلى التصديق على إلغاء قانون الطوارئ الساري منذ العام ١٩٦٣.

في شهر حزيران ٢٠١١ تزايدت أعمال الإحتجاج, وإنشق بعض الضباط عن الجيش, وأعلنوا تشكيل الجيش السوري الحر, وتتابعت الأحداث في شهر آب ببدء الضغط الدبلوماسي العربي بسحب سفراء السعودية والكويت والبحرين من سوريا, وتصدر جامعة الدول العربية أول بيان يختص بالأزمة السورية بعد أسبوع من هذا الحدث, تعلن كل من الولايات المتحدة الأمريكية، فرنسا، بريطانيا، إلمانيا، الإتحاد الأوروبي، وكندا فقدان الرئيس السوري لشرعيته ويجب عليه أن يتنحى، في شهر تشرين الأول أعلن عن تأسيس المجلس الوطني السوري في إسطنبول برئاسة برهان غليون.

أمام هذه الهجمة العالمية ضد الدولة السورية وهذه الفوضى في النظام الدولي وأمام تهديد مصالح المحور الذي تنتمي إليه الدولة السورية, كان لا بد لروسيا والصين من التصدي الدبلوماسي للقرارات

الدولية التي تعد في مجلس الأمن الدولي بشأن الدولة السورية, وتستعمل حق النقض الفيتو ضد قرار لمجلس الأمن الدولي شكل الفيتو الروسي الصيني المزدوج، الأول، في ٤ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١١ في مجلس الأمن الدولي ضد مشروع قرار غربي متعلق بالأزمة السورية محطة نوعية جديدة في العلاقات الدولية، وترسخ التحالف الروسي الصيني عندما تكرر إستخدامه للمرة الثانية في ٤ شباط ٢٠١٢. في نفس موضوع الأزمة السورية، وصار التنافس في مجلس الأمن الدولي تعبيراً عن مظهر من مظاهر تسجيل النقاط على الخصوم، وإفشال مشاريعهم، حيث حاولت الولايات المتحدة ومعها الدول الغربية إظهار كل من روسيا والصين، بوصفها البلدين اللذين يتحملان وزر إطالة أمد الأزمة في سوريا، ومسؤولية ما يرتكبه النظام فيها من جرائم ومجازر وتدمير وخراب.

صدر القرار ٢٠٤٢ بتاريخ ١٤ أبريل ٢٠١٢.. ويأذن فيه بنشر مراقبين في سوريا للإشراف على وقف إطلاق النار.. وبموجب هذا القرار بات بإمكان الأمم المتحدة إرسال "فريق طليعي من نحو ٣٠ مراقبا عسكريا على الأكثر غير مسلحين" , على أن يتم لاحقاً إرسال كامل بعثة المراقبين التي يمكن ان يصل عدد عناصرها إلى ٢٥٠ حسب تقديرات الأمم المتحدة، ولا بد من قرار جديد لمجلس الأمن لإرسالهم. كما طالبت فيه الدول الـ ١٥ الأعضاء في مجلس الأمن من الحكومة السورية في هذا القرار الإلتزام بوعودها بسحب قواتها من المدن طبقاً لخطة الموفد الخاص الدولي والعربي إلى سوريا كوفي انان آنذاك. ثم صدر بتاريخ ٢١ نيسان ٢٠١٢.. فلم يمض أسبوع على تبني مجلس الأمن للقرار ٢٠٤٢ حتى كانت كواليسه تعد لإستصدار القرار رقم ٢٠٤٣, وهو يعد إستكمالاً للقرار ٢٠٤٢. وكان فحوى القرار ٢٠٤٣ تخويل الأمين العام للأمم المتحدة إرسال ٣٠٠ مراقب عسكري مبدئياً، على أن يكونوا غير مسلحين، لمدة ٣ أشهر لمراقبة وقف إطلاق النار في سورية والنظر في إلتزام سائر الأطراف بخطة السلام للمبعوث الدولي– العربي الخاص إلى سوريا كوفي عنان. وطالب القرار من الأمين العام للأمم المتحدة الرفع إلى مجلس الأمن بحقيقة الوضع كل ١٥ يوماً. صدر في ٢٠ /تموز/ ٢٠١٢ القرار رقم ٢٠٥٩.. إذ قرر مجلس الأمن تجديد ولاية بعثة الأمم المتحدة إلى سوريا لفترة نهائية مدتها ٣٠ يوما، مع أخذ توصيات الأمين العام بشأن إعادة تشكيل البعثة في الحسبان، ومع مراعاة الآثار المترتبة على العمليات من جراء الحالة الأمنية المتزايدة الخطورة في سوريا.

في ٣٠ حزيران ٢٠١٢ عقد إجتماع جنيف حيث تم التوافق بين الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن على جدول زمني لعملية سياسية سورية – سورية وإنتقال سياسي في سوريا وتشكيل حكومة وحدة وطنية.

في ١٦ تموز ٢٠١٢ عقدت قيادة الإخوان المسلمين في سوريا مؤتمرها الأول منذ ثلاثين سنة في مدينة إسطنبول التركية بمشاركة ١٥٠ شخصية من قيادات سابقة وحالية. وأعادت تنظيم نفسها ضمن خطة إستلام السلطة في سوريا بعد سقوط النظام وبتوجهات من تركيا وقطر, حيث يحكم الإخوان

المسلمون تركيا بينما يسيطر التنظيم على مفاصل الدولة الثقافية والتعليمية. في ٢٩ اب ٢٠١٢ يصف الرئيس السوري بشار الأسد في مقابلة تلفزيونية أن الإنشقاقات عن الدولة بأنها تنظيف ذاتي للوطن, وأن البلاد تخوض معركة إقليمية وعالمية, ولا بد من وقت لحسمها وأن ما يحصل في سوريا لا هو ثورة ولا ربيع بل هو عبارة عن أعمال إرهابية بكل ما تعنيه الكلمة. في ٢٣ كانون الثاني ٢٠١٣ دخلت إسرائيل على خط الأزمة السورية بشكل علني وقامت طائراتها بقصف مركز عسكري للأبحاث شمال غرب العاصمة دمشق.

وفي ١٨ شباط من نفس العام قرر الإتحاد الأوروبي تقديم مساعدات علنية للمعارضة السورية. كما أنه في ١١ أيلول من نفس العام طلب الرئيس الأمريكي باراك أوباما موافقة الكونغرس على القيام بعمل عسكري في سوريا لمنع الحكومة السورية من إستعمال الأسلحة الكيماوية, وطلبت روسيا وضع المخزون السوري من الأسلحة الكيماوية تحت السيطرة الدولية لتفادي أي عمل عسكري أمريكي, حيث وافقت الحكومة السورية على ذلك, وأعلنت أنها أصبحت عضواً كاملاً في معاهدة حضر الأسلحة الكيماوية وتدمر جميع المنشات ومعدات الأسلحة الكيماوية. وبذلك نجت الدولة السورية من فخ التدخل العسكري الأمريكي المباشر بمساعدة الدبلوماسية الروسية الصينية.

وأمام هجمة المحور الأمريكي بكافة إمكاناته على الدولة السورية ورغم الصمود للجيش السوري إلا أن قوة الهجمة دفعت قوى المحور المدافع للتدخل.

<u>تدخل حزب الله في سوريا</u>

كان التنسيق بين حزب الله وسوريا وإيران في أعلى مستوياته، وجرت محاولات عديدة للعمل مع أطراف إقليمية وجهات حليفة لمد الجسور بين النظام وتنظيم "الإخوان المسلمين" ,الذي كان حينها الجهة المعارضة الوحيدة التي يمكن إعتبارها صاحبة تأثير على الأرض, وكما تبين من مجريات الأحداث بان الازمة في سوريا ليست أزمة ديمقراطية أو حقوق إنسان, إنما تنفيذ مخطط السيطرة على سوريا وإرساء نظام حكم يسيطر عليه الإخوان المسلمون, وبذلك يتكون مثلث خط أنابيب الغاز القطري السوري التركي تحت رعاية الدولة التركية, يتبين ذلك من ضمن ضغوط سياسية سميت مبادرة قامت بها تركيا وقطر.

تضخمت كرة الثلج على الأرض بينما شمعة الأمل بالوصول إلى حل كانت تذوب بعد الضغوط السياسية التي سميت مبادرة تركية قطرية مع الأيام الأولى للأزمة, كانت تقوم على الإعلان عن رزمة إصلاحات خلال الخطاب الأول للرئيس السوري بشار الأسد في مجلس الشعب، لكن المبادرة فشلت في اللحظة الأخيرة, تقول جهات تابعت عن قرب تلك المبادرة إن نائب الرئيس السوري فاروق الشرع كان فاعلاً فيها، حتى إنه قبل ٢٤ ساعة من يوم إلقاء الخطاب كان يستقبل وفوداً دبلوماسية ويخبرها عما سيحدث في اليوم التالي، والذي كان يتضمن إلغاء المادة الثامنة والقوانين المتعلقة بحظر

"الإخوان المسلمين" وفتح حوار شامل برعاية إقليمية، إضافة إلى انطلاق الرئيس السوري في جولة على المناطق التي وقعت فيها الأحداث وتعزية أهالي الشهداء.

في اليوم التالي وقبل ساعة من الخطاب أُبلغ الجميع بتأجيله لبعض الوقت، ثم إستمر التأجيل حتى الظهر. في هذا الوقت كان الجميع ينتظر ما سيأتي به الأسد، وفي غرفة أخبار قناة "الجزيرة" القطرية كانت عواجل الخطاب المتفق عليه جاهزة للبث، والذي كان قد وصلت نسخة منه إلى القطريين. لكن الأمر لم يكن كذلك. قررت القيادة الأمنية السورية أن أي تنازل ستلحقه تنازلات، تماماً كما حدث في تونس ومصر، لذا فكانت النصيحة للرئيس بعدم الركون لهذه المبادرة والحسم بشكل مباشر كي لا تكون هناك ذريعة لفتح باب جديد وبالتالي خسارة أوراق أساسية وإضعاف الحكم بما يسمح لأصحاب المبادرة بأخذ ما يريدون بالسياسة والدبلوماسية.

تدهورت الأوضاع شيئاً فشيئاً, وما هي إلا بضعة أسابيع حتى بدأت أصوات الرصاص المتبادل تسمع على الحدود اللبنانية السورية، والحدود التركية السورية، إيذاناً بتحول تدريجي في مسار الثورة نحو العسكرة. لكن الخشية الحقيقية لدى الحزب كانت من الخلايا النائمة داخل سوريا، تلك التي عملت لسنوات على خط العراق، وكانت سوريا نقطة ترانزيت أساسية لهم، بعبارة أخرى كانت سوريا أرض نصرة وليست أرض جهاد، أما وقد إشتعلت البلاد فجاء الإيعاز للنائمين بأن يصحوا.

خلال سنوات الجهاد العراقي، كانت الحدود اللبنانية السورية مفتوحة أمام آلاف المقاتلين الإسلاميين للمرور بإتجاه العراق لقتال الاحتلال الأميركي. لكن سياسة الحدود المفتوحة أقلقت حزب الله وجعلته يتوجه للسوريين في أكثر من مناسبة لسؤالهم عما إذا كانت المجموعات هذه تتابع داخل الأراضي السورية. لاحقاً تطور الأمر بشكل سلبي بين إيران والعراق وسوريا، لا سيما وأن التحقيقات العراقية خلصت إلى أن معظم العمليات الإنتحارية التي كانت تستهدف المدنيين كان مصدرها الحدود السورية العراقية. لم يأبه السوريون كثيراً لهذه المعطيات، أضف إلى ذلك الفساد المستشري في المؤسستين العسكرية والأمنية بشكل سرطاني، لتظهر هذه المجموعات لاحقاً من قلب سوريا بكامل عتادها وذخيرتها ولتصبح العمود الفقري للحراك المسلح الذي إتخذ من إنشقاق الجنود والضباط السوريين تحت إسم "الجيش السوري الحر" مظلة شكلية له.

كان السلاح يدخل من الجهات الأربع، الأردن وتركيا والعراق ولبنان. على الحدود اللبنانية وبعد شهرين فقط من الأزمة السورية في ١٥ آيار/ مايو ٢٠١١ عشرات المقاتلين المسلحين يقطعون النهر الكبير بإتجاه تل كلخ، كان هؤلاء يعبرون أمام أعين الأجهزة الأمنية والعسكرية اللبنانية في منطقة مكشوفة، فكيف الحال بالنقاط الوعرة ودروب التهريب والجبال والهضاب والأودية؟ وإن كان الحال كذلك بعد شهرين من الثورة، فماذا بعد عام أو عامين؟ لا شك أن الصورة اتخذت منحى دراماتيكياً.

بعد تسعة أشهر من الأزمة وقف حزب الله أمام مشهد تداعي الحليف وقد بدأ اليقين بأنه على عتبة الأفول وأن زمناً جديداً قد يبدأ في أي لحظة. توجه السيد نصر الله ومجموعة من القياديين إلى إيران

وهناك إختتموا جلساتهم بلقاء المرشد السيد علي خامنئي. يروي إسماعيل كوثري، النائب السابق في مجلس الشورى الإسلامي في إيران ونائب رئيس لجنة الشؤون الخارجية والأمن القومي فيه، قصة هذا اللقاء فيقول على موقعه الشخصي ولاحقاً في مقابلة مع وكالة فارس الإيرانية إن السيد نصر الله قال للسيد الخامنئي إنه يرى بأن الأمور تتجه نحو النهاية بالنسبة للنظام في دمشق، عندها رد خامنئي قائلاً "إسمعوا ما أقوله جيداً، إذهبوا وضعوا برنامجاً وخططوا له جيداً وليكن على رأس أولوياته بقاء بشار الأسد والحفاظ على سوريا".

في ١٨ تموز/ يوليو ٢٠١٢ دوى إنفجار ضخم في دمشق اهتزت له العاصمة ومعه إهتز النظام. جاء الخبر عن سقوط أعضاء خلية الأزمة جميعاً في تفجير طال مبنى الأمن القومي. قتل وزير الدفاع داود راجحة، ونائبه آصف شوكت، وهو زوج شقيقة الأسد، ورئيس مكتب الأمن القومي هشام بإختيار، ومعاون نائب رئيس الجمهورية العماد حسن تركماني. فجأة خرجت الأمور عن السيطرة في العاصمة السورية، سحب العديد من الحواجز، قرر العديد من العناصر الإنكفاء، وعدد آخر منهم الإنشقاق، وصلت كتائب المعارضة إلى حي الميدان التاريخي في دمشق, وبدأ بعض وسائل الإعلام يتحدث بشكل واضح عن إنطلاق معركة بركان دمشق وزلزال سوريا. في هذه اللحظة ظهر في المشهد قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني قاسم سليماني, الذي وصل إلى العاصمة السورية لتبدأ عمليات التنسيق لضرب الزخم المتصاعد لدى مسلحي المعارضة وإعادة المعنويات للجيش السوري ولتنطلق عملية التمهيد للمرحلة التي ستبدأ بعد عام تقريباً، مرحلة حزب الله في سوريا.

بعد عامين تقريباً من الأزمة كانت الحدود اللبنانية مع سوريا، بإستثناء بعض الجيوب الرسمية كطريق دمشق بيروت، كلها مع المعارضة على إختلاف توجهاتها، حتى بعض أهم خطوط الإمداد التي كانت تستخدمها المقاومة الإسلامية سقطت في يد من حملوا السلاح. وفي هذا الإطار يحكى عن سقوط عدد من شحنات الأسلحة التي كانت متوجهة إلى لبنان بأيدي المسلحين, وهو ما يعني لحزب الله مساساً سافراً بخطوط حياته. في هذا الوقت كانت منطقة السيدة زينب حيث يقع مرقد إبنة الإمام علي بن أبي طالب على وشك الإنهيار ومئذنة المقام قد تلقت العديد من القذائف، وعلى الجانب الآخر من محيط العاصمة، في داريا، كان مقام شقيقتها السيدة سكينة قد سقط وإنهار جزء منه. بدأت إرهاصات قرار بالتدخل المحدود تظهر تحت عناوين مختلفة، لكنها كانت دائما تصطدم بالخشية من ردة الفعل، هنا لا بد من الإشارة إلى أن شكل حضور حزب الله اليوم في سوريا لم يكن أبداً في البال لحظة اتخاذ القرار.

جاء القرار الأول، حماية الأماكن المقدسة وإستعادة المناطق ذات الأهمية الإستراتيجية وتنظيفها وتعزيزها لإستعادة وظائفها السابقة، والقصد هنا خطوط إمداد المقاومة. تدريجياً بدأت المشاركة، وتدريجياً بدأت العمليات، وبدأ التحضير للمعركة الكبيرة في القصير، ومن بعدها في الغوطتين وفي القلمون.....وصولا الى حلب التي كان لإنتصار الدولة السورية وحلفاؤه الأثر الكبير في حسم المعركة

العسكريةو وتحديد إطارات المفاوضات بين جنيف وموسكو وأستانة, وتحجيم أحلام دول سعت بين تدمير سوريا إلى تغيير نظام الحكم, وإلى تقسيم هذا البلد, وإستطاعت الدبلوماسية الروسية والإيرانية إحتواء الأوضاع وتثبيت وحدة سوريا ومحاربة الإرهاب, بينما وفود المعارضة المختلفة المدعومة من بعض دول الخليج والغرب مزقتها الخلافات وتشرذمت وإضمحل دورها لصالح المجموعات المسلحة على الأرض.

بعد ذلك تحولت هذه المجموعات أيضاً إلى مجرد مظلة قبل أن تسقط بالضربة القاضية وتصبح كل من "جبهة النصرة" و"جيش الإسلام" و"حركة أحرار الشام" و"تنظيم داعش" كل في مواجهة الآخر، الحالات المسلحة الأقوى على الأرض.

خاض مقاتلو الحزب حرباً هجومية ساعدت في تغيير المعادلة على الأرض وتحقيق الإنتصارات بدأ من القصير ومن بعدها الغوطتين في دمشق وفي القلمون .....وصولاً إلى المعركة الحاسمة في حلب مستغلاً خبراته السابقة على صعيد القتال بدءاً من إنتقاء الأسلحة المناسبة للعملية، إلى تحديد الإطار الزمني الملائم بدقّة لتحقيق أهدافها فتنسيق كافة مصادر الإستخبارات المتوافرة.

على صعيد موازٍ، لطالما إتسمت عقيدة حزب الله القتالية بإطالة أمد المعركة بُغية إستنزاف العدوّ، ولكن التمرّس على العمليات الهجومية يتطلّب تحقيق العكس تماماً؛ أي الحسم بفترات زمنية قصيرة. هذه الميّزة إختبرها الحزب على جبهات عديدة في سوريا. كلام أمين عام حزب الله الذي صار معروفاً بإحتمال الدخول إلى الجليل يؤشّر بوضوح إلى نقلة نوعية في العقيدة القتالية للمقاومة، ومناورات إسرائيل الأخيرة تحديداً تحاكي هذا السيناريو.

تعزيز وإستثمار خبرات القيادة والتحكّم والتنسيق بين القوّات الهجومية على إختلاف إختصاصاتها أحد أهم مصادر قوته، رغم تعقيدات الميدان السوري الشديدة التي أتاحت للمقاومة خبرات وتجارب نوعيّة جديدة، بدءاً من الأخذ بالحسبان أنواع الأسلحة المطلوبة للمعركة تبعاً للظروف المتغيّرة والطارئة إلى تحديد أهداف تكتيكية خلال القتال, وحتى الحفاظ على طرق الإمداد اللوجيستية وخطوط الإنسحاب عند الحاجة.

أختبر بكفاءة عالية منظومات سلاح جديدة وحديثة تسلح بها مقاتلوه على الأراضي السورية. وإستطاع التنسيق الفعال مع القوى الصديقة والحليفة المختلفة على الأراضي السورية, وخاصة مع القاعدة العسكرية الروسية في حميميم, قد لا يكون متاحاً في المدى المنظور الكشف عن فصول الإستفادة العملية لحزب الله وحلفائه من المشاركة الروسية المباشرة في الحرب، غير أن سياق المواجهة إقليمياً ودولياً يؤشّر إلى أن التنسيق بين الأطراف الداعمة للجيش السوري بات يشكّل هاجساً لدى المحور المقابل.

إفشال المخطط وحرب المفاوضات

أمام صمود الدولة السورية بكافة مؤاسساتها, ودعم المحور الذي يساندها إضطرت القوى الداعمة للحرب إلى الجلوس على طاولة المفاوضات, وتغيرت شروط التفاوض التي كانت قبل الإنتصارات الميدانية على الأرض للجيش السوري وحلفاؤه من الرحيل للرئيس السوري وتسليم السلطة للمعارضة إلى القبول بتعديلات غير جوهرية في شكل النظام ومحاربة الإرهاب, الذي هو من وسائل الحرب ضد الدولة السورية.

وأهم المنادين بهذه الشروط الدولة التركية الراعي الأول للمعارضة, بما فيها الجماعات الإرهابية على لسان نائب رئيس الحكومة السيد محمد شمشيك, حيث قال: إن أنقرة تعتبر أن تسوية الأزمة السورية بدون الرئيس السوري بشار الأسد، تعد في الوقت الراهن، أمراً غير واقعي وأوضح المسؤول التركي في تصريحات له، الجمعة ٢٠ يناير/كانون الثاني، خلال مشاركته في منتدى دافوس: "يجب أن نكون براغماتيين، وأن ننطلق من الواقع، فالوقائع على الأرض تغيرت جذريا، ولذلك لا يمكن لتركيا أن تواصل الإصرار على تسوية الأزمة السورية بدون الأسد، إنه أمر غير واقعي."

الأسباب[1] التي أدت الى تراجع هذا المحور عن أهدافه

لا شك بأن الرئيس السوري بشار الأسد وحلفاءه أفادوا كثيراً من تفكك المعارضة وتناحر ١٦٠ فصيلاً مسلحاً. وإذا كان التخطيط العسكري والتحالفات الإستراتيجية التي عقدها الأسد، والصراع الدولي والإقليمي على أرض سوريا، إضافة الى تنامي الإرهاب، عوامل ساهمت في تغيير مجاري الرياح، فان خلافات أخرى عند خصومه تبدو كبيرة الفائدة له.

أولاً: الخلاف المصري . السعودي:

عدم التجاوب المصري مع السعودية في حربها على سوريا واليمن وفي إطار الضغط على مصر زار المستشار الملكي السعودي أحمد الخطيب إثيوبيا. عقد مباحثات مع مدير مشروع سد النهضة ورئيس الوزراء, وجرى التفاهم على تعزيز التعاون الهدف هو الضغط على مصر القلقة من الخطط الإثيوبية في السد المائي لنهر النيل.

تزامنت الخطوة السعودية هذه، مع إنتقاد صدر عن مجلس التعاون الخليجي ضد مصر بعد إتهامها قطر في التحقيقات المتعلقة بتفجير كنيسة قبطية قبل أيام. يضاف ذلك إلى سلسلة أسباب

[1] سامي كليب, مقالة:" مصائب الاخرين عند الاسد فوائد", تاريخ الدخول ٢٠١٦/١٢/١٩
http://www.shaamtimes.net/news-details.php?id=69525

التأزم بين الرياض والقاهرة، وتلاشي مبدأ «مسافة السكة» الذي رفعه الرئيس عبد الفتاح السيسي لحماية دول الخليج حيال أي تهديد.

من يذهب إلى القاهرة هذه الأيام يسمع كلاما زاخراً باللوم ضد الرياض، ليس أقله: «نحن لا نستجدي مساعدات من أحد، ولو لم نصدّ إندفاعة الإخوان المسلمين في المنطقة لكانوا اليوم عند أبواب الخليج، هم بحاجة لنا أكثر من حاجتنا لهم».

التوتر السعودي المصري أفاد الرئيس السوري بشار الأسد في مجلس الأمن وعلى المستوى العربي، وأدى إلى زيارة رئيس مكتب الأمن القومي السوري اللواء علي المملوك القاهرة بطلب من القيادة المصرية.. صحيح أن العلاقات الديبلوماسية لم تُستأنف، لكن استمرار التوتر السعودي المصري المضاف إلى الصراع المتفاقم بين مصر وقطر من جهة, وإتساع رقعة التعاون المصري الروسي قد يسمحان بعدم حصر العلاقات بـ « الإطار الأمني» الذي تحدث عنه الرئيس الأسد.

ثانياً: <u>خلافات تركيا مع الكرد:</u>

لم يتأخر الرئيس التركي رجب طيب أردوغان حتى إكتشف أن تدخله في سوريا قد عزز قدرات خصومه الكرد. ثم جاء الإنقلاب الفاشل ضده وما تلاه من إجراءات قمعية وإعتقالات واسعة في الداخل التركي والتفجيرات الإرهابية، ليضع كل سياسة أردوغان أمام خيارات أحلاها مر صحيح أن أردوغان مستمر بالمناورة والمغامرة في سوريا والعراق لكن بعد خسارته ورقة حلب، وإضطراره للبدء بحرب أوسع ضد «داعش»، ضاق هامش المناورة أمامه (حتى ولو تفاهم مع روسيا)، فتوسع الهامش أكثر أمام الأسد وحلفائه. ووفق المصادر الروسية، فان التفاهمات التركية الروسية التي تكثفت منذ أشهر وتضمنت تطوير العلاقات التجارية والنووية شهدت بعض اللقاءات في بيروت، كما تخللها فتح بعض القنوات السورية التركية, التي قد تتطور إلى شيء ملموس في الربيع المقبل. لكن الدخول الأمريكي المباشر لمساعدة الفصائل الكردية المسلحة, قد أعد خلط الأوراق من جديد وبالتأكيد سيزيد التقارب التركي بإتجاه روسيا ضمن سياسة تحالف المصالح بدل تحالف الدول.

ثالثاً: <u>خلافات الصين . أميركا</u>

خلافا لروسيا، بقيت الصين حذرة حيال التعبير المباشر عن دعم الرئيس السوري بشار الأسد في السنوات الماضية برغم تبينها «الفيتو» مرات عديدة مع موسكو لمصلحة سوريا. لكن تولي دونالد ترامب مقاليد الرئاسة في البيت الأبيض، أدى إلى تصاعد حمى التوتر بين بكين وواشنطن. قال وزير الخارجية الصيني: «اذا حاول ترامب نسف سياسة الصين الواحدة أو المسّ بالمصالح الأساسية

للصين فسيكون كمن يزحزح صخرة ستسحق قدميه». كان يرد بذلك على قول ترامب: «أن على الصين تقديم تنازلات حول التجارة اذا كانت ترغب بأن نواصل إعتماد سياسة الصين الواحدة». كما أنه آثار غضب الصين عبر مهاتفته رئيسة تايوان. تخلل التوتر، إتهامات متبادلة بين واشنطن وبكين قبل أيام على خلفية إحتجاز الصين طائرة بلا طيار تعمل تحت الماء. وإن التوتر قائم في العلاقات الأمريكية الصينية على خلفية بحر الصين الجنوبي ومحاولة محاصرة الصين بحرياً, إلا أن الصين تعمل على تعزيز سلاح البحرية لديها, وتقوم بتصنيع حاملات طائرات, بالإضافة إلى تعزيز كامل قدرتها العسكرية, وفي إطار التفلت من الحصار البحي الأمريكي قامت الصين بإعادة إحياء خط الحرير البري عبر إنشاء خط السكك الحديدية الذي ينطلق من الصين بإتجاه أوروبا وصولاً إلى بريطانيا. عبر كازاخستان وروسيا وبيلاروسيا وبولندا وألمانيا وبلجيكا وفرنسا قبل وصوله إلى لندن، عبر نفق بحر المانش.

سوريا هي إحدى ساحات الضغط منذ الربيع الماضي زارها مبعوث صيني كبير مرتين، زارها أيضا في الصيف الماضي مدير مكتب التعاون العسكري الدولي في اللجنة المركزية العسكرية الصينية مؤكدا عزم بلاده تعزيز العلاقات العسكرية مع سوريا لم تتعزز كثيراً، لكن التلويح بذلك مقصود.

رابعاً: <u>خلافات السياسة اللبنانية</u>

بقي لبنان بلا رئيس نحو عامين ونصف, كاد الصراع بين ساسته ومحاوره أن يُبقي البلد مشلول السياسة والرئاسة والمؤسسات. إنتهى الأمر بعد الإنتصارات الأخيرة في سوريا إلى إنتخاب رئيس للجمهورية حليف لـ «حزب الله» وعلى علاقة ممتازة بالرئيس بشار الأسد. في مؤشر واضح لتبدل موازين القوى في لبنان ولكن هذا التبدل في موازين القوى لا ينعكس على الأرض بشكل حاسم نظراً لحساسية التركيبة الديمغرافية والسياسية اللبنانية, والأهم في تغيير هذه الموازين هو إفقاد الطرف المعادي لسوريا مفاعيله السلبية.

خامساً: <u>فشل الرهان على الخلافات السنية . الشيعية</u>

كان من المفترض أن يؤدي مخطط الفتنة السنية الشيعية في المنطقة، والمتنامي منذ الغزو الأميركي البريطاني للعراق، إلى تضييق الخناق على محور المقاومة وتأليب العمق العربي السني على إيران و «حزب الله» وسوريا وصولاً إلى إقصاء روسيا عن الشرق الأوسط. يبدو أن الرياح بدأت تسير بعكس سفن المخططين. فمع سيطرة الجيش السوري على حلب، تبدو الدول العربية الكبرى أقرب من

أي وقت مضى إلى روسيا، أبرزها مصر والجزائر والعراق. جميع هذه الدول لها علاقات واسعة او خجولة مع دمشق حالياً.

كان لافتاً للإنتباه أنه مع شبه الإنتهاء من معركة شرق حلب، كان العاهل المغربي الملك الحسن الثاني يوجه دعوة إلى الرئيس الروسي فلاديمير بوتين لزيارة الرباط، وذلك في خلال إستقباله أمين مجلس الأمن الروسي نيقولاي باتروشيف. هذه اللقاءات المغربية الروسية مهمة لا فقط لأنها تفيد روسيا في لحظة السيطرة على حلب, وإنما أيضا لأنها تعقب إنتقادات وجهها رئيس الحكومة المغربية الإسلامي عبد الآله بن كيران لما وصفه بـ «التدخل الروسي في سوريا» .

الرأي العام المغاربي يميل أكثر إلى فهم أسباب الحرب على سوريا, لعل اغتيال «الموساد» (على الأرجح) لمهندس الطيران التونسي المنضوي في صفوف «كتائب عز الدين القسام» في فلسطين محمد علي الزواري في صفاقس بعد ثلاثة أيام فقط على عودته اليها، يُذكّر بجوهر الصراع في المنطقة.

سادساً: <u>الخلافات الأميركية . الأميركية</u>

ما عادت أميركا بحاجة لأعداء كثيرين في الخارج, يتفاقم الصدام حالياً بين ترامب وخصومه الديموقراطيين, السبب هو إتهامات بتسريبات الكترونية تقول إن بوتين نفسه كان وراءها لتعزيز إحتمالات فوز المرشح الجمهوري. ترافق هذا التطور الأميركي مع تحولات أوروبية مفصلية، بدءاً بخروج بريطانيا وصولاً إلى إنهيار شعبية الرئيس الإشتراكي فرانسوا هولاند, حيث من المنتظر أن تثمر الإنتخابات المقبلة عن رئيس يشبه في نظرته توجهات الرئيس الأميركي المنتخب إلى سوريا.

ثم أن ترامب المهدَّد داخلياً، عيّن وزيراً للخارجية مرتبطاً بعلاقة ممتازة مع بوتين. كل ذلك سيؤدي إلى إتفاق على وقف الحرب السورية مباشرة بعد توليه الرئاسة ورفع وتيرة ضرب «داعش».

كل هذه الخلافات مفيدة لا شك للرئيس السوري بشار الأسد، لكن بعد إن عين ترامب سفيراً يهودياً صهيونياً في إسرائيل داعماً للمستوطنات ولنقل السفارة الأميركية إلى القدس، وبعد التدخل الأمريكي المباشر في سوريا وإنزال قوات عسكرية أمريكية على الأراضي السورية, وخاصة في المنطقة المتاخمة للحدود العراقية والتي من المقرر مرور خط الغاز الإيراني تكتمل جوقة الصقور ضد إيران.

هذه المصيبة الوحيدة التي يجب أن تُراقب بكثير من الإهتمام. فالهدف الأميركي ـ الإسرائيلي يبقى إيران الحليفة الإستراتيجية لسوريا. ولعل بعض الإنفتاح العربي على سوريا هو أيضا لإبعادها عن

إيران. وهذا هو دنيس روس العقل الصهيوني للإدارات الأميركية السابقة يقول أن لدى ترامب «فرصة سانحة للتأثير على بوتين وضمان أن إيران لن تحصل على أي مكاسب إستراتيجية في سوريا»!

الفوضى في النظام الدولي:

قال الرئيس السوري بشار الأسد «إنّ الحرب في سوريا ستمتدّ ما دامت جزءاً من نزاع عالمي وإقليمي، وتموّلها وتتدخّل فيها دولٌ أخرى». وأضاف في مقابلة مع وكالة «أسوشيتد برس» الأميركية [1]، أنّ «هناك عوامل خارجية كثيرة في هذه الحرب تتحكّم فيها».

إنّ الحرب السورية فتحت الطريق أمام عودة الحرب الباردة بين القطبين: الغربي، بقيادة الولايات المتحدة. والممانع، بقيادة روسيا الإتحادية، فالنزاع الدائر في منطقة الشرق الأوسط يضع القوى المتنازعة أمام مسار طويل من القتال الذي لن ينتهي إلّا بعد إعادة تموضعها. وذلك على أساس، إمّا تسوية شاملة تناسب الأطراف جميعاً، وإمّا فتح الخيار على حرب، قد تمتدّ جذورُها إلى أبعد من سوريا والمنطقة، إلى الساحة الدولية.

إنّ تعقيدات الحرب السورية وما رافقها من فشل المفاوضات من جنيف إلى آستانة، في التوصل إلى إتفاقية لإنهاء النزاع تعطي دلالات لا تبشّر بنهاية قريبة للنزاع فيها، ولكنّها ليست بدلالات حرب كونية.

يقول رئيس مركز الدراسات الإستراتيجية، روسيا – العالم الإسلامي، شامل سلطانوف، إنّ «النزاع حول سوريا يغدو خارجاً عن نطاق السيطرة. وإنّ فشل الإتفاق الروسي – الأميركي يُبيّن عدداً من النقاط: منها، عدم قدرة الدول العظمى على التأثير في هذا النزاع، ما يزيد أهمية لدور الدول الإقليمية. لذا، في حال إستمرّ هذا الوضع، سيعني تحوّل المواجهات إلى لعبة محصّلتها صفر، حيث لا يمكن الإتفاق. والبديل هو، إما أن ينتصر أحد الأطراف تماماً، أو يخسر».

إنّ المصالح المتداخلة بين الدول، على الأرض السورية، توضح مدى حساسية الوضع القائم في المنطقة. لذلك، عمدت كلّ من:

– الولايات المتحدة، إلى نشر بطارية مدفعية لمشاة البحرية في سوريا دعماً للهجوم على معقل تنظيم «داعش» في الرقة، وفق ما أعلن مسؤول أميركي. وقال المسؤول إنّ «جنوداً من الوحدة ١١ من المشاة البحرية نشروا بطارية «هاوتزرز» من عيار ١٥٥ ملم في أحد المراكز الأمامية في سوريا».

---

[1] نقلا" عن موقع جريد الديار اللبنانية تاريخ الدخول ٢٠١٧/٣/٢٢
http://www.addiyar.com/article/1324317

كذلك قامت الولايات الأميركية، بنشر قوات أميركية قوامها ٥٠٠ جندي من العمليات الخاصة في سوريا، لتقديم المشورة للقوات التي تقاتل "داعش"، خصوصاً «قوات سوريا الديموقراطية».

وروسيا، إلى نشر منظومة صواريخ «كروز»، قادرة على ضرب أوروبا الغربية. فيما يشكّل انتهاكاً لمعاهدة ١٩٨٧، التي تنصّ على حظر الصواريخ المتوسّطة المدى، وفق ما أعلن جنرال أميركي الأربعاء ٨-٣-٢٠١٧.

وقال الجنرال بول سليفا، أمام لجنة من الكونغرس: «نعتقد أنّ الروس نشروا صواريخ «كروز» وتنتهك روح هدف معاهدة القوات النووية المتوسّطة». وأضاف أنّ «تلك الصواريخ تشكّل خطراً على معظم منشآتنا، في أوروبا. ونعتقد أنّ الروس نشروها عمداً لتهديد حلف شمال الأطلسي ومرافق (الناتو)».

في هذا السياق، حمل وزير خارجية ألمانيا زيغمار غابرييل على ما وصفه سباق تسلّح جديد مع روسيا، بعد تقارير عن نشر روسيا صواريخ في مدينة كالينينغراد. إذاً، يبدو أنّ الحرب السورية خرجت عن مقدرة الدول المموّلة لها، إلى وقف النزاع.

أخيراً، تقدّم الحرب السورية، نموذجاً لحرب كونية. فما بات يُعرف بالحرب التقليدية بين الدول مثل الحربين الأولى والثانية، قد إنتهى إلى غير رجعة، خصوصاً أن لا رغبة للأطراف المتقاتلة بفتح جبهات على مختلف المناطق, هذا ما أكده كبير الباحثين في معهد الإستشراق، بوريس دولغوف أنّه «لا يمكن أن تندلع الحرب العالمية الثالثة». لذلك، مسار حرب الدول في المناطق النامية سيستمر طالما تحقق لها مكاسب لسياساتها الدولية. لهذا، لن يتحوّل النزاع السوري إلى حرب عالمية، بل سيستمرّ إلى حين توصّل الأطراف إلى حلٍّ مرضٍ للجميع.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث نستخلص أن سعي روسيا ابقاء سيطرتها على مصادر وتوزيع الغاز الطبيعي في أوراسيا ومن ضمنها الشرق الأوسط بشكل خاص, ودفاعها المستميت عن هذه المادة المصدرة إلى أوروبا والناتج عنه مفاعيل سياسية كبيرة لصالح روسيا, والتي تسعى للعودة إلى الساحة الدولية كقطب فاعل من عالم متعدد الأقطاب, في حين تسعى الولايات المتحدة الأمريكية من منع روسيا من تحقيق هذا الهدف عبر إيجاد مناطق توتر تورط فيها روسيا، كجورجيا، أوكرانيا، الربيع العربي .....وصولاً إلى سوريا, حيث تسعى الولايات المتحدة الأمريكية من تحرير أوروبا من الهيمنة الطاقوية الروسية عبر إدخال الغاز القطري وغاز الشرق الأوسط المكتشف إلى السوق الأوروبي عبر البوابة السورية حيث تصدت روسيا لهذا المشروع المدمر بالنسبة للروس, أي خروج تصدير الغاز عن نفوذها. وبدأ هذا الصراع الدموي في سوريا, حيث جند له كل طرف إمكانات كبيرة فالولايات المتحدة ومحورها جند ما يقارب ستين دولة مع امكانات هائلة من تحريض ووسائل تفكيك دول لم يشهد النظام الدولي حالة كهذه, وإستقدام مقاتلين من إصقاع العالم ومن تجنيد لمنظمات الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية في إستصدار قرارات ضد الدولة السورية, ومع كل هذه الأمكانات إستطاعت الدولة السورية بمساعدة حلفائها من الروس والإيرانيين وحزب الله اللبناني من الصمود والتصدي لهذه الهجمة, والتي أجبرت المحور الآخر إلى التراجع وإحداث شرخ في هذا النظام الدولي الذي تسوده الفوضوية, وإستغلال هذه الثغرات من عدم قدرة الدول الكبرى في التاثير في هذه الأحداث, وتغيير في مفاهيم التحالفات من تحالف دول ضمن محاور إلى تحالف دول ضمن مصالح كما حصل مع تركيا. وبرزت قوة الدول الإقليمية في التأثير في هذه الأحداث وكبلت يدي القوة الكبرى التي وقفت عاجزة. وما أدهش في هذه الأحداث تأثير قوى غير نظامية كحزب الله اللبناني في تغيير مجريات أحداث إعتبرت إستراتيجية كما حدث في معركة حلب.

إزاء هذه الفوضوية في النظام الدولي لم تعد الدول العالمية قادرة على إيقاف هذا النزاع الذي سيبقى إلى تأمين أحد الشروط :

<u>أولا":</u> أن يربح المعركة المحور الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية, وبالتالي يتم السيطرة على سوريا وإخضاعها وبالتالي تحرير طرق إمداد الطاقة بإتجاه أوروبا, وهذا مستبعد في الوقت الراهن نظراً لميزان القوى على الأرض معاكس لهذا الإتجاه.

ثانياً: أن يربح المحور الذي تقوده روسيا وتبقى سوريا ضمن المحور الروسي الإيراني, وتبقى سيطرة روسيا على أنابيب الغاز المتجه نحو أوروبا, وتبقى مفاعيل هذا التحكم السياسية موجودة.

ثالثاً: أن تحصل تسوية ضمن معادلة رابح – رابح وأن يتحرر جزء من مصادر الطاقة غير الخاضعة للهيمنة الروسية بإتجاه أوروبا, وذلك يخفف المفاعيل السياسية جزئياً.

إلى ذلك الوقت ستبقى الفوضى في النظام الدولي قائمة وتحصد أرواح الإبرياء وتهدر طاقات الدول حتى إعادة التوازن إلى النظام الدولي.

المصادر و المراجع

- احمد زكي صلاح:" النظام العربي والنظام الشرق اوسطي"، القاهرة، دار العالم الثالث، ١٩٩٥
- ألكسندر بريماكوف، نفط الشرق الأوسط و الاحتكارات الدولية، دار ألف باء للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨٤.
- توفيق بيضون، اقتصاديات البلدان العربية، لا.ن، بيروت، لبنان، ١٩٨٤.
- جون بيلس، ستيفن سميث:" عولمة السياسة العالمية"، الامارات العربية المتحدة، مركز الخليج للابحاث، ٢٠٠٤
- جيمس دورتي وروبرت بالتسغراف:" النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية"، ترجمة وليد عبد الحي، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ١٩٨٦
- حسن البزاز:" إدارة الازمة بين نقطتي التحول والغليان"، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع والنشر ٢٠٠١،
- حسن نافعة: "الأمم المتحدة في نصف قرن"، دراسة في تطور التنظيم الدولي منذ عام ١٩٩٥، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت
- حسين ابو قارة:" تحليل النزاعات الدولية"، الجزائر، دار هومة، ٢٠٠٨
- حسين قادري:" النزاعات الدولية، دراسة وتحليل"، منشورات خير جليس ، الجزائر، ٢٠٠٧
- سمير التنير، مدخل الى استراتيجية النفط العربي، لا. ن، بيروت، لبنان، ١٩٨١.
- صبري فارس الهيتي:"الجغرافيا السياسية مع تطبيقات جيوبولتيكية"، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع ٢٠٠٠
- صلاح العقاد، البترول، أثره في السياسة و المجتمع، معهد البحوث و الدراسات العربية، القاهرة، مصر، ١٩٧٣.

- عادل مدور، دليل قطاع النفط في لبنان، الطبعة الأولى، المركز اللبناني للدراسات، بيروت، لبنان، ١٩٩٦.
- عامر مصباح :" الاتجاهات النظرية في تحليل العلاقات الدولية"، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٦
- عباس رشدي العماري:" ادارة الازمات في عالم متغير"، القاهرة، مركز الاهرام للترجمة والنشر،١٩٩٣
- عباس غالي الحديثي:" نظريات السيطرة الاستراتيجية وصراع الحضارات"، الاردن، دار اسامة للنشر والتوزيع ٢٠٠٤
- عبد الله فلاح عودة العضايلة:"التنافس في آسيا الوسطى"، مذكرة ماجستير، قسم العلوم السياسية، كلية الادب والعلوم ،جامعة الشرق الاوسط، ٢٠١١
- عبد الناصر جندلي:" التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية والنظريات التكوينية"، الجزائر، دار الخلونية، ٢٠٠٧
- علاء ابو عامر:" العلاقات الدولية "،عمان، دار الشروق للنشر، ٢٠٠٤
- علاء ابو عامر:" العلاقات الدولية"، دار الشروق للنشر،عمان، ٢٠٠٤
- علاء عبد الوهاب:" الشرق الاوسط الجديد سيناريو الهيمنة الاسرائيلة"، القاهرة، سينا للنشر، ١٩٩٥
- علي أحمد عتيقة، النفط و التنمية العربية، منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول، لا. ن، ١٩٨٥.
- علي نعمة، خطوط المواجهة في الاستراتيجية القومية، دار النوال، بيروت، لبنان، ١٩٩٢.
- غازي القصيبي، أزمة الخليج محاولة للفهم، دار الساقي، لندن، ١٩٩١.
- غاستون بوتول واخرون:" الحروب والحضارات"، ترجمة أحمد عبد الكريم، دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٨٤

- فايز محمد العيسوي:"الجغرافيا السياسية المعاصرة"، مصر، دارالمعرفة الجامعية،٢٠٠٣
- قحطان حسين، غيث سفاح، متعب الربيعي:" ماهية الازمة الدولية"، دراسة في الاطار النظري، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد العدد ٤٢
- كارل فون كلاوزفيتز، قائد عسكري الماني، "الحرب"
- كمال حماد:" النزاعات الدولية" ، الدار الوطنية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٧
- كمال سالم الشكري:" مشروع الشرق اوسطية والامن العربي"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد٢٨، العدد الاول، ٢٠١٢
- مبروك غضبان:" مدخل للعلاقات الدولية"، الجزائر، شركة باتنيس للمعلوماتية والخدمات المكتبية، ٢٠٠٥
- محمد المجذوب:" التنظيم الدولي"، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، بيروت
- محمد المجذوب، النفط مارد أسود لم نحسن ترويضه بد، دار الوحدة للطباعة و النشر و التوزيع، لا. ت.
- محمد رياض:" الشرق الاوسط، دراسة في التطبيق الجيوبوليتيكي والسياسي"، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ١٩٨٤،
- محمد سعودي، الوطن العربي، دراسة لملامحه الجغرافية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٦٧.
- محمد عبد الغفار:" فض النزاعات في الفكر والممارسة الغربية"، الجزائر، دار هومة، ٢٠٠٣
- محمد عجلان، البترول و العرب، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ١٩٧٤.
- محمد مراد:" السياسة الامريكية تجاه الوطن العربي بين الثبات الاستراتيجي والمتغير الظرفي"، بيروت، دار المنهل اللبناني، ٢٠٠٩

- محمود عبد الفضيل، النفط و المشكلات المعاصرة للتنمية العربية، عالم المعرفة، العدد١٦، ١٩٧٩.

- معين حداد، الشرق الأوسط دراسة جيوبوليتيكية، قضايا الأرض و النفط و المياه، الطبعة الثالثة، شركة المطبوعات للتوزيع النشر، لاز ت.

- منصور ممدوح:" الصراع الامريكي السوفياتي في الشرق الاوسط"، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٥

- منير محمود بدوي""مفهوم الصراع، دراسة في الاصول النظرية للاسباب والانواع"، مجلة الدراسات المستقبلية، العدد ٣ ،١٩٩٧

- ناصيف يوسف حتي:" النظرية في العلاقات الدولية"، لبنان دار الكتاب العربي، ١٩٩٥

- نصري ذياب خاطر:"الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا"،الاردن،الجندارية للنشر والتوزيع، ٢٠١٠

- هنري لورنس، اللعبة الكبرى، الشرق العربي المعاصر و الصراعات الدولية، ترجمة د. محمد مخلوف، دار قرطبة للنشر و التوثيق و الأبحاث، بيروت، لبنان، ١٩٩٢.

- يحي احمد الكعكي:" الشرق الاوسط والصراع الدولي"، بيروت، دار النهضة

الانترنت:

- وفقا" لتقرير ادارة معلومات الطاقة الامريكية الصادر في ١٠ اب ٢٠١٥ على الرابط https://www.eia.gov/beta/international/analysis.cfm?iso=RUS تاريخ الدخول ٢٠١٧/٣/١٩
- تقرير،ادارة،معلومات،الطاقة،الامريكية https://www.eia.gov/outlooks/ieo/nat_gas.cfm تاريخ الدخول ٢٠١٧/٣/١٩
- مقابلة مع الكتور عماد فوزي الشعيبي على قناة الميادين على الرابط التالي تاريخ الدخول ٢٠١٧/٣/٢٠

https://www.youtube.com/watch?v=fERfo4gF1zo

وفقا" لموقع العالم الاخباري تاريخ الدخول ٢٠١٧/٣/١٩ على الرابط
http://www.alalam.ir/news/621661

- رياض عيد مقالة بعنوان التحولات الجيواستراتيجية والاقتصادية العالمية وانعكاسها على المشرق تاريخ الدخول ٢٠١٧/٣/٢١ على الرابط http://www.tahawolat.net/MagazineArticleDetails.aspx?Id=926

- الجنرال ويسلي كلارك للـCNN، حيث قال: نحن مَن صنع "داعش") تاريخ الدخول ٢٠١٧/٣/٢١على الرابط التالي https://www.youtube.com/watch?v=X7KtYxkWd4w

وفقا" للموقع الرسمي للتلفزيون الروسيRT تاريخ الدخول ٢٠١٧/٣/٢١على الرابط التالي:
https://arabic.rt.com/news/857203
- تييري ميسان مقالة بعنوان هزيمة اسرائيل في لبنان تاريخ الدخول ٢٠١٧/٣/٢١ على الرابط

http://www.voltairenet.org/article143348.html
- تييري ميسان، مقالة, مفكر فرنسي ورئيس ومؤسس شبكة فولتيير تاريخ الدخول ٢٠١٧/٣/٦)

http://www.voltairenet.org/article190098.html)

نقلا" عن جريدة السفير تاريخ الدخول ٢٠١٧/٣/٢٢ مقتبس على الموقع
http://www.amwaj.ca/?page=article&id=379
- موقع التحقيق الصحفي تاريخ الدخول ٢٠١٧/٣/٦

http://www.dailymotion.com/video/xv95qz_gaz-petrole-guerres-secretes-docu_news
- تحقيق تلفزيوني فرنسي عرض على كانال + ونقلته جريدة الاخبار اللبنانية تاريخ الدخول ٢٠١٧/٣/٢٢

http://www.almayadeen.net/news/other/26677/--nc7

- محمد الحوراني, دور اسرائيل وحلفائها في ثورات الربيع العربي, تاريخ الدخول ٢٠١٧/٢/٢٧

http://tishreen.news.sy/?p=11472

- سامي كليب, مقالة, مصائب الاخرين عند الاسد فوائد, تاريخ الدخول ٢٠١٧/١٢/١٩

http://www.shaamtimes.net/news-details.php?id=69525
نقلا" عن موقع جريد الديار اللبنانية تاريخ الدخول ٢٠١٧/٣/٢٢

http://www.addiyar.com/article/1324317

فهرس المحتويات

المقدمة.....
١
تمهيد .....
٦

الفصل الأول

النظام الدولي ومفهوم الصراع في العلاقات الدولية والنظريات المقاربة له ومفهوم الشرق الأوسط

المبحث الأول– النظام الدولي ومفهوم الصراع في العلاقات الدولية .....
١٤

المطلب الاول: تعريف ونشأة وتطور النظام الدولي.....
١٤

تعريف النظام الدولي.....
١٤

نشأة النظام الدولي.....
١٥

مراحل تطور النظام الدولي.....
١٥

أولاً: مرحلة توازن القوى منذ صلح وستفاليا إلى إندلاع الحرب العالمية الأولى.....
١٦

المرحلة الثنائية القطبية من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى إنهيار الإتحاد السوفيتي...
١٦

الأحادية القطبية .....
١٧

المطلب الثاني: الصراع في العلاقات الدولية والمفاهيم المشابهة له.....
١٩

أولاً: مفهوم التنافس في العلاقات الدولية .....
١٩

ثانيـــاً: مفهـوم الصـراع فـي العلاقـات الدوليـة ١٩
ثالثـــاً: مفهـوم النـزاع فـي العلاقـات الدوليـة ٢٠
رابعـــاً: مفهـوم الحـرب فـي العلاقـات الدوليـة..... ٢١
خامســـاً: مفهـوم التـوتر فـي العلاقـات الدوليـة ٢٢
سادســـاً: مفهـوم الأزمـة فـي العلاقـات الدوليـة ٢٣
المبحث الثاني: مصطلح الشرق الأوسط والمقاربات النظرية المفسرة للصراع الأمريكي الروسي فيه .. ٢٦
المطلب الأول: التحولات في مضامين مصطلح الشرق الأوسط ٢٦
مصـطلح الشـرق الأوسـط قبـل الحـرب البـاردة..... ٢٧
ظهـور الشـرق الأوسـط الحـديث كمصـطلح سياسـي..... ٢٨
مصـطلح الشـرق الأوسـط خـلال الحـرب البـاردة..... ٢٩
إشـكالية ترسـيم حـدود الشـرق الأوسـط..... ٢٩
نهاية الحرب الباردة وتأثيرها على مصطلح الشرق الأوسط..... ٣٠
التطـوارت المتعلقـة بمصـطلح الشـرق الاوسـط بعـد ١١ أيلـول ٢٠٠١ ..... ٣٣
المطلب الثاني: الصراع الأمريكي الروسي من منظور مقاربات العلاقات الدولية وجيوبولتيك الشرق الاوسط.. ٣٥
رؤية النظرية الواقعية للتنافس الأمريكي الروسي..... ٣٦

رؤيــة النظريــة الليبراليــة للصــراع الأمريكــي الروســي.....
٣٧
رؤيــة النظريــة الماركســية للصــراع الأمريكــي الروســي.....
٤٠
التنــافس الأمريكــي الروســي مــن منظــور مقاربــات الجيوبوليتيكــا.....
٤٢
نظرية القوة البحرية لألفريد ماهان Alfred Thayer Mahan ١٨٤٠ -١٩١٤ .....
٤٢
نظرية قلب العالم لهالفورد ماكندر Halford Mackinder١٨٦١-١٩٤٧..... ٤٤
نظرية الإطار Rimland لنيكولاس سبيكمان Nicholas Spykman١٨٩٣-١٩٤٣ ..... ٤٦
الفصل الثاني:الصراع الروسي الأمريكي على انابيب الغاز في الشرق الأوسط.....
٤٩
المبحث الاول: جيوبولتيك الغاز في اوراسيا.....
٥٠
المطلب الاول: الغاز في اوراسيا.....
٥٠
الطاقة في روسيا..... ٥٠
الغاز الروسي..... ٥١
خطوط أنابيب الغاز..... ٥٢
خط أنابيب غاز الشمال..... ٥٣
خط أنابيب غاز روسيا – تركيا السيل التركي..... ٥٣
خط أنابيب غاز تيار الجنوب..... ٥٤
خط أنابيب السيل الأزرق..... ٥٤

الغاز في تركمانستان..... ٥٥

خط أنابيب غاز منظومة وسط آسيا..... ٥٥
خطوط أنابيب الغاز المنافسة للخطوط الروسية..... ٥٥
خط أنابيب غاز نابوكو..... ٥٥
خط أنابيب جنوب القوقاز..... ٥٦

خط أنابيب غاز بحر قزوين..... ٥٧
المطلب الثاني: الغاز في الشرق الاوسط..... ٥٧
الغاز في إيران..... ٥٨
الغاز في قطر ٥٨
الغاز في السعودية..... ٥٩
الغاز في الإمارات العربية المتحدة..... ٥٩
الغاز في الجزائر..... ٥٩
الغاز في العراق..... ٥٩
الغاز في مصر..... ٦٠
الغاز في الكويت..... ٦٠
الغاز في سوريا..... ٦١
الغاز في لبنان..... ٦٢
الغاز في إسرائيل..... ٦٢
خط الغاز العربي..... ٦٣
المرحلة الأولى..... ٦٣
شركة غاز الشرق المصرية..... ٦٣
المرحلة الثانية..... ٦٣
شركة فجر الأردنية المصرية..... ٦٣
المرحلة الثالثة..... ٦٤
المرحلة الرابعة ٦٤
المرحلة الخامسة..... ٦٤
مشروع خط الغاز القطري..... ٦٤
مشروع الخط الإيراني..... ٦٤
المبحث الثاني:الصراع على أنابيب الغاز..... ٦٥

المطلب الأول: الصراع على أنابيب الغاز في أوراسيا..... ٦٦

مشروع خط أنابيب نابوكو..... ٦٩
التصدي الروسي للمشروع..... ٦٩
المطلب الثاني: الصراع على أنابيب الغاز في الشرق الأوسط..... ٧٢

أهمية الشرق الأوسط الجيوبوليتيكية وإختياره مسرح العمليات الجديد..... ٧٣

التحولات الجيواستراتيجية العالمية الكبرى وأثرها على الشرق الاوسط..... ٧٥
أولاً: التصدي لصعود الاقتصاد الصيني..... ٧٥
ثانياً: مواجهة العجز التجاري والدين الداخلي..... ٧٦
الهجوم الأمريكي على سوريا..... ٧٩

مصادر تغذية خط نابوكو..... ٨١

دراسة الحالة السورية كجانب من جوانب النزاع الأمريكي الروسي على أنابيب الغاز.... ٨٣

معركة الدفاع عن سوريا بدأً من حرب لبنان ٨٤
فشل القوة الجوية الاسرائيلية..... ٨٤
فشل الهجوم البري..... ٨٦
الهزيمة الإسرائيلية..... ٨٨
إدارة الحرب على سوريا..... ٨٨
الدور القطري في الربيع العربي..... ٩١
"توتال" وغاز حقل NC7..... ٩٧
الدور التركي في الحرب على سوريا..... ٩٩
الدور الاسرائيلي في ثورات العالم العربي..... ١٠١
التسلسل الزمني للحرب على سوريا..... ١٠٥

تدخل حزب الله في سوريا..... ١٠٧
إفشال المخطط وحرب المفاوضات ١١١
الأسباب التي أدت الى تراجع هذا المحور عن أهدافه..... ١١١
أولاً: الخلاف المصري . السعودي:..... ١١١

ثانياً: خلافات تركيا مع الكرد..... ١١٢

ثالثاً: خلافات الصين . أميركا..... ١١٢

رابعـــــاً: خلافـــات السياســـة اللبنانيـــة..... ١١٣

خامســـاً: فشـــل الرهـــان علـــى الخلافـــات الســـنية ــ الشـــيعية..... ١١٣

سادساً: الخلافات الأميركية . الأميركية..... ١١٤

الفوضـــــى فـــــي النظـــــام الـــــدولي..... ١١٥

الخاتمـــــــــــــــة..... ١١٧